

الهيئة العامة لشواهد القبور الإسلامية وتراكيبها " دراسة في الشكل والمغزى "

أ.د. حسن محمد نور عبد النور*

مقدمة:

تقتضى دراسة موضوع الهيئة العامة لشواهد القبور الإسلامية وتراكيبها أن نشرح مسبقاً مجموعة من القضايا المتعلقة بالموضوع حتى تمهد له وتوضح جوانبه ، وهى مسميات القبور والأضرحة وما يتصل بها ، وموقف الفقه الإسلامى من البناء على القبور ، وتعريف شاهد القبر وتركيبته والعلاقة بينهما ، وتاريخ استخدام شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها ، والمناهج العلمية فى دراسة شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها ، أما عن مسميات القبور والأضرحة وما يتصل بها من مترادفات ومصطلحات فهى من الكثرة لدرجة تزيد على الثلاثين مصطلحاً^(١) ، الأمر الذى استوجب عمل ملحق لها بنهاية هذه الدراسة .

موقف الفقه الإسلامى من البناء على القبور:-

سبحان من تفرد بالبقاء بلا نهاية ، سبحان من جعل الأرحام تدفع والمقابر تلبع سبحان الله الباقي الدائم الوارث الذى كتب على كل خلقه الفناء ، فالبشرية كلها توفن تمام اليقين بحتمية الموت ، كما أنها فى معظمها تؤمن بقضية البعث بعد الموت ، ولذلك اهتمت بتكريم الموتى ودفنهم وتخليد ذكراهم ، وموقف الفقه الإسلامى من البناء على القبور تعددت الآراء بشأنه تعدداً كبيراً ، وهى تختلف ما بين التحريم ، والكراهية ، والإباحة ، وذلك على تفصيل فى حكم بناء القبر ذاته وحكم البناء على القبر كالاتى:-

ورد فى القرآن الكريم فى الآية الحادية والعشرين من سورة الكهف ، قوله تعالى :- " وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم ، قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً " صدق الله العظيم ، يدل السياق على أن الآية الكريمة طرحت قول المشركين وقول الموحدين دون استنكار ، فالموحدون قالوا لنتخذن عليهم مسجداً ، ولو كان فى القولين باطل لأشارت له الآية ، وربما قيل بشأن هذه الآية أنها تخص شرع من قبلنا ، فالأمر غير محسوم فى القرآن الكريم بشكل قاطع بشأن البناء على القبور.

* أستاذ الآثار الإسلامية - كلية الآداب - جامعة سوهاج

١ - انظر ملحق الدراسة .

أما بناء اللحد أو القبر نفسه ودفن المسلم فيه ومواراة بدنه فيه ، فقد أجمع فقهاء المسلمين على فرضية ذلك الأمر لقوله تعالى في الآيتين (٢٥ ، ٢٦) من سورة المرسلات :- " ألم نجعل الأرض كفاتا ، أحياء وأمواتا " فمواراة الميت حفرة سيعمل على حجب رائحته ، ويمنع السباع والطيور عنه.^(٢) لكنهم اختلفوا في هيئة القبر أو اللحد، ومادة بنائه ، وما يعلوه من شواهد وتراكيب ، وزخارف وكتابات ، مما تفصله الأحاديث النبوية الآتية:-

ورد في صحيح مسلم في باب اللحد ونصب اللين على الميت ما يلي:- قال سعد بن أبي وقاص في مرضه الذي هلك فيه:- إحدوا لى لحداً ، وانصبوا على اللين ، كما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه استحباب اللحد ونصب اللين ، واتفق الصحابة رضي الله عنهم على ذلك الفعل ، وقد نقلوا أن عدد لبنات قبره صلى الله عليه وسلم تسع .

واللحد هو الدفن الفردي أى يحفر لكل فرد لحد خاص به يدفن فيه بمفرده على العكس من الفسقية وهي حجرة دفن في باطن الأرض يدفن فيها على فترات متتابة بحيث تفتح وتغلق في كل دفنه ، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:- " اللحد لنا ، والشق لغيرنا " وهو ما يفضل معه اللحد".

وورد في صحيح البخارى هذا الحديث:- " حدثنا محمد بن مقاتل قال أخبرنا أبو بكر بن عياش عن سفيان التمار أنه حدثه أنه رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسنماً"^(٣) فمن السنة أن يرفع القبر عن الأرض قدر شبر ، ليعرف أنه قبر فيصان ولا يهان، ويزار ولا يهجر ، أما الحديث (المنكر) " خير القبور الدوارس " فلا أصل له في كتب السنة ، لأنه ينبغي أن يظل القبر ظاهراً مرفوعاً عن الأرض قدر شبر ، واختلف الفقهاء في ارتفاع القبر وتسنيمه وتسطيحه ، فمذهب الشافعى ومن وافقه أن يرفع نحو شبر ويسطح ، لكن الثلاثة (أبو حنيفة ومالك وأحمد) قالوا التسنيم أولى ، لأن التسطيح صار من شعائر الشيعة.

وورد في صحيح البخارى بشأن البناء على القبور ما يلي:- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه :- " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، لولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً " ^(٤)

٢ - عبد الله (د. محمود سيد) :- مدافن حكام مصر الإسلامية بمدينة القاهرة ، دراسة أثرية سياحية، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ٢٠٠٤م ، ص٢٦

٣ - البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم) :- ترجمة جامع صحيح البخاري ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ج٢ ، ص٢١٢

٤ - نفس المرجع السابق .

وقال الصحابي فضالة بن عبيد :- سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسوية القبور ، وفي حديث آخر عن أبي الهياج الأسدي ، قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه:- ألا أبعثك على ما بعثنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته".

وفي حديث آخر ورد الآتى:- حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا حفص بن غياث، عن ابن جريج ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، قال:- نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه " وزاد (ابن ماجه) فى كتاب الجنائز ، باب ما جاء فى النهى عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها^(٥).

وأجاز العلماء أن يوضع على القبر علامة من حجر أو خشب يعرف بها ، أما إذا قصد بها التفاخر والمباهاة فهو حرام ، وهذا متفق عليه ، حيث قال عبد العزيز بن عمران ، أخبرنى محمد بن قدامة عن أبيه عن جده قال:- " لما دفن النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون أمر بحجر فوضع عند رأسه ، قال قدامة: فلما صفق البقيع وجدنا ذلك الحجر ، فعرفنا أنه قبر عثمان بن مظعون " رضى الله عنه " ، ولا يحل ستر الأضرحة لما فيه من العبث وصرف المال فى غير غرض شرعى وتضليل العامة ، ولقد ذهب أصحاب المذاهب الأربعة إلى كراهية تجصيص القبور والكتابة عليها نقشاً أو حفراً أو بناء لأن ذلك من المباهة وزينة الدنيا ، وتلك منازل الآخرة ، وليس بموضع المباهة ، وإنما يزين الميت فى قبره عمله^(٦) .

كذلك اتفق الفقهاء على كراهية البناء على القبور ، فقسموا أحكام البناءات فى المدينة الإسلامية إلى أربعة أقسام رئيسية منها قسم البناء المحظور مثل البناء فى أرض الغير أو على المقابر ، لذا جعل موقع المقبره بظاهر المدينة، فمدن الأموات بعيدة عن مدن الأحياء ، أو مسورة ، مما يحفظها من الإمتهان أو البناء عليها ويخصها بالإهتمام والإحترام.

ولكن من ناحية أخرى أجاز بعض العلماء بناء القباب على أولياء الله الصالحين وذلك حفاظاً على قبورهم من الإندثار الذى يفقد معه الانتفاع بزيارتهم والتبرك بهم، بينما ينعقد الإجماع بين المذاهب الأربعة على تحريم اتخاذ المساجد على القبور، لما سبق الإشارة إليه من أحاديث نبوية صحيحة فى ذلك الشأن ، هذا وإن كان بناء القباب والمساجد على القبور خارج عن إطار موضوع الدراسة ، فإن وضع الرخام على القبور أو عمل ستائر

^٥ - النووي (الإمام محبى الدين) :- المنهاج شرح صحيح مسلم بين الحجاج ، دار المعرفة، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ج٧ ، ص٣٧-٤١ .

^٦ - عبد الله (د. محمود سيد) :- المرجع السابق ، ص٢٧

خشبية حول القبر اعتبره بعض الفقهاء من البدع المكروهه فى الشرع الشريف لما فيه من الفخر والإسراف وإضاعة المال كما سبق القول.^(٧) وهكذا اختلفت آراء الفقهاء وتباينت أفهام العلماء فى القضايا السابقة الخاصة بالقبور وما فوقها، فمنهم من تشدد فى آرائه لدرجة التحريم ، ومنهم من خفف وقال بالكراهة، ومنهم من تساهل وقال بالإباحة ، والذى يعيننا فى هذه الدراسة هو شواهد القبور وتراكيبها ، التى وصلنا منها روائع وبدائع الأدلة المادية الأثرية منذ وقت جد مبكر جداً ، حتى أن أقدم شاهد قبر إسلامى معروف حتى الآن مؤرخ بعام ٢٧هـ/٦٤٧م ، وقد نقشت كتاباته بأرض الحجاز مهد النبوة ، بينما ترجع أقدم تركيبة قبر إسلامية الى القرن ٢هـ / ٨م.

تعريف شاهد القبر وتركيبته:-

لقد تعددت معانى المصطلحات الدالة على كلمة " شاهد " ومشتقاتها المختلفة، فالشاهد لغة الحضور ، أى أدى ما عنده من الشهادة فهو شاهد ، وله معانى لغوية أخرى منها:- اللسان ، الملك ، وغير ذلك^(٨) واصطلاحاً هى العلامة ذات النقوش التى توضع على القبر لتدل على ماهية المدفون تحتها ، أياً كان شكلها أو مادة صناعتها ، وقد تخلو من النقوش أحياناً ، وقد تؤنث فيقال شاهدة قبر لكن الغالب تذكره ، والشاهدة هى الأرض ، وشاهد القبر يلامس الأرض فى أغلب الأحيان، وربما اشتق لفظ الشاهد منها، وربما أخذت الكلمة (شاهد) من الشهيد وهو الذى توفى أو قتل فى سبيل الله ومشهود له بالجنة ، أو لأنه عند الله حاضر .

هذا وتختلف مسميات شاهد القبر من مكان لآخر ، ومن زمان لآخر ، ومن لهجة لأخرى فى لغة الضاد ، فى العالم الإسلامى ، فيطلق على شاهد القبر مصطلح (بلاطة ، لوح ، روسية ، جنابية ، تاريخ ، رخامة ، عمود ، قبر ، قبرية أو مقبرية، حجر القبر ، مقابرية ، نصب ، رجم ، تشريفة) .
وبالنظر لمجموعة المصطلحات السابقة يتضح الآتى:-

مصطلحات تدل على المادة الخام المصنوع منها الشاهد (رخامة ، حجر القبر) وهما أكثر المواد الخام استعمالاً فى صناعة شواهد القبور كما سنوضح لاحقاً .

مصطلحات تدل على الهيئة العامة للشاهد (بلاطة ، لوح ، عمود) فالبلاطة واللوح لأنه معد للكتابة عليها ، والعمود كذلك وإن تميز بهيئته العامة كما سيأتى فى التصنيف.

^٧ - نفس المرجع السابق ، ص ٤٨ .

^٨ - الجوهرى (إسماعيل بن حماد) :- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م ، ج ٢ ، ص ٤٩٤ .

مصطلحات مأخوذة من مضمون الكتابات المنقوشة على الشاهد والتي تؤرخ لوفاة المدفون تحته (تأريخ ، تاريخ) فالأولى بالهمزة وهي المستعملة عند أهل الأندلس^(٩) والثانية بدون الهمزة وهي الشائعة في سلطنة عمان.

مصطلحات تشير إلى موضع الشاهد وطريقة نصبه على القبر (روسية ، جنابية ، قبرية ، مقابرية ، قبر ، نصب) فالروسية يطلقها أهل الجزائر على الشاهد ، لانتصابه في الوضع الرأسي المستطيل ، أو لأنه يوضع عند رأس الميت، فهو علامة على اتجاه رأس ووجه الميت ناحية القبلة باتجاه مكة المكرمة قبلته في صلاته ، فالإجماع الفقهي على دفن الميت المسلم على جنبه الأيمن وصدرة ووجهه تجاه مكة المكرمة ، وعليه فالمضاهي - إن وجد - يكون في هذه الحالة فوق قدمي المتوفي ، وقد يسمى "شاهد قدم" . ويسمى شاهد القبر المنشوري الشكل في المغرب (مقبرية) وفي الجزائر (جنابية) لأنه استمد أصله من جلوس الكتلة المنشورية الشكل من الرخام أو الخشب بجانبها المتسع فوق الأرض^(١٠) ، والنصب هيكل مقام لإحياء ذكرى شخص أو مناسبة ، والرجوم هي مجموعة أحجار توضع فوق القبر بانتظام أو بغير انتظام ، وأخيراً مصطلح تشريفية وهي النصب التذكاري المقام تكريماً لشخص دفن في موضع آخر ، ولذلك يعرف أيضاً بالقبر الأجوف (cenotaph) .^(١١)

ويطلق على شاهد القبر في اللغة التركية مصطلح باشلق أو نيشان (Basluk - Nisan - Mazar Tasi) وفي اللغة الأوردية يسمى(قبركى تختى أو لوح مزار)وفي اللغة الفارسية(سنك قبر)وفي اللغة الأندونيسية ولغة الملايو (Nisan) وفي اللغة الفرنسية(Steles Funeraires) وفي اللغة الإنجليزية (Headstones- Gravestones- Tombstones) وفي اللغة الألمانية (Grabstein) وهكذا يتغير اسم شاهد القبر من لغة لأخرى حتى نيفت على السنتين لغة غير لغة الضاد مما تكلم به المسلمون في القارات الثلاث القديمة التي نسوق الأمثلة منها.

أما تركيبية القبر فهي تصنع من الرخام أو من الحجر أو من الآجر أو من المعدن أو من الخشب أو غير ذلك ، وهي عبارة عن بناء صغير شيد على

^٩ - جمعة (د. إبراهيم) :- دراسة في تطور الكتابات الكوفية علي الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة مع دراسة مقارنة لهذه الكتابات في بقاع آخري من العالم الإسلامي ، دار الفكر العربي ، القاهرة (د.ت) ص٨٦-٨٧ .

^{١٠} - إسماعيل (د. عثمان عثمان) :- دراسات جديدة في الفنون الإسلامية والنقوش العربية العربية بالمغرب الأقصى ، دار الثقافة ، ١٩٧٧م ، ص١٥٩ .

^{١١} - الشهابي (د. قتيبية) :- مشيدات دمشق ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية ، دمشق ، ١٩٩٥م ، ص١٢ .

سطح الأرض ليدل على وجود مدفن أو ضريح أو مقبره أسفله ، وهى البناء أو السياج الذى يرتفع فوق القبر ليعرف أنه قبر فلا يقعد عليه ولا يمتهن ، وقد تنقش الكتابات الجنائزية على ذلك البناء أو السياج ، وقد يكون شاغراً من الكتابات ، وقد يصاحب التركيبة شاهد القبر فيكون منتصباً بجوارها ، ملتصقاً بها أو مستقلاً عنها ، وقد يستغنى بها عن شاهد القبر بما يشى بتداخل الوظائف مما ستشرحه بعد قليل جزئية العلاقة بين شاهد القبر وتركيبه القبر.

وفى لغة الضاد مجموعة من المصطلحات الدالة على تركيبه القبر ، تختلف من مكان لآخر ، ومن زمان لآخر ، ومن لهجة لأخرى كالآتى:
(مسطبة أو مصطبة، تابوت، تركيبة ، سياج ، مقصورة ، ساجات، ضريح، زارية ، ققص ، تربة ، مرقد ، درابزين ، وغير ذلك)^(١٢).

ففى صنعاء باليمن تسمى التركيبة الخشبية متعددة المستويات باسم الققص^(١٣) ، وفى البحرين تسمى المسطبة المستطيلة ذات السقف المسطح باسم الساجات^(١٤) ، والسياج قد يحيط بالتركيبة أيا كان طرازها ، وقد يطلق عليها ذاتها ، وفى بعض مناطق الهند الإسلامية يطلق على التابوت الموجود داخل الضريح الإسلامى مصطلح زارية^(١٥) وعلى الكتابات الجنائزية المنقوشة على التراكيب المبكرة ورد لفظ (ضريح) مثل التابوت الخشبى الخاص بالسيده رقية بمصر، والمؤرخ بعام ٥٣٣هـ / ١١٣٨م " هذا ضريح السيده رقية " وعلى التابوت الخشبى الخاص بالإمام الشافعى ٥٧٤هـ / ١١٧٨م " عمل هذا الضريح المبارك " بينما ورد على تابوت خشبى من إيران ، مؤرخ بعام ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م " هذه التربة الشريفة والمرقد المنور " ^(١٦) وإن كان لمصطلحات تربة ومرقد وضريح مفهوم أوسع كما سنوضح بملحق الدراسة.
ويطلق على تركيبه القبر فى اللغة الإنجليزية عدة كلمات تضاف تجاوزاً لكلمة (Tomb) وهى:-

(installation Tomb – Combination Tomb – Structure Tomb)

^{١٢} - عن شرح هذه المصطلحات انظر ملحق الدراسة .

^{١٣} - خليفة (د. ربيع حامد) :- الفنون الزخرفية اليمنية فى العصر الإسلامى ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص ١١٢ .

^{١٤} - www.iasblog.com

^{١٥} - على (د. أحمد رجب محمد) :- تاريخ وعمارة المزارات والأضرحة الأثرية الإسلامية فى الهند ، الدار المصرية اللبنانية ، سلسلة الآثار فى شرق العالم الإسلامى - ٢ - القاهرة ، ٢٠٠٥م ، ص ٢٤٧ .

^{١٦} - خليفة (د. ربيع حامد) :- المرجع السابق ، ص ٩٧ .

العلاقة بين شاهد القبر وتركيبه القبر:-

تتفق وظيفة شاهد القبر مع نظيرتها وظيفة تركيبه القبر ، فى أن كلا منهما يدل على المدفون تحته ، ويمنع بالتالى الجلوس على القبر أو امتهانه ، لكن الهيئة العامة لكل منهما تختلف تماماً ، فشواهد القبور زادت هيئاتها العامة وسلاطاتها على العشرين ، لا تتفق واحدة منها مع الهيئات العامة لتراكيب القبور وسلاطاتها ، مع أن وجود الشاهد قد يغنى عن وجود التركيبية ، وقد لا يغنى فقد يجتمعان بلا تنافر فوق قبر واحد ، وقد يستغنى بشاهد القبر عن التركيبية ، وقد يحدث العكس ، وقد يوجد لشاهد القبر مضاهى ، فى حين لا تسمح تركيبية القبر بعمل مضاهى لها.

هذا وتتنوع مواضع شاهد القبر وتركيبه القبر من أرضية القبر والجدران المحيطة بها ، ذلك أن الأمر بدأ بسيطاً ثم تطرق إليه التعقيد مع التطور ، حيث كانت مقابر وجنانات المسلمين فى بادئ الأمر عبارة عن مساحات من الفضاء كبيرة أو متوسطة، مسورة أو غير مسورة ، تقع فى ضواحي المدن والقرى فى الغالب ، ودائماً ما تكون هذه المساحات مكشوفة وتضم مئات أو آلاف من اللحود والقبور حسب سعتها ، وينتصب فوق هذه اللحود والقبور حجر بسيط أو مجموعة قليلة من الأحجار الموزعة فوق القبر بانتظام أو شاهد قبر بمضاهى أو بدون مضاهى ، أو تركيبية بسيطة أو مركبة ، بحيث بدأت وظيفة الشاهد أو التركيبية بسيطة كما سبق القول ، لتتطور فى شكلها وزخارفها وتذهيبها ومادة صناعتها حتى اتسعت وظيفتها لتشمل التمييز بين جنس المدفون تحتها ذكراً أو أنثى ، بل أنها ميزت أحياناً قبر المرأة الحامل عن الحائل من النساء ، وقبر الطفل عن غيره من الرجال ، وقبور ومدافن ومشاهد آل البيت والصوفية والعلماء والمشاهير والحكام والأمراء ، عن العامة ، فبدأت تظهر مبان فوق القبور تغطى الشاهد أو التركيبية ، وتظهر مكانة أصحابها ، تطورت هذه المباني فيما بعد فى إطار ظروف سياسية ودينية إلى أنماط ومجموعات جنائزية ضخمة^(١٧) من هذه المباني

(الحوش ، المقام ، المشهد ، القبّة ، الطربال ، المزار ، الميل ، الدكان ، المدفن ، الروضة) وغير ذلك مما سيأتى شرحه بملحق الدراسة ، وشرحها ضرورة استوجبته علاقة الشاهد بالتركيبية من جهة ، وعلاقة كل منهما بما يحيط بهما أو يرتفع فوقهما من مباني من جهة أخرى .

فى البداية كان موضع شاهد القبر على سطح الأرض فوق الضريح أو القبر قبالة رأس الميت ، وفى عصور لاحقة تطور الأمر ليصير له مضاهياً قبالة قدم الميت ، وغالباً ما كان يستغنى عن المضاهى.

^{١٧} - عثمان (د. محمد عبد الستار) :- عمارة المشاهد والقباب فى العصر الفاطمى ،

الكتاب الثانى ، دار القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ص ٢٠٤

ثم وصلتنا شواهد قبور لا تزال مثبتة فوق مدخل القبة أو الضريح ، وكأنها عتب حجرى أو خشبى مستطيل ، وشواهد قبور مثبتة على يمين مدخل القبة الضريحية أو على يساره ، وشواهد قبور مثبتة على أحد الجدران الأربعة من الداخل للقبة الضريحية ، كما وصلتنا شواهد قبور مستطيلة أو بهيئة محرابية أو بهيئة عمود تنتصب مجاورة لتركيبة القبر ، ملاصقة لها أو منفصلة عنها ، كذلك وصلتنا شواهد قبور وكتابات جنازية مثبتة بمقدمة التوابيت وتراكيب القبور ، أو مثبتة بأحد جوانبها الأربعة ، أو تحيط الكتابات بالجوانب الأربعة ، أو يثبت شاهد القبر فوق تركيبة القبر من أعلى بوسطها تماماً أو أقرب إلى اليمين أو اليسار .

وفى دراسة شواهد القبور الإسلامية - فى القاهرة فحسب - فى العصرين الأيوبي والمملوكي^(١٨) ما يغطى معظم ما سبق ذكره عن موقع شاهد القبر وعلاقته بتركيبة القبر ، تلك التركيبة التى كانت عادة ما تقع بمنصف أرضية القبة الضريحية بمفردها ، ثم صارت تتعدد جاراتها بنفس الموضع لتضم تراكيب أخرى أسرية أو غير أسرية ، كذلك وصلتنا تراكيب لا تتوسط أرضية القبة وإنما تلتصق بأحد جدرانها ، مما أثر على هيئتها العامة وزخارفها .

المناهج العلمية فى دراسة شواهد القبور وتراكيبها:-

وحتى كتابة هذه السطور لم تدرس شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها من ناحية الهيئة العامة لأشكالها وتصميماتها العامة ، وطرزها وسلالاتها ، ورمزية هيئتها العامة ومغزاها ، ونادراً ما أشار باحث إلى التقنية الصناعية فى تنفيذ تلك الهيئات العامة ، والأدوات المستخدمة فى ذلك ، والصناع وأساليبهم فى تشكيل المواد الخام المصنوعة منها تلك الشواهد والتراكيب ، وإنما كان جل اهتمام الباحثين منصبا على ذكر المقاسات إن أمكن ، وموضع الشاهد أو التركيبة من القبر ، وذكر المضاهى إن وجد ، والحالة التى عليها الشاهد أو التركيبة من الحفظ سواء كان بموضعها من الجبانة أو القبر ، أو نقلا إلى متحف أو مخزن ، ثم ذكر رقم سجل حفظهما ، ثم تنمى بقية المناهج العلمية فى دراسة شكل الكتابات ومضامينها ، بذكر ما هية اللغة ، قراءة النصوص ، ترجمتها إلى لغة البحث إن كانت بلغة أخرى ، وصف ما عليها من زخارف أيا كان نوعها ، ذكر الألوان والتذهيب إن وجد ، طرق تنفيذ النقوش والكتابات ، عدد الأسطر واتجاهاتها ، أساليب رسم الحروف ، نوع الخط ، أساليب رسم الكلمات وما بها من أخطاء إن وجدت .

^{١٨} - عبد الحميد (د. علاء الدين عبد العال) :- شواهد القبور الإسلامية فى العصرين الأيوبي والمملوكي فى مصر (٥٦٧-٩٢٣هـ/١١٧١-١٥١٧م) دراسة أثرية فنية ، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة سوهاج ، ٢٠٠٣م ، ص ١٢٠ ، ص ٢٦٧-٢٦٨ .

ومن ناحية المضامين تدرس الصياغة نثراً كانت أم شعراً ، تحلل المعلومات الواردة على الشواهد والتراكيب أيا كان نوع المضامين (دينية ، مذهبية ، اجتماعية ، سياسية ، إدارية ، إقتصادية ، فنية) تحلل الألقاب والكنى والوظائف ، يترجم للكتاب والخطاطين الموقعين على الشواهد والتراكيب ، يحلل حساب الجمل والتواريخ والرموز المختصرة ، تقارن المضامين الواردة على الشواهد والتراكيب بنظائرها المعاصرة لها أو السابقة عليها والواردة بالوثائق أو على النصوص التأسيسية أو حتى بما ورد بالمصادر التاريخية وعلى المسكوكات والتحف التطبيقية، وذلك بغرض تأريخ غير المؤرخ ، أو تأصيل وتجذير الظواهر المؤرخة، وربط المعلومات وتأكيدتها بأكثر من مصدر.

وهكذا أهملت المناهج العلمية جانباً مهماً في دراسة شواهد القبور وتراكيبها، يدخل ذلك الجانب المهم ضمن الجماليات بكل ما حوت أنماط الشواهد والتراكيب من هيئات عامة وسلالاتها ، فكل هيئة عامة جمالياتها ، أو رمزيها الدينية أو المذهبية، أو مغزاها الإجتماعي.

أيضاً أهملت المناهج العلمية السابقة في دراسة شواهد القبور وتراكيبها دراسة المواد الخام المصنوعة منها ، وطرق الصناعة وأدواتها ، وطائفة الصناع من الحجارين والنقارين والنقاشين وغيرهم ممن يعمل بتلك المهنة ، وأخيراً أهملت المناهج العلمية السابقة ذكر الإتجاهات الحديثة في دراسة شواهد القبور وتراكيبها متمثلة في الجمعيات العلمية العالمية الراعية لهذا التخصص ونشاطاتها في الحفاظ على ذلك التراث البشري المهم ، وترميمه ودراسته ونشره والكشف عنه بالوسائل العلمية الحديثة ، وهو ما تعالجه هذه الدراسة بمقدمتها وفصولها الثلاثة وخاتمتها وملحقها ، ولوحاتها وأشكالها التي نيفت على السبعمئة وثمانين لوحة وشكل توضيحي.

تاريخ استخدام شواهد القبور وتراكيبها :-

لقد عرفت الأمم السابقة على الإسلام عادة استخدام شواهد القبور وتراكيبها، وعنيت بها عناية ملحوظة نلمسها فيما تخلف عن الفراعنة واليونان والرومان وغيرهم ، ثم استمرت هذه العادة بعد ظهور الديانات السماوية الثلاث الكبرى (اليهودية ، المسيحية ، الإسلام) واستشهدت هذه الدراسة بأمثلة كثيرة جداً من قبيل التأصيل والتجذير للنظائر غير الإسلامية كما عرف العرب قبل الإسلام تراكيب القبور وشواهدها، واستمروا في استعمالها بعد الإسلام ، بحيث وصلت منها نماذج مبكرة جداً ، فأقدمها من مهد النبوة ومؤرخ بعام ٢٧هـ / ٦٤٧م كما سبق القول ، واستمرت هذه العادة على مر العصور الإسلامية ، وفي كل مكان دخله الإسلام دون

استثناء ، حتى أن الشاعر التركي المشهور " غنائى " ندب إبنته الصغيرة بمرثية تحسر فيها على عدم وضع شاهد على قبرها (١٩) .
ولو استعرضنا خريطة العالم الإسلامى الجغرافية والتاريخية للاحظنا أن هذه العادة كانت معروفة فى كل أرجاء العالم الإسلامى من التركستان الصينية شرقاً إلى المحيط الأطلسى غرباً ، ومن شمال ووسط أوربا شمالاً إلى جنوب الصحراء الكبرى بأدغال أفريقية جنوباً ، إلا أنها لم توجد فى أى مكان بمثل الكثرة التى وجدت بها فى مصر . كما يلاحظ أن شرق العالم الإسلامى - إيران وما وراءها - أغنى من غرب العالم الإسلامى - غرب مصر حتى الأطلسى - فى هذا النوع من الآثار ، فدولة الموحدين مثلاً (٥٢٥ - ٦٦٨ هـ / ١١٣٠ - ١٢٦٩ م) فى الغرب الإسلامى أهملت هذه العادة لدرجة أن اللهجة المغربية المراكشية خلت من كلمة " شاهد " (٢٠) ، أهملتها لكن لم تلغها ، لأن شمال أفريقيا عرفت شواهد القبور منذ بداية القرن ٢ هـ / ٨ م (٢١) ، واستمرت مستعملة فى نطاقها الجغرافى حتى الآن .
يلاحظ أيضاً قلة ما وصلنا من شواهد القبور وتراكيبها فى النطاق الجغرافى الواقع جنوب الصحراء الكبرى ، فى فترات طويلة من تاريخها الإسلامى .
وأخيراً يلاحظ الإنعدام التام لوجود شواهد القبور وتراكيبها فى المملكة العربية السعودية فى القرون الثلاثة الأخيرة ، أى منذ اعتناقها المذهب الوهابى (٢٢) ، على الرغم من أن الجزيرة العربية فى العصور الإسلامىة قد وصلتنا منها شواهد قبور فى سلسلة شبه متصلة بحيث تغطى قرابة ألف عام كاملة .

١٩ - المصري (د. حسن مجيب) :- فى الأدب العربى التركى ، دراسة فى الأدب الإسلامى المقارن ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢م ، ص ١٠٤
٢٠ - لكن هذا لم يمنع من وصول شواهد قبور من العصر الموحدى بالأندلس ، وبعضها مؤرخ بعام ٥٥٦ هـ / ١١٧١م ، ٥٨٧ هـ / ١١٩١م . انظر :- بويرتاس (أنتونيو فرنانديز) :- فن الخط العربى فى الأندلس ، ص ٩٣٩ .
٢١ - بوبطانة (إيناس محمد) :- الخط الكوفى على شواهد القبور فى ليبيا بين القرنين ٢ - ٨ هـ / ١٢ - ٨م ، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة قار بونس ، ٢٠٠٣م ، ص ٢١ .
٢٢ - زار الباحث مجموعة كبيرة من المقابر والجبانات فى المملكة العربية السعودية ، فلم يجد فيها لا شواهد قبور ولا تراكيب ، لا قديمة ولا حديثة ، ومن هذه المقابر :- مقبرة البقيع ، وأحد فى المدينة المنورة ، مقبرة الحجون وغيرها بمكة المكرمة ، مقبرة العود ، والفيصلية بالرياض ، مقابر وجبانات مدن كثيرة أخرى مثل المجمع ، وحوطة سدير وغيرها .

الفصل الأول

الهيئة العامة لشواهد القبور

فى هذا الفصل تصنيف للهيئة العامة لشواهد القبور الإسلامية ، وتقسيم لسلاطات كل هيئة إن وجدت ، وشروح لجماليات كل هيئة عامة ، وذكر لمغزاها ورمزيتها ودلالاتها ، والبحث عن أصولها وجذورها فى الحضارات السابقة كلما أمكن ، مع تزويد الشروح بعدد كاف من التفرغيات اليدوية والصور واللوحات الملونة.

١- الهيئة المستطيلة :-

يمكن تقسيم هذه الهيئة إلى ثلاثة أنواع متمثلة فى الهيئة المستطيلة المنتظمة وغير المنتظمة، هيئة المستطيل المقرنص ، الطراز الإمبراطورى أو قوس النصر.

(أ) المستطيل المنتظم وغير المنتظم :-

كانت الهيئة العامة لشواهد القبور الإسلامية المبكرة بسيطة للغاية ، حيث كانت مجرد كتلة من الحجر تترك بكامل سمكها غفلاً دون صقل أو تذهيب ، ولا يهتم الحافر سوى بصقل وتهذيب المساحة التى سينقش فيها الكتابات والزخارف ، عدا ذلك لا يهتم حتى باستقامة جوانب الكتلة الحجرية (لوحة رقم ١) (شكل رقم ٥/١ ، ٦/١) والباحث فى كتاب أحجار المعلاة الشاهدية (٢٤) يجد فيه (٥٨٦) صورة لشواهد قبور ترجع للقرون ما بين ٣ - ١٠ هـ / ٩ - ١٦ م ، ينطبق على جها الوصف السابق ، لكن مع هذا وصلتنا منذ القرن الأولى الهجرى (السابع الميلادى) شواهد قبور ينطبق عليها الوصف الهندسى البحت للشكل المستطيل ، حيث استقامت جوانبها وصقلت وشذبت من جميع أضلاعها (لوحة رقم ٢) (٢٥) إذ يحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بأكثر من ثلاثة آلاف شاهد قبر ، تغطى ألف عام تقريباً ، وأقدمها مؤرخ بعام ٣١ هـ / ٦٥١ م ، نسبة كبيرة جداً منها بالهيئة العامة المستطيلة المنتظمة ، والتى كانت تنتصب شواهدها فى الوضع الرأسى (شكل ١/١ ، ٨/١) والقليل منها بالهيئة العامة المستطيلة الأفقية (شكل رقم ٣/١) دل على ذلك اتجاه رسم النقوش الكتابية لوحة رقم (٣) (٢٦) كما نشرت الألمانية " مادلين شنيدر " مجلدين عن شواهد القبور

٢٣ - حسن الياشا (د. محمود) :- موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٩ م ، المجلد الخامس ، ص٤٣٥ (اللوحتان رقما ١٦٦٨ - ١٦٦٩) .
٢٤ - الراشد (د. سعد بن عبد العزيز) وآخرون :- أحجار المعلاة الشاهدية بمكة المكرمة، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

25 - Wiet (Gaston) :- Catalogue General Du Musee Arab Du Cairo Steles Funeraires . Tome Sixeme . Le Cairo . 1938 . pl . xvi

26 - www.Damuseum.org.kw/english

الإسلامية بجزيرة دهلك قبالة أرتيريا بالبحر الأحمر ، بالمجلدين حوالى (٢٥٥) شاهد قبر ترجع للفترة ما بين القرن ٢هـ / ٨م ، ١٠هـ / ١٦م ، معظمها بالهيئة المستطيلة المنتظمة^(٢٧) ، ليس هذا فحسب وإنما روعيت العوامل الجوية من أمطار ورياح عند صناعة بعض شواهد القبور الإسلامية فى الفترات المتأخرة ، فتم تثبيت كثير منها بالوضع المائل (شكل رقم ١٢/١ ، ١٣/١ ، ١٤/١ ، ١٥/١) حتى تنزلق عنها مياة الأمطار (لوحة رقم ٤)^(٢٨) وفى الصحارى الجافة كان من الممكن تثبيت شاهد القبر المستطيل بالوضعية الأرضية المنبسطة (شكل رقم ٧/١) (لوحة رقم ٥)^(٢٩) وخشية سقوط الشاهد من شدة الرياح التى أكثر إصطداماً بالهيئة المستطيلة ، زودها الصانع بتقرب كبير فى ثلث المستطيل العلوى ، وإن كانت نماذجه نادرة (شكل رقم ١١/١) كما يوضح (شكل رقم ١٠/١) جذر الشاهد المستطيل الأفقى الذى يختفى تحت سطح الأرض ، وقد لا يوجد هذا الجذر - وهو الغالب - فيثبت الشاهد المستطيل بالوضع الأفقى منتصباً على " سيفه " أى سمك الضلع الطويل ، ومن أمثلة ذلك شاهد قبر من " الأجر " محفوظ بمتحف طليطة^(٣٠) وقد تزود قمة المستطيل الرأسى بزائدين سميكتين للحفاظ على الطرفين من التآكل (شكل رقم ٩/١) (لوحة رقم ٦)^(٣١) وبالنسبة لمقاسات الطراز المستطيل وما بها من جماليات فليس لدينا مقاسات لكل ما هو منشور من ذلك الطراز ، ومع هذا يمكننا الإستئناس ببعض المقاسات المنشورة من قبل ، من ذلك أربعمئة شاهد قبر محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ترجع للقرون الثلاثة الأولى من الهجرة^(٣٢) ، ٩٩% منها من الطراز المستطيل تتراوح مقاساتها بالنسبة للطول أقل من متر واحد حيث أن أطول مقاس فيها بلغ ٩١ سم ، وأقل عرض ١٩ سم ، وإن كان بعض الشواهد متكسر وغير مكتمل ، إلا أن المدقق فى النسبة بين الأطوال والعروض سيجد أن أقل القليل منها هو ما تحققت فيه النسبة الذهبية للمستطيل ، وهى أن العرض ثلثى الطول ، وحتى هذه ربما جاءت بشكل عفوى غير مقصود .

27 - Schneider (Madelein) :- Steles Funeraires Des iles Dahlak (mer Rouge) Le Cairo . 1982.

28 - www.loneyplanetimages.com

29 - www.Superstock.com

٣٠ - مورينو (مانويل جوميث) :- الفن الإسلامى فى أسبانيا ، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم، د. لطفي عبد البديع ، راجعه د. جمال محمد محرز ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، (د. ت) ص ٢٥٨ شكل ٢٧٤ .

31 - www.christies.com

32 - Hawary (Hassan) et Hussen Rached :- Catalogue General Musee Arabe Du Cairo Steles Funeraires . Tome Premier . Le Cairo . 1932 .

ووردت المقاسات بدقة في المجلدات العشرة لجاستون فيت عن مجموعة شواهد القبور المحفوظة بنفس المتحف السابق ، وكان معظمها بالهيئة المستطيلة المنتظمة.

ولنفس المجموعة بنفس المتحف نشر المعهد الفرنسي بالقاهرة للأستاذ عبد الرحمن عبد التواب ثلاثة مجلدات^(٣٣) ضمت (٤٥٠) شاهد قبر ، مقاساتها دقيقة للطول والعرض والسّمك ، وهى فى معظمها بالهيئة المستطيلة المنتظمة.

وعلى الرغم من الكثرة النسبية العديدة لمجموعة المتحف المذكور إلا أنها لا تغطى سوى مساحة جغرافية ضئيلة من العالم الإسلامى ، علاوة على كل ما سبق فإن النسبة الذهبية لم تتحقق بكثرة فى مستطيلاتها ، ومع هذا يمكن حصرها - على قلّتها - فى جدول للاستفادة منه.

ومن خلال تسعين شاهد قبر من جبانة صنعاء باليمن^(٣٤) ، متأخرة نسبياً فهى ترجع للقرون من ٨هـ/١٤م حتى ١١هـ/١٧م ، ٩٠% منها من الطراز المستطيل ، تراوحت مقاساتها ما بين ٤٠سم x ٣٠سم ، ومن ٤٠سم حتى ٦٠سم للطول x ٤٠سم للعرض ، وما بين ٨٠سم حتى ١٠٠سم للطول x ما بين ٥٠سم حتى ٦٠سم للعرض ، أى تحققت النسبة الذهبية فى القليل منها ، ويبدو ذلك أيضاً بشكل عفوى.

إن الاستئناس بموضوع النسب تمت الإشارة إليه فى هذا الموضع بمجرد نماذج من القرون الهجرية المبكرة ، وبنماذج أخرى من القرون الهجرية المتأخرة ، وهى غير كافية لعدم توفر مقاسات منشورة نستخلص من خلالها القطاع الذهبى للهيئة المستطيلة ، حتى نتذوق جمالياتها ، ذلك أن هناك استهجاناً للمستطيلات المسرفة فى الطول ، ويكاد الإجماع ينعقد على تفضيل شكل المستطيل الذى تكون فيه نسبة الضلع الصغير إلى الكبير تساوى النسبة بين طول الضلع الكبير إلى مجموع طول الضلعين معاً ، وهى النسبة التى تعرف باسم " القطاع الذهبى " ^(٣٥) وسواء تحققت هذه النسبة أم لا فإن الملاحظ هو شيوع الهيئة المستطيلة الهندسية البحتة - أى مستقيمة الأضلاع فى شواهد القبور الإسلامية فى تتابع زمنى متصل غير منقطع ، وفى كل النطاقات الجغرافية الإسلامية دون استثناء ، فهى الهيئة المفضلة للغاية إذا

³³ - Abd Al - Tawab (AbdAr - rahman . M) :- Steles islamiques de la necropole D' Assouan . (ifAo) Du Cairo . Tome . I . 1977 , Tome . II 1982 , Tome . III . 1986 .

^{٣٤} - شيحة (د. مصطفى عبد الله) :- شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، الجزء الأول ، ص ١٣ .

^{٣٥} - رياض (د. عبد الفتاح) :- التكوين في الفنون التشكيلية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص ١٣٨ .

ما قورنت مثلاً بالهيئة المربعة غير المفضلة لأن أضلاعها تتساوى دون تباين بين طول ضلع وآخر ، فهو شكل ممل.

أما عن تاريخ استخدام شواهد القبور من طراز الهيئة العامة المستطيلة فهو معروف بالدليل المادى قبل ظهور الديانات السماوية الثلاث الكبرى ، حيث استخدمه الفراعنة والإغريق والرومان وغيرهم من الأمم ، كالعرب قبل الإسلام ، والذين نكتفى بمجرد نماذج من حضاراتهم المتعاقبة فى الجزيرة العربية ، فثمة مجموعة من المجلدات منشورة عن شواهد قبور بعض ممالكهم باليمن ، وتؤرخ ما بين القرنين ٨ ق.م حتى ١ ق.م ، يضم المجلد الثانى من هذه المجلدات (١٤٣) شاهد قبر ، وفى المجلد الثالث (٤٣٧) شاهد قبر ، كلها محفوظة بمتحف صنعا ، وتجمعها سمات مشتركة أهمها أنها عبارة عن بلاطة منحوتة لتصبح شاهد قبر يثبت فى جدران القبر ، وهى من الحجر ومطلية باللون الأحمر ، ونقوشها بالخط المسند ، وهيئتها العامة تقسم إلى ست مجموعات^(٣٦) يهمنها منها فى هذا الموضع الهيئة العامة المستطيلة

(لوحة رقم ٧) ومن العصر الرومانى نكتفى بنموذج واحد ممثلاً فى شاهد قبر يرجع للقرن الأول الميلادى (لوحة رقم ٨)^(٣٧) .

إذن هذا الطراز ليس ابتكاراً إسلامياً ، وإنما هو طراز فنى موروث ، يدرج ضمن الطرز المسماة بالكلاسيكية ، والتي نفضل تسميتها بالطرز التقليدية. أيضاً من المنطقى أن يتطور الشكل المستطيل المنتظم عن الشكل المستطيل غير المنتظم ، لبساطة وعفوية الثانى ، ولكن يتعارض مع هذه المنطقية وجود الهيئة الأولى (المنتظمة) فى حضارات ما قبل الإسلام.

(ب) المستطيل المقرنص :-

المقرنصات (Stalactite) هى ابتكار إسلامى ، عثر على نموذج منها فى إيران يرجع إلى القرن ٢هـ / ٨م ، بينما ظهر أقدم مثل عربى فى تاريخ

^{٣٦} - بقية المجموعات منها المربع فى شكله العام ، ومنها مخروطي الشكل ، وغير ذلك ، أنظر :- عربش (منير) وآخرون :- مجموعة الشواهد القبورية من وادي الجوف ، المتحف الوطنى بصنعا ، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ، الجزء الثانى ، صنعا ، ٢٠٠٦م ، الجزء الثالث ، صنعا ، ٢٠٠٨م .

^{٣٧} - www.Spainisculture.com

ومن النواذر الشاذة للهيئة العامة المستطيلة شاهد قبر حجرى مقاسه ٨٢x٤٨سم ، مؤرخ بعام ٥٧٤هـ/١١٧٨م ، محفوظ بمتحف الآثار بواحة الخارجة بمصر ، يأخذ الشاهد شكل أشبه بالحوض المستطيل ذي الحواف البارزة ، ويبدو أنه استخدم لغرض سابق قبل إعادة استخدامه كشاهد قبر تنقش كتاباته بالمنطقة الوسطى من الحوض انظر :- عبد الحميد

(د. علاء الدين عبد العال) :- المرجع السابق ، ص ١٣٣ لوحة ١٩-٢٠

مؤكد مع بناء مدينة سامراء عام ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م^(٣٨) وهى فى المصطلح الأثرى المعمارى عنصر إنشائى وزخرفى يعمل عادة من أحجار تتحت وتجمع فى أشكال ذات نتوءات بارزة تؤلف حليات معمارية تتكون من صواعد وهوابط تشبه خلايا النحل تتدلى فى طبقات مصفوفة بعضها فوق بعض فى أماكن مختلفة من العمائر الإسلامية مثل مناطق الانتقال فى القباب، وشرفات المآذن ، والواجهات والنوافذ والعقود والأعمدة والمداخل وغيرها ، تقوم المقرنصات بوظيفتين إحداهما إنشائية والأخرى تزيينية حين بدت منحوتة بارزة غائرة مقعرة محدبة مسطحة متدلية متعالية فى وقت واحد حتى أخذت قيمتها التشكيلية من الخطوط والكتل ، وسارت فى طريق التطور الطبيعى حتى تولدت عنها أشكال وأنواع عدة تنحصر فى المقرنص البلدى أو المصرى ، ويتكون من طاقات مربعة مضلعة ذات زوايا حادة تشبه العقد المكسور ، والمقرنص الشامى أو الحلبي ، ويتكون من طاقات مقعرة أو مجوفة ذات عقود مستديرة ، والمقرنص ذو الدوالى الذى تنزل منه دلايات هابطة وسط الطاقات مباشرة ، والمقرنص المخرم الذى تكون بعض أجزاء واجهته مثقبة (شكل رقم ٢ - ٢/١ ، ٢/٢ ، ٢/٣ ، ٢/٤) .

وتتكون أجزاء كل مقرنص من هذه المقرنصات من الحطة أو الطاقة والقاووق والذيل والأخايد والكهوف مما استخدم فيه الخشب والرخام والحجر والجص (شكل رقم ٢ - ٢/٦) .

وعلاوة على وظيفة المقرنصات الإنشائية والزخرفية ، فهى ترتبط بوظيفة دينية - أغلب الظن تفلسف الظاهر والباطن ، فإمعان التغلغل فى باطنها - يخرج الناظر لها من مشاغله المادية اليومية إلى نوع من الاستشفاء النفسى الذى يهيئه للتأمل الدينى العميق من خلال متابعة هذه المقرنصات داخل المنشأ المعمارية بحيث يظل المسلم فى حالة من الخشوع الدائم والمستمر^(٣٩) .

وقيل فى رمزيتها أيضاً أن المقرنص الواحد هو تجويف له ثلاثة أبعاد ، يأخذ سبيله إلى سبعة أجزاء هندسية مرتبطة ببعضها البعض ، هذا التفرد الجمع أو الجمع المفرد يكون الوحدة المتكاملة للمقرنصات ، ومن ثم فإن

٣٨ - شافعي (د. فريد) :- العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، عصر الولاية ، المجلد الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م ، ص ١٤٣ ، ١٦٦ ، ٢٠٠ .

٣٩ - رزق (د. عاصم محمد) :- معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص ص ٢٩٣-٢٩٧ .

الشكل في صميمه يذهب نحو النظرية الأساسية في الفن الإسلامي القائمة على الوحدانية المطلقة^(٤٠).

انتقلت كل المعاني السابقة في وظيفة المقرنصات الزخرفية ورمزيتها الفلسفية الى شواهد القبور من النمط المستطيل المقرنص ، وليس صدفة أن يكون أقدم نموذج للمقرنصات المعمارية في إيران وأن أقدم نماذج شواهد القبور المستطيلة المقرنصة لا زالت منتصبة بمدينة أهلت (Ahlat) في إقليم تبليس شرقي الأناضول ، في ست جبانات تؤرخ شواهد قبورها ما بين القرنين ٦ - ٩ هـ / ١٢ - ١٥ م ، غاية الإبداع في زخارفها ومضامين كتاباتها الإسلامية التي تضمنت - ضمن ما تضمنت - بعض توقيعات الصناع بما يؤكد محلية صناعتها ، نصبت هذه الشواهد بوضعية رأسية ، بنمط مستطيل مقرنص في جزئه العلوي بيروز أمامي مكون من ثلاث حطات - صفوف - أو أربع أو خمس من المقرنصات

(اللوحات أرقام ٩ ، ١٠ ، ١١)^(٤١). وتأكيداً للمعاني الدينية والرمزية للمقرنصات التزيينية بشواهد الجبانات الست من النمط المستطيل المقرنص ، حفر على كثير منها سواء بظاهره أو بوجهه أشكال محاريب مجوفة يتدلى من بعضها أشكال مشكاوات (اللوحتان رقما ١٢ ، ١٣)^(٤٢) بما للمحراب من معنى ومغزى في حياة المسلم وفي قبره مما سيأتى تفصيله في حينه، كذلك رمزية المشكاة لفكرة النور الإلهي ولقلب المؤمن المليء بالأنوار.

ويبدو أن هذا النمط من شواهد القبور لم يكتب له الإنتشار في العالم الإسلامي كله على مر العصور مثل سابقه ، وإنما يكاد يقتصر وجوده على منطقة آسيا الصغرى وما جاورها في أرمينية وأذربيجان وبعض مناطق جنوب غرب القوقاز وشمال غرب إيران ، في فترة الحكم السلجوقي وبداية الحكم العثماني وإن ظهر على استحياء بنفس المنطقة في فترات متأخرة على التفصيل التالي:-

بدأت إرهاصات استخدام المقرنصات في ذلك النمط بشاهد قبر السلطان السلجوقي ألب أرسلان رابع حكام السلاجقة ، والمتوفى عام ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م ، والمدفون في ميرف بتركستان (لوحة رقم ١٤)^(٤٣) . واستمر حتى وجدت له نماذج من أرمينية ترجع للقرنين ١١-١٢ هـ / ١٧ - ١٨ م (لوحة رقم ١٣).

٤٠ - ياسين (د. عبد الناصر حسن) :- الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية " دراسة في ميثافيزيقا الفن الإسلامي " مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٦ م ، ص ٢٣٧ .

41 - www.dreamstime.com

42 - www.Turkishclass.com

43 - <http://10.1.6.10.1587.cgi-bin/blockpage.cgi>

واستمرت بقايا ذكره تتردد في قليل من شواهد القبور المسيحية بجبانة بحيرة سيواس بأرمينية ، وجبانة جلفا (Julfa) بأرمينية في بداية القرن ١٤هـ / ٢٠م.^(٤٤) والإجماع بين مؤرخي الفن على أن المقرنصات إبتكار إسلامي محض ، وكذلك نمط شواهد القبور المستطيلة المقرنصة ، وإن كان الرومان قد توصلوا إلى فكرة بروز

(فرنتون Faranton) بأعلى مقدم بعض أنماط شواهد قبورهم لحماية النصوص والنقوش من الأمطار (لوحة رقم ١٥)^(٤٥) فإن المفارقة كبيرة جداً بين المقرنصات هيئة ومغزى وبين الفرنتون الروماني المشار إليه.

(ت) الطراز الإمبراطوري (قوس النصر) :-

أسس الإمبراطور ظهير الدين بابر (٨٨٨ - ٩٣٧ هـ / ١٤٨٣ - ١٥٣٠ م) الدولة المغولية بالهند ، والتي استمرت تحكم لفترة طويلة (٩٣٣ - ١٢٧٤ هـ / ١٥٢٦ - ١٨٥٧ م) وانفرد دون غيره بشاهد قبر مميز ، عبارة عن هيئة مستطيلة متوجة بحليات مفرغة تشبه الشرافات ، ويؤطرها قوس نصف دائري يركز على دعامتين قويتين ويعطوه عتب ضخم ، كل ما سبق وصفه يرتفع فوق مصطبة مستطيلة ، يستقر ذلك الشاهد في حدائق بابر بمدينة كابل في أفغانستان اللوحتان رقما (١٦ ، ١٧)^(٤٦) والشاهد بوصفه السابق حقق عدة أهداف هي:-

١- الفخامة والضحامة والهيبة في الاستطالة المفرطة التي تحققت من وضع الشاهد المرتفع فوق مصطبة مرتفعة ثم تأطيره بقوس ودعامتين وعتب ، وكان الصانع أراد بهيئة الشاهد الإمبراطوري هنا تأصيل الطراز الإمبراطوري في العمارة الدينية الخاصة بالأضرحة وبعض المساجد المتأخرة زمنياً ، مثل مسجد نصرته في إستانبول ، الذي بناه السلطان العثماني محمود الثاني عام ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦م ، ومجموعة أخرى من مساجد إستانبول تبعت ذلك الطراز الإمبراطوري ، ثم انتشر خارج تركيا خاصة في المدن الأوروبية بحيث فرض نفسه في النصف الأول من القرن ١٣هـ / ١٩م.

٢- النعومة والليونة والانسيابية في التنويع المفرغة كالشرافات وفي التقوس الذي يحتضنها كالمعتاد في محراب الخشوع والاستسلام لقضاء الله ، بما في هيئة المحراب والشرافات من معاني ورموز سيأتى ذكرها في حينه. والجدير بالذكر أن أضرحة أباطرة المغول بالهند وزوجاتهم لم تتخذ من ذلك الطراز أنموذجاً ، واكتفى كل من الإمبراطور أكبر وهمايون وجها نجير

44 - www.Superstock.com/headstone

45 - <http://ar.wikipedia.org/wiki>

46 - www.Superstock.com/preview-www.mumbai.in/somniac/wordr

وغيرهم بتوابيت ومصاطب رخامية^(٤٧) سيشار لها في الفصل الثاني من هذه الدراسة ، ولم يكتب لذلك الطراز الانتشار بأى من الجوانات الإسلامية فى أى عصر من العصور ، ويبدو أنه تأثير مباشر عن نظائره المسيحية فى بعض الجوانات الأوروبية، فمنذ أن وصل البرتغاليين للهند من ناحية البحر زاد الاتصال المباشر بين أوروبا والهند بغرض التجارة ونشر المسيحية ، كما عمل كثير من المصورين الايطاليين والإنجليز مع الفنانين الهنود فى المراسم الملكية الهندية ، فكان جها نحير مثل والده مولعاً بالفنون الأوروبية لدرجة أنه لم يعمل على استيراد النماذج الأوروبية المصورة فحسب بل عمل على نسخ نماذج منها ، والثابت فى الآثار أن أوروبا استعملت شواهد قبور من هذا النمط لبعض مشاهيرها من رجالات العلم والحرب ، واستمرت على هذه العادة حتى وقت متأخر من القرن العشرين ، من أمثلة ذلك شاهد قبر إمبراطورى (لوحة رقم ١٨) يرمز قوسه (عقده) فى عقيدتهم للمرور عبر السماء ، وشاهد قبر مسيحي آخر من نفس الطراز بجبانه وسط فينا بالنمسا^(٤٨) ومن النماذج المتأخرة شاهد قبر المعماري الشهير جوزيف (hoechl) (١١٩١ - ١٢٥٤ هـ / ١٧٧٧ - ١٨٣٨ م) بجبانه ميونيخ فى ألمانيا (لوحة رقم ١٩)^(٤٩).

ولعل الفكرة برمتها مستمدة من أقواس النصر فى العصر الرومانى ، وقوس النصر هو شكل بناء مؤلف من قوس أو أكثر منحنى أو مستقيم ليشكل ما يعرف ببوابة النصر ، مرفوع على مجموعة أعمدة ، وقد يختلف التصميم والشكل لكنه ثابت من حيث المبدأ (لوحة رقم ٢٠)^(٥٠) أى أنه مبنى صرح يرمز لنصر فى حرب أو معركة ، وأحياناً يرفع من أجل حاكم أو ملك.

٢- الهيئة المحرابية :-

قيل بشأن تسمية المحراب أنه مأخوذ عن المحاربة لأن المصلى يحارب كلا من الشيطان ونفسه بإحضار قلبه وجوارحه للصلاة ، وقيل غير ذلك ، ويفيد المحراب فى تعيين اتجاه القبلة فى المنشأة الدينية الإسلامية ، وله فوائد أخرى مثل تحديد مكان الإمام عند الصلاة ، وتوسيع طاقة المسجد بكسب صف للمصلين بحنية المحراب.^(٥١)

^{٤٧} - علي (د. أحمد رجب محمد) :- المرجع السابق ، ص ٣٥ ، ٨٧ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٢٦ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ، ٢١٠ .

^{٤٨} - www.Soperstock.com

^{٤٩} - www.Soperstock.com

^{٥٠} - <http://ar.wikipedia.org>

^{٥١} - محمد (نجاة يونس الحاج) :- المحاريب العراقية منذ بداية العصر الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي ، بغداد ، ١٩٧٦م ، ص ٢١ ، ص ٢٢٢ .

لم تأت فكرة المحراب من حنية الكنيس اليهودى أو من شرقية الكنيسة المسيحية أو من طيقان تماثيل الآلهة فى الحضارات الوثنية ، وإنما كان إنجازاً إسلامياً فرضته ضرورة دينية عملية ، وأنه تميز فى أنماطه التى عرفتها العمارة الإسلامية بتقليد لم يكن له وجود فى حنايا العمائر السابقة على الإسلام ، قل أن يخرج عنه محراب منها ، وهو وجود ركن غائر فى كل جانب من جانبي تجويفه نتجت منه حافظا ناصيتين استخدمتا لوضع عمودين يحملان عقد طاقية المحراب.

هذا وقد عرفت العمارة الإسلامية نوعين من المحاريب ، أولهما محاريب مسطحة تميزت بها الأضرحة وبعض المساجد ، وغالباً ما أخذت هذه المحاريب المسطحة شكل الحنية دهاناً بالألوان أو حفرأ فى الحجر أو نقشاً على الخشب أو تنزيلاً فى الرخام ، وثانيهما محاريب مجوفة فى معظم العمائر الدينية ، وكانت ولا تزال تشبه الطاقة الصماء غوراً فى حائط القبلة ، ثم تنوعت أنماط المحاريب المجوفة وتطورت كثيراً بحيث بدأت بحنية بسيطة غير مزخرفة ، ثم غطيت بأشرطة رخامية أو بفصوص من الخرقة الدقيقة الملونة ، وأحاط قممها بعقود مزودة من الرخام ، ونقش توشيحها وكوشاتها بالزخارف النباتية والهندسية والكتابية مع المقرنصات والعقود المتداخلة والمزمررات والإطارات والحليات ، وتنوع مادة صناعتها بين الحجر والرخام والجص والخزف والفسيفساء والخشب والصدف والتذهيب^(٥٢)

وتأكيداً لما سبق نورد ستة نماذج متنوعة (اللوحات من رقم ٢١ حتى رقم ٢٦) من المحاريب المعمارية المجوفة من مناطق مختلفة ، وتواريخ متباينة ، ومواد صناعية متعددة ، وبطرز عقود وزخارف كثيرة.

وتنتقل فكرة المحراب من كونه عنصراً معمارياً ذى وظائف معينة ، إلى الفكرة الزخرفية التزيينية التى لا تخلو أيضاً من الوظيفية والمعانى الرمزية ، فظهر المحراب على الفنون التطبيقية الإسلامية كالرخام والحجر والأجر والخشب والزجاج والمعادن والنسيج والكليم والسجاد ، بل حتى المخطوطات الإسلامية المبكرة رسم فى بعض تصاويرها شكل المحراب مثل مقامات الحريري ، بحيث جذبت هيئة المحراب رجال الفن المسلمين فاتخذوه على فنونهم التطبيقية منذ أقدم العصور الإسلامية وحتى وقتنا هذا ، وذلك للتأكيد على الصفة الدينية للتحفة الفنية المنفذ عليها شكل المحراب من جهة ، ولجمال مظهره كعنصر زخرفى من جهة أخرى.

ولا يتسع المجال هنا لحصر أشكال وطرز المحاريب على الفنون التطبيقية الإسلامية من فرط كثرتها ، ومن ثم نكتفى بنماذج من فن واحد ألا وهو فن

^{٥٢} - رزق (د. عاصم محمد) :- المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

السجاد لنرى بالصورة نوعاً واحداً من طرز السجاد الإسلامي يرتبط ارتباطاً مباشراً بموضوع الدراسة ، وهو سجاجيد الصلاة ، التي تميزت برسم محراب في ساحة السجادة يشير إلى اتجاه القبلة ، أو برسم عدة محاريب متجاورة " سجاجيد الصف " لتأدية الصلاة في جماعة ، بحيث نقرر في اطمئنان أنه لا يوجد بلد إسلامي واحد إلا ووصلتنا منه نماذج من سجاجيد الصلاة ذات المحراب الذي تتنوع رسومه وأشكاله تنوعاً كبيراً ، فمنها محاريب بعقد أو بعقدين أو أكثر ، وبطرز كثيرة لأنواع العقود التي تحاكي نظائرها المعمارية التي بلغت قرابة خمسة عشر نوعاً من العقود كما سيأتي بعد قليل، ومنها المحاريب التي تركز عقودها على أعمدة بصفة معمارية ، وأخرى فقدت صفتها المعمارية فصارت أشبه بسلاسل أو أشرطة من الزهور والنباتات تتدلى من المحراب بدلاً من كونها دعامة له ، ومنها محاريب تقلد طاقيتها هيئة المقرنصات الحقيقية ، وغير ذلك مما يطول تفصيله (اللوحات من رقم ٢٧ حتى رقم ٣٧) .

لكن الجدير بالذكر في هذا الموضوع هو سجاجيد الصلاة التركبية من طراز " مزارك " أي سجاجيد الأضرحة لأن زخارف ساحتها تتألف من رسوم أضرحة داخل جبانة لها سور ومدخل تجاوره ما يشبه حجرة حارس الجبانة ، فضلاً عن رسوم أشجار السرو وعلّة زراعتها في الجبانة (٥٣)

(لوحة رقم ٣٨) وتعد شواهد القبور أحد الفنون الزخرفية الإسلامية التي جعلت من الهيئة المحرابية إحدى طرزها الموصلة للهدفين معاً ، الوظيفي والزخرفي ، فبدأت برسم أو حفر هيئة المحراب على طرز غير محرابية في شكلها العام ، بمعنى أن حفر شكل المحراب كان يزخرف شواهد قبور من الطراز المستطيل ومن طرز أخرى ثم تكتب النصوص داخل الهيئة المحرابية (شكل رقم ٣) (٥٤) وذلك من النمط المسطح لكنه بعقود كثيرة منها :- نصف الدائري (شكل رقم ١/٣) والبيضاوي (٢/٣) وحدوة الفرس (٣/٣) والمنقح (٤/٣) والمروس (٥/٣) والمتداخل (٩/٣) والمتعانق (١٠/٣) والمفصص (١١/٣ - ١٢/٣ - ١٣/٣ - ١٤/٣) والمقـرـنـص (١٥/٣) .

لكن الهيئة المحرابية المسطحة بعقودها المتنوعة السابقة لم ترسم أو تحفر على هيئات عامة غير محرابية من شواهد القبور الإسلامية المبكرة فحسب ، وإنما وصلتنا نماذج منها جد مبكرة وتأخذ في هيئتها العامة النمط المحرابي

٥٣ - انظر هيئة المسلة من هذه الدراسة .

٥٤ - الزهراني (د. عبد الرحمن بن علي) :- كتابات إسلامية من مكة المكرمة (ق ١- ٧٧-١٣م) مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ،

الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، نموذج ١٠ ، ١١

بعقوده الكثيرة ، تلك العقود التي تقلد نظائرها المعمارية ، ذلك أن العمارة الإسلامية قد استخدمت أكثر من خمسة عشر نوعاً من العقود منها الآتى:-

العقد الأصم (Blind Arch) العقد البصلي
 (Arch Bulbous) العقد الثلاثى (Trefailed Arch) العقد الحدوى
 (Horse shoe Arch) العقد نصف الدائرى
 (Semi circular Arch) العقد الرباعى (Quadrilateral Arch)العقد
 الزجراجى (Zagzagi Arch)العقد العاتق (Reliving Arch)العقد
 المخموس (Equilateral Arch) العقد المدبب (Pointed Arch) العقد
 المزدوج (Double Arch) العقد المصلب (Cross vaulted Arch)العقد
 المفصص (Lobed Arch) العقد المقرنص (Chevron moulded)العقد
 المنفرج (obtuse Arch) العقد المنكسر نصف البيضى

(Parabolic Arch) العقد الموتور (Segmental Arch) (شكل رقم ٤) (٥٥)

إن جل شواهد القبور الإسلامية ذات الهيئة المحرابية العامة كانت مسطحة لكنها غزيرة التنوع فى أحجامها ومقاساتها وأنماط عقودها ، واستمراريتها فى كل أصقاع العالم على مر العصور ، مع تنوع موادها الخام المصنوعة منها (حجر ، رخام ، خزف ، جص ، آجر ، ...) (الشكلان رقما ٥ ، ٦) والقليل منها كان مجوفاً يقلد نظائره فى العمائر الدينية ، والنادر منها كان مثقوباً فى جزئه العلوى كى يقاوم الرياح الشديدة ولا يتحطم (شكل رقم ١٢/٦) هذه الشواهد من ذلك الطراز تعد بالملايين ، نكتفى هنا بذكر نماذج منها كالآتى:-

تمثل الهيئة العامة المحرابية المسطحة ذات العقد المدبب اللوحات (من رقم ٣٩ حتى رقم ٤٣) (٥٦) بينما تمثل (اللوحة رقم ٤٤) نفس الهيئة لكنها مجوفة ، وجميعاً بإطار عادى خلا اللوحة (رقم ٤٣) فإطارها مفصص ، واللوحة (رقم ٤٤) بعض محاريبها بإطار معمد الجانبين ومفصص التاج.

وتمثل العقد نصف الدائرى من نفس الهيئة اللوحات (من رقم ٤٥ حتى رقم ٤٨) وإن كانت اللوحة (٤٧) مثلاً للهيئة المجوفة من نفس الطراز ،

٥٥ - رزق (د. عاصم محمد) :- المرجع السابق ، ص ص ١٩٠-٢٠٣ وشكل ١/١٧١ حتى ٣٠/١٧١ .

٥٦ - للمزيد عن شواهد القبور الخزفية انظر :- نور (د. حسن محمد) :- شواهد قبور خزفية من إيران الصفوية ، مجلة العصور ، دار المريخ للنشر ، لندن ، المجلد ٢١- يناير ٢٠١١م ، ص ٧١-١١٠ ، كما وصلتنا مجموعة كبيرة من شواهد القبور الفخارية والخزفية ذات الهيئة المحرابية المسطحة والمعقودة بعقود متنوعة ، جلبت طينتها من كربلاء حيث استشهد الإمام الحسين ، عليها كتابات بمضامين مذهبية شيعية ، تسجد على هذه المحاريب الصغيرة بعض فرق الشيعة أثناء الصلاة .

واللوحة رقم (٤٨) مسطحة لكن بزائدتين بأعلى الجانبين لحمايتهما من التآكل.

ومن الهيئة المحرابية المسطحة بعقد حدوة الفرس اللوحتان (رقما ٤٩ ، ٥٠) ^(٥٧) وكلاهما متأثر في شكله وتصميمه العام بما ورد من زخارف في قصر الحمراء بغرناطة (لوحة رقم ٥١) وإن اقتربت الهيئة العامة في اللوحة (رقم ٥٠) من الشكل البيضي وزيد فيها بحليتين جانبيتين متكلفتين ساعد على تنفيذهما قالب الصب (شكل رقم ٢٦/٦) ولهذا الطراز أصول قديمة في أسبانيا المسيحية قبل الإسلام منها اللوحتان (رقما ٥٢ ، ٥٣) وكلاهما من جبانة بلنسية ^(٥٨).

ومن نماذج الهيئة المحرابية ذات العقد المفصص اللوحات (من رقم ٥٤ حتى رقم ٥٨) وإن ساعد البروز الشديد في إطار اللوحتين الأخيرتين (رقما ٥٧ ، ٥٨) على التجويف المتعمد لما بها من محاريب . ومن أمثلة الهيئة المحرابية المسطحة ذات العقد المنكسر (شديد التدبيب) مجموعة من شواهد القبور الخاصة بالشعبة الإسماعيلية بجبانة برووكود في بريطانيا (لوحة رقم ٥٩) ^(٥٩) (شكل رقم ١/٦ - ٥/٦).

ومن الهيئة المحرابية المسطحة التي توحى بهيئة المسلم القائم في صلاته رافعاً يديه لتكبيرة الإحرام اللوحتان (رقما ٦٠ ، ٦١) ^(٦٠) وفي اللوحة (رقم ٦٠) مجموعة من شواهد القبور الإسلامية المتأثرة بنظائرها غير الإسلامية بنفس المنطقة ، فذلك النمط من الشواهد أصول هندية قديمة.

وهكذا تستمر الهيئة المحرابية المسطحة في تنوعها المتصاعد ، فمنها ما يشبه تدرج المقرنصات (لوحة رقم ٦٢) ومنها ما تزداد إستدارته أو تتموج في استطالتها أو يكتنفها كتفان بزائدتين (شكل رقم ٢٤/٦) أو تتكسر في ارتفاعاتها قبل تقوسها أو تتوج برأسين (الشكلان رقما ٥ ، ٦) واللوحتان

(أرقام ٦٣ حتى ٦٦). وتقتضى الأمانة العلمية ذكر الأصول والتأثيرات المتبادلة بين الهيئة المحرابية المسطحة والمجوفة ببعض أنواع عقودها مع نظائرها في الديانات والحضارات السابقة على الإسلام ، حيث وصلتنا أعداد كثيرة جداً من هذه النظائر المسيحية واليهودية (اللوحتان رقما ٦٧ ، ٦٨) ^(٦١) بعضها يحمل تواريخ سابقة على ظهور الإسلام ، وبعضها الآخر معاصر للفترات التاريخية الإسلامية ، بل ومستمر حتى الآن ، وبعضها سبق

^{٥٧} - مرزوق (د. محمد عبد العزيز) :- الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان (د.ت) ص٩٦ ، ص١١٣ وشكل ٥٣ .

⁵⁸ - <http://Commons.wikimedia.org>

⁵⁹ - www.Brookwoodcemetery.com

⁶⁰ - www.photographersdirect.com

⁶¹ - www.Jewishencyclopedia.com

الإشارة إليه في أسبانيا المسيحية قبل الإسلام (اللوحتان ٥٣، ٥٢) أو في أصوله الهندية القديمة (لوحة رقم ٦٠) أو في بعض الحضارات العربية القديمة قبل ميلاد السيد المسيح، مثل قتيان وغيرها باليمن، أو في نظائرها الرومانية قبل ميلاد السيد المسيح (اللوحتان رقما ٦٩، ٧٠) ^(٦٢) وكل ذلك يتعارض مع منطقية تطور المعقد من البسيط، بمعنى رسم أو حفر الهيئة المحرابية أولاً على هياكل غير محرابية، ثم استقلاليتها في أوقات لاحقة.

هذا وتؤكد الدلائل المادية الأثرية أن الهيئة المحرابية المسطحة والمجوفة ليست إبتكاراً إسلامياً، وإنما هي تنتمي للطرز الكلاسيكية التقليدية القديمة، لكن اختلاف المعتقد الإسلامي أضاف لها ما أثرى هيئتها، فكلمة المحراب وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة (سورة البقرة الآيات ١٤٢ - ١٤٤، سورة آل عمران الآيات ٣٧ - ٣٩، سورة مريم الآية ١١) بمعنى المكان المخصص للعبادة، أو الملجأ الآمن، والقبلة تعنى المحراب أيضاً، وقد استخدم رب العزة كلمة القبلة مخاطباً نبيه الكريم قائلاً: "قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها" "سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم...." فالمحراب أو القبلة في الإسلام هي الجهة أو الناحية التي يوجه المسلمون وجوههم نحوها في صلاتهم صوب بيت الله الحرام الذي تتجه إليه كافة محارِب مساجد الأرض، والمحراب علاوة على ذلك يعد رمزاً لوحدة الأمة الإسلامية حينما تتجه عند الصلاة في كافة أقطار الأرض صوب هذه البقعة المباركة من مكة على نحو دائري حول مركز في الوسط، هو الكعبة التي تمثل مركز الكون ^(٦٣).

أما بعد الموت والدفن فشاهد القبر - أيا كان طرازه - ينتصب عند رأس الميت "روسية" وتقاليد الدفن الإسلامية توجب دفن الميت على شقه الأيمن وصدرة ووجهه صوب قبلته في مكة المكرمة كما سبق القول، والمحراب أحد العناصر المعمارية بالمنشآت الدينية التي تؤدي فيها الصلاة التي إن صلحت صلح العمل كله طبقاً لما ورد في الحديث النبوي الصحيح، والمحراب فوق رأس الميت يذكر بعمله الصالح في حياته، ومن ضمنه أنه كان من المصلين، فضلاً عن بساطة شكل المحراب وجماليات تصميماته المتعددة السابقة.

62 - www.livius.org/mo-mt

٦٢ - ياسين (د. عبد الناصر حسن) -: المرجع السابق، ص ٢٣٤.

- ٧٠٦ -

٣- هيئة الأعمدة والدعامات والمسلات :-

(أ) الأعمدة :-

عرفت الأعمدة فى الأبنية منذ العصور القديمة ، ففىما يتعلق بالعمارة المصرية القديمة (الفرعونية) نذكر الأعمدة المربعة والمستديرة وذات القنوات والنخيلية وأعمدة اللوتس والبردى وغيرها (شكل رقم ٧/٧، ٧/٣، ٥/٤) وفىما يتعلق بالعمارة الإغريقية العمود الدورى والأيونى والكورنثى (شكل رقم ٧/٧) والأخير انتقل من العمارة الرومانية إلى العمارة البيزنطية وتطور من تاجه شكل كأسى ذاع استخدامه فى الفن والعمارة الإسلامية حتى صار من أهم سماتها ، وأضاف الرومان العمود التوسكانى وهو اشتقاق مبسط من العمود الدورى ، والعمود المركب والذى جمع تاجه بين الأيونى والكورنثى^(٦٤).

وابتكر المسلمون طرزاً جديدة لهم طبعوها بما يتفق مع ميولهم وعقيدتهم كالأعمدة إسطوانية البدن ذات التيجان الناقوسية أو الرمانية (أى كالرمانية) ثم ابتكروا الأعمدة المثمنة وذات الأبدان المضلعة تضليعاً حلزونياً ومزخرفة بزخارف دالية ، وجعلوا لها وظيفة إنشائية وأخرى زخرفية جمالية خاصة فى الأعمدة الصغيرة المدمجة فى جوانب النوافذ وأركان الأبنية والحنايا المختلفة.

كما عرفت العمارة الإسلامية العمود المطوق ، وهو الذى يطوق بحزام معدنى فيما بين التاج والبدن وفىما بين القاعدة والبدن.

وفىما يتعلق بالتيجان والقواعد فقد عرفت الأعمدة فى العمارة الإسلامية التاج الناقوسى ، والناقوسى بهيئة زهرة اللوتس المصرية ، والتاج الرمانى ذو القطاع الدائرى أو المثمن المشتمل أحياناً على وريقات نباتية زخرفية ، أما التاج المقرنص فلم تعرفه العمارة الإسلامية إلا بعد شيوع المقرنصات فيها بعد القرن ٧هـ / ١٣م (شكل رقم ١/٧ ، ٢/٧ ، ٦/٧)^(٦٥).

وربما تأخر ظهور شواهد قبور إسلامية معمدة حتى منتصف القرن ٣هـ / ٩م حيث وصلتنا بوادره فى تونس (لوحة رقم ٧١)^(٦٦) فى مجموعة من

^{٦٤} - محمد (د. سعاد ماهر) :- العمارة الإسلامية علي مر العصور ، الجزء الأول ، دار البيان العربى ، جدة ، ١٩٨٥م ، ص٤٨-٤٩ ، رزق (د. عاصم محمد) :- المرجع السابق ، ص٢٠٣-٢٠٤ .

^{٦٥} - رزق (د. عاصم محمد) :- المرجع السابق ، ص٢٠٣-٢٠٤-٢٠٨ .

^{٦٦} - زبيس (د. سليمان مصطفى) :- نقائش جديدة من القيروان ، القسم الثالث من ديوان النقائش العربية الموجودة فى البلاد التونسية ، المعهد القومى للآثار والفنون ، ١٩٧٧م ، ص٢٢ .

الشواهد المبكرة المؤرخة بعام ٢٦٦هـ / ٨٧٩م ، وإن تكسرت تيجانها بصورة لم توضح نمط التيجان، لكن بقيت القواعد منحوتة مطوقة.

واستمر تطوير النمط المعمد بهيئته العامة وتفاصيل قواعده وتيجانه في معظم أنحاء العالم الإسلامي على مر العصور بلا انقطاع.

فمن الأمثلة الجميلة من القرن ١١/٥م شاهد قبر من تونس مؤرخ بعام ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م (لوحة رقم ٧٢) والناظر لقمة الشاهد يتذكر مباشرة عنصر البابية أو الرماننة أو التفاحة ، وهى الأجزاء الكروية التى تعلو القوائم الرخامية أو الحجرية بالدرابزينات التى تتقدم حجور المداخل أو تحدد جوانب التركيبات التى تعلو فساقى الدفن أو شرفات المآذن.^(٦٧)

ومن القرن اللاحق به شاهد من نفس البلدة ومن نفس الطراز مؤرخ بعام ٥٧٥هـ / ١١٧٩م (لوحة رقم ٧٣) محفوظ بمتحف الدوحة ، المتأمل فى قمته سرعان ما يتذكر نظائره فى مآذن بخارى وقممها (لوحة رقم ٧٤) .

ومن مصر فى العصر الفاطمى وصلتنا نماذج بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة (لوحة رقم ٧٥)^(٦٩) فهى مؤرخة بعامى ٥٣٧هـ / ١١٤٣م ، ٥٥٠هـ / ١١٥٥م ، وتأخذ الصفة المعمارية التامة لهيئة العمود (قاعدة ، بدن ، تاج) وبالتاج إرهاصات لظهور المقرنصات.

ومن مصر فى العصر المملوكى البحرى وصلتنا نماذج كثيرة بعضها قمته كالبابية (لوحة رقم ٧٦)^(٧٠) ، (لوحة رقم ٧٧)^(٧١) .

وإذا انتقلنا إلى أزمير فى تركيا فى العصر السلجوقى قابلنا ذلك الطراز فى هيئة مطورة ، فهو فى جزئه السفلى إسطوانى ، وفى جزئه العلوى مضع معقود ومقرب أو غير مقرب (اللوحتان رقما ٧٨ - ٧٩)^(٧٢) .

وذكرت المنشورات القديمة^(٧٣) عن صقلية وصول تسعة نماذج من هذا الطراز دونما عرض لصورها التى أوردت بعضها الدراسات الحديثة^(٧٤) .

٦٧ - الحداد (د. محمد حمزة إسماعيل) :- المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنقوش الأثرية والنصوص الوثائقية والتاريخية ، الطبعة الثالثة ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٨م ، ص ٩٢

٦٨ - www.you-are-here.com/qantara/islamicArt.

٦٩ - Wiet (Gaston) :- Catalogue Genral Tome Sexiem .pl.xxxvi,pl.xxxix

٧٠ - Ibid,pl.xL.vIII

٧١ - Ibid,pl.LI

٧٢ - www.SuperStock.com

٧٣ - رسلان (د. عبد المنعم) :- الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا ، تهامة ، جدة ، الكتاب الجامعي - ٤ - ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م حيث أورد عشر صور لشواهد مستطيلة ومقاربات ولم يورد صوراً لشواهد إسطوانية .

٧٤ - Grassi (v) :- " The stele Funerarie di sicilia , provenienze problemi Aperti " 2002

ومن شبه جزيرة القرم في أوكرانيا وصلنا نموذجاً (لوحة رقم ٨٠)^(٧٥) قمته عبارة عن قبيبة بفصوص دائرية يذكرنا ببعض نظائره بعمائر مصر المملوكية الجركسية (قبة مسجد أولجاي اليوسفي بسوق السلاح بالقاهرة) .

ومن إستانبول في العصر العثماني تبقّت أعداداً كثيرة للغاية ، ومنتوعة في تفاصيلها، بعضها بدون قاعدة والبعض الآخر بقواعد دائرية أو مربعة ، قصيرة أو مرتفعة ، وبعضها بدون تاج ، والبعض الآخر بنتيجان تذكر بخشب الخرط وبرامقه ، وبعضها له مضاهي ، والبعض الآخر بدون مضاهي ، وبعضها ينتصب بجوار تركيبة القبر الرخامية ، أو يلتصق بها ، أو يرتفع فوقها بمزيد من المهابة والجلال ، وفي جميع الأحوال لا يخرج بدن العمود عن الهيئة الإسطوانية (اللوحات أرقام ٨٢، ٨١، ٨٣)^(٧٦)

ووصلتنا شواهد قبور يهودية ومسيحية بهيئة عمود إسطواني ، سواء قبل ظهور الإسلام أو بعد ظهوره ، وظلت مستخدمة عندهم خاصة لدى المسيحيين حتى الآن سيما في الجبانات الأوربية ، بيدن إسطواني أو بقتوات أو على قاعدة مرتفعة ، أو عمود مكسور متعمدين ذلك كي يرمز إلى الحزن خاصة إذا كان المتوفى صغير السن (اللوحتان رقما ٨٤ ، ٨٥) أما عن الجذور الأولى لشواهد القبور من الطراز الإسطواني المعمم والمطوق فموجود منه حوالي ستمائة عمود بجبانة النبي خالد بجبل جوجة داغ (gugie daagh) شمال شرق يران (لوحة رقم ٨٦)^(٧٧) .

(ب) الدعامات :-

هي في المصطلح الأثرى المعماري المساند والأكتاف - المربعة أو المستطيلة أو الدائرية أو نصف الدائرية - التي يستند عليها سقوف العمائر المختلفة إما بشكل مباشر وإما على بوائك أو عقود فوق هذه الأكتاف أو الدعائم . قيل أن أول ظهور لهذه الدعائم وجد في السواند الكلاسيكية حيث يحول ساق العمود إلى تكوين زخرفي متكامل ، وتحول زخارفه إلى دلايات وتيجان بأشكال عديدة منها البيضاوى والقرصى واللؤلؤى وجذع الشجرة والورقة القلبية ، كما قد تكون على شكل باقة علقّت بها سيقان تنتهي بفواكه

⁷⁵ - www.dreamstime.com

⁷⁶ - www.lonelyplantimages.com, www.superstock.com

^{٧٧} - يقول أهالي المنطقة عن هذه الأعمدة أنها شواهد قبور إسلامية ، وأن النبي خالد كان باليمن قبل سيدنا محمد (ص) بأربعين عاما ، لكن الدراسات الأثرية أثبتت أن أقصر الأعمدة كان ٥٠سم ، وأطولها ٤متر ، وأنها ذات وظيفة معمارية وليست شواهد قبور لخلوها من الكتابات ، وأنها ترجع إلي أربعة آلاف سنة قبل الميلاد ، وأن أصولها من منطقة فاليك (Phallic) بالهند ، وأنها ترمز إلي عضو التناسل الذكري .

وزهور ووريدات ، أو على شكل زخارف شبيهه بالخرشوف ، ومن ذلك أيضاً الدعائم ذات القمم المشطوفة الحواف .^(٧٨)

ولما كانت الدعائم قديمة الاستخدام فى العمائر لدورها الوظيفى والزخرفى فقد انتقلت هيئتها إلى شواهد القبور الإسلامية ، ويبدو أنها كانت أكثر انتشاراً فى منطقة القوقاز وشرق العالم الإسلامى أكثر بكثير عن بقية النطاقات الأخرى ، وذلك فى تنوع بديع فى شكلها وقمتها وزخارفها ، من ذلك شاهد قبر بإحدى جبانات دربند فى داغستان (لوحة رقم ٨٧)^(٧٩) وشواهد الجبانة كلها من نفس الهيئة المكعبة شديدة الإستطالة ، غنية الزخارف ، متوجة بقبيبة مفصصة وكأنها تدور ، أو متوجة بإفريز بارز غير مقرنص.

وثمة جبانة فريدة فى أذربيجان تسمى جبانة حميد الصوفى (لوحة رقم ٨٨)^(٨٠) بها مئات من شواهد القبور الإسلامية بهيئة دعامة مرتفعة لها قاعدة مربعة وبدن مقسم إلى أقسام مطوقة بإفريز بارز يفصل بين كل قسمين ، وتنتهى الدعامة بما يشبه جوسق المئذنة المغطى بقبيبة مفصصة ، زاد فى هيئة الدعامة إتصاقها بتركيبة رخامية فوق القبر بحيث توازن الإمتداد الأفقى للتركيبة مع الإستطالة الرأسية للدعامة ، كما زاد من جمالياتها ثراء الزخارف وتذهيبها حتى انفردت تلك الجبانة بالوصف السابق لشواهدا وتراكيبها ليس بين جبانات جمهورية أذربيجان ، وإنما بين جبانات العالم ، لأن حتى ألوان زخارفها كانت من الباستيل ، وهى ألوان جافة خالية من المذيبيات .

ومن بين الهيئات الكثيرة لشواهد القبور الإسلامية بجبانات إقليم " إتشيه " فى أندونيسيا تنتصب الدعائم بشكل يختلف عما ورد بجمهوريات القوقاز ، فهى متنوعة القواعد والقمم ، لكنها موحدة فى بدنها المفرغ والمجدول كشبكة العنكبوت (اللوحتان رقما ٨٩ ، ٩٠)^(٨١) وبعضها له قاعدة مربعة مطوقة بإفريز بارز يفصلها عن البدن ، والبعض الآخر بدون قاعدة ، وبعضها له قمة كالزهرة المتفتحة ، والبعض الآخر قمته كهيئة شخشيخة القبة ذات الفانوس.

والواقع أن القبيبات التى تتوج هيئة الدعائم فى شواهد القبور الإسلامية متنوعة ، ولا شك فى أنها متأثرة بنظائرها فى العمارة الإسلامية عامة وفى القباب التى كانت تغطى الأضرحة خاصة ، فكم من قباب لا تزال تغطى

^{٧٨} - رزق (د. عاصم محمد) :- المرجع السابق ، ص ١٠٨

⁷⁹ - www.glowimages.impactinit.com

⁸⁰ - www.azeri.org

⁸¹ - <http://archnet.org/library>

الأضرحة والمشاهد والمقامات والمزارات ، بعضها عبارة عن بناء محدودب له شكل كرة مشطورة عند أوسطها ، أو شكل بيضاوى أو مخروطى أو حلزوني أو مضلع أو مفصص وكأنه يدور أو بهيئة فانوس ، وغير ذلك (شكل رقم ١/٨ ، ٢/٨ ، ٣/٨ ، ٤/٨ ، ٥/٨ ، ٦/٨)^(٨٢) كما زخرفت أسطحها الخارجية بالزخارف الدالية والأطباق النجمية والأشكال النباتية والهندسية فى إيقاع زخرفى متوازن يوائم التناقص التصاعدى لسطحها ، حتى قيل بشأن القبة وقطاعاتها وزخارفها الشئ الكثير مثل:- أنها تمثل قبة السماء المظلمة للأرض بكل ما فيها من سعة ورحابة وجلال، تفسيراً لقوله تعالى " خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تُميد بكم " ^(٨٣) وقيل أنها تساعد بشكلها الأجوف المقوس على جمع الأصوات عند الصلاة وتعمل على ترديد رجعتها أو صداها بشكل إيحائى يدخل الخشوع والانفعال الوجدانى عند المصلين ، فضلاً عن دورها الوظيفى والجمالى.

وفى باب التجذير نجد أصولاً يهودية ومسيحية لشواهد القبور الإسلامية من طراز الدعامة ، ثم استمرت التأثيرات المتبادلة بعد الإسلام خاصة فى نفس النطاقات الجغرافية ، ويكفى أن نقارن بين مجموعة من شواهد القبور المسيحية بإحدى جبانات أرمينية (لوحة رقم ٩١)^(٨٤) وهى من القرن ١١هـ / ١٧م وما بعده (شكل رقم ١٣/٩) وأشبابها بجبانة حميد الصوفى بأذربيجان (لوحة رقم ٨٨) كما وصلتنا شواهد قبور مسيحية مبكرة عبارة عن دعائم مكعبة (لوحة رقم ٩٢)^(٨٥) وأخرى حديثة نسبياً من جبانة (Gorhayk) بأرمينية (لوحة رقم ٩٣)^(٨٦) قلدها بعض نظائرها الإسلامية (لوحة رقم ٩٤) وفى جبانة " سولاوسى " شمال شرق أندونيسيا توجد مجموعة من شواهد القبور المسيحية (لوحة رقم ٩٥)^(٨٧) بهيئة دعامة مكعبة قصيرة وقمتها هرمية ، أما الأمثلة اليهودية الحديثة نسبياً فمنها دعائم خشبية مكعبة ذات قمة كروية من بعض جبانات أوروبا الشرقية. وتبقت نصب تذكارية وشواهد قبور بهيئة الدعائم من بعض الحضارات السابقة على الديانتين المسيحية واليهودية ، كحضارات الفراعنة والهنود والعرب.^(٨٨)

^{٨٢} - رزق (د. عاصم محمد) :- المرجع السابق ، ص ١٧٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦

^{٨٣} - سورة لقمان ، آية ١٠

^{٨٤} - www.123rf.com

^{٨٥} - www.panoramio.com

^{٨٦} - www.Superstock.com

^{٨٧} - www.lonelyplanetimages.com

^{٨٨} - عن تعريف النصب التذكاري انظر ملحق الدراسة .

(ج) المسلات :-

المسلة هي برج أو عمود حجرى ، نحيف عمودى ، أو ذو أربعة جوانب ، وينتهى رأسه بهرم صغير ، ترتفع عادة لقرابة أربعين متراً ، اشتهرت به الحضارة المصرية الفرعونية (لوحة رقم ٩٦) كما عرفت فى حضارات قديمة أخرى فى سوريا وأشور والحبشة وروما ، وهى ترمز فى الحضارة الرومانية للحزن والموت والخلود والحداد ، كما يرمز الشكل الهرمى - قمة المسلة - للموت.

واقتبس شكل المسلة لعمل شواهد قبور لدى بعض الحضارات والديانات السابقة على الإسلام ، حيث وصلنا شاهد قبر بهيئة مسلة مزدوجة ذات رأسين كل منهما هرمى ، فى قرطاج بتونس ، ويرجع إلى القرن ٣ ق.م (لوحة رقم ٩٧)^(٨٩) كما وصلتنا نماذج كثيرة منه فى بعض جبانات الشرق الأقصى كالصين واليابان

(لوحة رقم ٩٨)^(٩٠) واستعمل فى بعض الجبانات المسيحية قبل الإسلام خاصة فى نطاق شرق أوروبا ، حتى انتشر بعد ذلك فى جبانات أوروبا كلها وأمريكا ، واستمر مستعملاً حتى الآن (لوحة رقم ٩٩) وتتوعدت النهايات التى تتوج القمة الهرمية فمنها ما هو بهيئة مزهرية أو أنية أو صليب أو كرة صغيرة أو غير ذلك ، ومن أمثله الشهيرة التى تسبق فتح العثمانيين للبوسنة، شاهد قبر الملك تفرتكو الأول (Tvrtko) المتوفى عام ٧٩٤هـ / ١٣٩١م (لوحة رقم ١٠٠)^(٩١) ذلك أن العثمانيين فتحوها عام ٨٦٨هـ / ١٤٦٣م ، ونذكر البوسنة لأن هذا النمط من شواهد القبور الإسلامية لم يكتب له الانتشار سوى فى مجموعة دول شرق أوروبا خاصة البوسنة والهرسك ويوغوسلافيا السابقة والصرب وأوكرانيا وغيرها ، حتى أن جبانات بأكملها فى بعض هذه الدول لم يستخدم فيها سوى هيئة المسلة

(اللوحات أرقام ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥) وإن كان استعمالها لذلك الطراز لا ينفى استخدام طرز أخرى معه ، هذا وقد تنوعت أبدان وقمم المسلات بالنماذج الإسلامية المشار إليها فمنها ذات البدن المكعب والقمة الهرمية بطرف مسنن أو بطرف مقبب أو بقمة مشطوفة ، ومنها ذات البدن المضلع والقمة المسلوقة ، وهى فى كل ما سبق إما أنها تذكر بشجرة السرو أو ببعض طرز المآذن أو بأبراج بعض الأضرحة أو ببعض طرز الخيام بكل ما تحمل الأمثلة السابقة من مغزى ومعنى على التفصيل التالى:

⁸⁹ - www.Corbisimages.com

⁹⁰ - www.123rf.com

⁹¹ - www.Skyscrapercity.com

انتشرت تلك الهيئة في أوروبا الشرقية في العصر العثماني ، وتعتبر شجرة السرو (لوحة رقم ١٠٦) من أخص مميزات الفن العثماني ، واختيارها من بين الأشجار الكثيرة المتوفرة في البلاد العثمانية والعناية برسمها تلك العناية التي جعلت منها أحد المعالم البارزة في هذا الفن ، يرجع إلى رائحتها الطيبة مما جعل منها خير ما يزين ساحات القبور والمزارات حتى تغطي رائحتها العطرة على ما قد ينبعث من تلك الأماكن من روائح غير مقبولة ، كما أن خضرتها لا تتغير على مدار العام ، واللون الأخضر هو المفضل عند المسلمين لأنه شعار الأسرة النبوية ، ولعل العثمانيين رأوا في طول شجرة السرو الفارع وقوامها الرشيق وتطلعها نحو السماء ما يربط بينها وبين صعود الروح إلى بارئها بعد أن تترك الجسد الفاني في القبر ، ولعلمهم رأوا فيها ما يذكرهم بمنذنة المسجد التي ينبعث منها الأذان خمس مرات في اليوم بما يوقظ في النفس الشعور الديني ويذكر الإنسان بالأخرة حيث الراحة والنعيم المقيم ، من أجل هذه المعاني كلها أو بعضها أقبل العثمانيون على تزيين معظم ما أخرجته أيديهم من عمائر وتحف بالصور والرسوم المختلفة لهذه الشجرة، فراها على كثير من الفنون التطبيقية ، كسجاجيد الصلاة

(طراز ميلاس وغيره) ومرسومة على محاريب المساجد وعلى جدرانها ، ومنقوشة على شواهد القبور^(٩٢)، ثم جعلوا الهيئة العامة لبعض شواهد القبور كهيئة شجرة السرو في استقامتها وكأنها رمز للحرف الأول من لفظ الجلالة (الله) فهي رمز التوحيد ، والاستقامة والحقيقة.

أما عن المآذن فقد اختلفت أشكالها في العمارة الإسلامية عامة وذلك باختلاف البلدان المقامة فيها ، فهي مخروطية الشكل في بلاد فارس ، مربعة في إفريقية والأندلس ، وأسطوانية ذات قمة مخروطية مدببة في أعلاها في تركيا، ومتنوعة في دوراتها وجوانبها وقممها في مصر، فمنها ما هو كالمبخرة أو كالخوذة المضلعة أو برأسين أو بعدة رؤوس^(٩٣)

(شكل رقم ١/٩ حتى ١١/٩). وثمة مجموعة كبيرة من الأضرحة في تركيا وإيران تكاد تتطابق هيئاتها العامة مع طراز المسلة ، منها ضريح قليج أرسلان في قونية ، القرن ٦هـ / ١٢م (شكل رقم ٨/٨) وضريح بوبالي كوي في أفيون بتركيا، بداية القرن ٧هـ / ١٣م (شكل رقم ٧/٨) وضريح شاه ركن الدين في دز فول بإيران ، حوالي القرن ٧هـ / ١٣م (شكل رقم ٩/٨) وضريح سلجوق في إسكي شهر (لوحة رقم ١٠٧) وآخر في همدان بإيران (لوحة رقم ١٠٨) وضريح جونباي قابوس في جرجان بإيران

^{٩٢} - مرزوق (د. محمد عبد العزيز) :- الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م ، ص ٣٨-٣٩ .

^{٩٣} - رزق (د. عاصم محمد) :- المرجع السابق ، ص ٣١١

(لوحة رقم ١٠٩) هذه الأضرحة مغطاة بقباب هرمية مضلعة أو مخروطية، وتشبهها في الهيئة العامة مجموعة من التحف التطبيقية السلجوقية والعثمانية كالتنانير والمباخر وصناديق المصاحف ، هذه الهيئة المنشورية المغطاة بقباب هرمية مستوحاة من أشكال الخيام التركية والمغولية من الطراز المخروطي (لوحة رقم ١١٠) (٩٤).

٤- الهيئة المعممة:-

الدولة العثمانية دولة طبقية ، تضم أحراراً وقولاراً (عبيد) وباستثناء السلطان والأمراء فجميع الهيئة الحاكمة العثمانية من أصغر فرد حتى رئيس الوزراء من الأرقاء ، وهم مسلمون تضمهم طبقتين ، طبقة عسكرية كالمشاه والسباهية (الفرسان) والإنكشارية وغيرهم، وطبقة حاكمة تتولى المناصب والإدارة وحكم الولايات . أما طبقة الأحرار فقسمن أيضاً كلاهما مسلم ، قسم يتولى مناصب عسكرية ومدنية قيادية ، وقسم تمثله الهيئة الدينية الإسلامية التي تتولى القضاء والإفتاء والأوقاف والإشراف على المؤسسات الدينية ، وطبقة الأحرار بقسميها مسلمين عاديين في مستوى أدنى من مستوى القولار (٩٥).

نذكر ذلك لصلته المباشرة بالموضوع ، فإلى جانب هذه الطبقية حكمت الدولة العثمانية رعايا وأجناس شتى كالعرب والأكراد والتركمان والشراسة والبربر والسريان والأرمن والألبان والبوشناق والرومان والصرب والبلغار والكروات والقبارصة والعجر والقرزق وغيرهم، ولكل قومية وجنسية زى خاص ومن ضمن الزى غطاء الرأس.

لقد حرص العثمانيون حرصاً شديداً على التمسك بالطبقية في التركيبة الاجتماعية في حياتهم ، وانتقلت بعد مماتهم إلى هيئات شواهد قبورهم وتراكيبها ، لدرجة فرقت بين شاهد قبر الرجل وشاهد قبر المرأة ، وقبل تفصيل ذلك يجب تعريف أغطية الرؤوس العثمانية الآتية:-

- الكولاة:- يلبسها النساء والرجال من المدنيين والعسكريين ، وهى من الصوف أو القطن أو اللباد أو القماش ، لها عدة أشكال في معظمهما على شكل مخروطى أو بشكل قبة أو بشكل إسطوانى يتسع فى اتجاه الجزء العلوى ، أو بشكل أنبوب أو خوذة أو قبة بحواف عريضة ، ومنها ما يرتديه خدم البلاط ، ومنها الخاص بالإنكشارية ، أو بالضباط وأحياناً تتركب

٩٤ - نور (د. حسن محمد) :- الخيام في تصاوير المخطوطات الإيرانية حتى نهاية القرن ١٢هـ/١٨م ، دراسة حضارية فنية ، مجلة كلية الآثار بقنا ، العدد الأول ، يوليو ٢٠٠٦م ، ص ١٨٤ وشكل رقم ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ .

٩٥ - الشناوي (د. عبد العزيز محمد) :- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الجزء الأول ، ١٩٨٠م ، ص ١١٩ ، ١٢٨ .

فوقها ريشة ، ومنها الخاص بالدروايش الصوفية حيث كان لكل طريقة صوفية الحق في استخدام عدة أنواع كالمتموج وذى الجديلة وغير ذلك مما سيفصل بعد قليل ، استمرت الكولات حتى القرن ١٣هـ / ١٩م ليحل محلها الطربوش.

العمامة :- تصنع من القطن أو القماش ، وتكون صغيرة الحجم أو كبيرة حسب عدد طياتها ولفاتها حول طاقية أو قلنسوة طويلة يرتفع طرفها من وسط اللفائف ارتفاعاً بسيطاً أو كبيراً حسب هبتها ، فمنها ما يزود بريشة أو بريش ، أو بحجر كريم أو شبه كريم ، أو بطوخ أو بطوغ وهو ذوابة من شعر الخيل يعلق بالعمامة أو بسارية ترفع أمام المواكب والحفلات الرسمية ، وعدد الأطواغ هو الذى يحدد مراكز كبار رجال الدولة ، فالسلطان له تسعة أطواخ ، والصدر الأعظم خمسة ، وللوزير من رتبة الباشوية ثلاثة ، وللبك طوخاً واحداً أو اثنين ، وفي استخدام الأطواغ خير دليل على التمسك الشديد بالتقاليد القبلية التركية القديمة ^(٩٦) (لوحة رقم ١١١ / ١ / ٢ / ٣ / ٤ / ٥) وشكل

(رقم ٣ / ٢ / ١ / ١١) ويرتدى العمامة مدنيين وعسكريين من طبقات عدة فى المجتمع العثماني بما فيهم السلاطين قبل شيوع الطربوش ، مع تنوع فى كيفية إنسداد طياتها ومسمياتها ، وتوضح اللوحة (رقم ١١٢) أن حوالى ثلاثين سلطاناً من سلاطين آل عثمان يرتدون فى تنوع هباتها ومكملاتها ، ولم يرتد الطربوش منهم سوى آخر ستة سلاطين.

القاووق :- عمامة عثمانية كانت تلبس قبل انتشار لبس الطربوش ، وهى عبارة عن شريط طويل من القماش تلف بارتفاع ما بين (٤٠ - ٦٠سم) بطرق مختلفة ، ويتم المحافظة على قوامها باستخدام قوائم داخلية من المعدن أو تركيب سلة بداخله ، وكان لابد من لبسها مع اللف فى طيات ، وهى أنواع كثيرة أبرزها :- قلاوى ، سليمي ، مجوزة ، عُرفُ ، خرطاوى ، كاتبي ، قلفات ، فالقلاوى مخروطى الشكل ويضيق من أعلاه ، والمجوزة إسطوانية الشكل واستخدمها رجال الدولة العثمانية فترة طويلة ، والسليمي قاووق يرتفع ٦٥سم وقمته منبسطة تلف حول عمامة بيضاء وينسب للسلطان سليم الأول (٩١٨ - ٩٢٧هـ / ١٥١٢ - ١٥٢٠م) والعُرفى قاووق ضخم يشبه القبعة ويلبسه رجال الدين فى القرن ١٢هـ / ١٨م ، والخرطاوى قاووق مرتفع مدبب يلبس بدون عمامة وكان منتشراً فى القرن ١١هـ / ١٧م . ^(٩٧)

^{٩٦} - نفس المرجع السابق ، ج١ ، ص ٣٦٥ .

^{٩٧} - صابان (د. سهيل) :- المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، السلسلة الثالثة - ٤٣ - مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ٢٠٢ .

- **الطربوش (الفس fez):** - اتخذ لابساً رسمياً في الدولة العثمانية بعد إلغاء الإنكشارية عام ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦ م ، ويصنع من الصوف المضغوط (اللباد) أو من الجوخ الملبس على قاعدة من القش أو الخوص المحاك على شكل مخروط ناقص ، ولكل رأس قالب خاص حيث يتراوح ما بين ٢٥ : ٧٥ سم ، يلبس بدون عمامة ، ويزود دائماً بشرابة سوداء متدلّية تطول أو تقصر (لوحة رقم ١١٣) وقد تلف حوله عمامة بيضاء أو ملونة بسيطة وقليلة الطيات خاصة حول جزئه السفلى (لوحة رقم ١١٤) اشتهرت به مدينة فاس المغربية حتى خلعت اسمها عليه (fes) وكان دائماً باللون الأحمر حتى صنع مؤخراً بألوان أخرى أشهرها الأسود ، وانتشر في أنحاء العالم.

- **القلبيق:** غطاء رأس من الصوف يرتديه الرجال والنساء.

إن الدالف لمقبرة عثمانية فكأنما يزور متحفاً مفتوحاً وليس مدينة للأموات تنتصب فيها أعمدة الرخام بجوار تراكيب القبور ، فهذه الشواهد لغة ولسان لمن يفهم^(٩٨) ، لأن هيتها العامة وحدها تفصح عن جنس الراقد أسفلها رجلاً كان أم امرأة ، وطبقته الإجتماعية ومهنته ونوع طريقته الصوفية ، كل ذلك من هيئة الشاهد ، وبما يتضافر معها من نصوص الشاهد وزخارفه وألوانه ، على التفصيل التالي:-

(أ) قمم شواهد قبور المتصوفة :-

حفر مشايخ الصوفية ومريديهم كثيراً من الأشكال والرموز على شواهد قبورهم ، فإن كان مولوياً عمل على شاهد قبره عمامة مولوية ، وإن كان من مريدي الطريقة القادرية زخرف شاهد قبره بزهرة القادرية ، وهي زهرة تتغير هيئتها حسب فرع الطريقة ، فإن كان من أتباع الفرع الرومي للطريقة القادرية زخرف شاهده بشكل تاج ذي ثمانية رؤوس في وسطه زهرة الطريقة القادرية ، وإن كان في فرع آخر من هذه الطريقة زخرف الشاهد بنجمة ثمانية ضمن تاج حوله عمامة ، وإن كان من إتباع الطريقة البيرامية زخرف شاهده بهيئة قانسوة سداسية ، وإن كان من أتباع الطريقة النقشبندية زخرف شاهده بتاج ذي أهداب ، وإن كان من أتباع الطريقة السنبلية - أسسها الشيخ سنبل سنان - زخرف شاهده برمز تلك الطريقة وهو السنبل، وكثير من الطرق الصوفية كانت تحفر على شواهد قبورها ٠ مع رموزها الخاصة - بعض رموز الصوفية بصفة عامة كالكشكول والفأس وحجر التسليم باثنتي عشرة زاوية ، وهو ما كان يحمله دراويش البكتاشية في

^{٩٨} - أوغر لوايل (طلحة): - لمسات الجمال في شواهد القبور العثمانية ، مجلة حراء ، العدد العاشر - مارس ٢٠٠٨ م . ص ٣٢-٣٦ .

أعناقهم^(٩٩) ، ورمز المغرفة (جمع مغارف وهو رمز إطعام الطعام وتوزيعه على الناس) وغير ذلك من الرموز والشارات الخاصة بمعتقد الصوفية.

وانتقلت بعض الرموز والأشكال السابقة من كونها محفورة على جسم الشاهد لتتبوأ مكانتها كهيئة عامة لقمة الشاهد بما يلفت الانتباه من مجرد النظرة الأولى العابرة لحقيقة وكنهه ومشرب الراقد أسفله، ومن بين مئات شواهد القبور التي قمتها بهيئة معممة وقع اختياري على حوالي عشرين منها ، لا يتطابق فيها شاهد مع آخر (اللوحات من رقم ١١٥ حتى رقم ١٢٨) فمنها ما قمته بهيئة قلنسوة إسطوانية طويلة من الجوخ المضغوط ، ملساء بدون أية تفاصيل ، وهي خاصة ببعض فرق المولوية (لوحة رقم ١١٥) (شكل رقم ٦/١٠) .

ومنها ما قمته بهيئة تاج تبرز منه زهرة متعددة البتلات ، مع حفر سنبله مائلة تقطع التاج أسفل البتلات ، خاصة بالطريقة السنبلية (لوحة رقم ١١٦) (شكل رقم ٧/١١) وهي من شاهد بجبانة ضاحية أيوب بإستانبول ، ومنها ما قمته بهيئة مثلثة بثلاثة فصوص كبيرة ، الأوسط إسطواني ومنقوش بحزوز شبكية ، والجانبين بسطح أملس، خاصة بالطريقة البكتاشية (لوحة رقم ١١٧) (شكل رقم ٤/١١) وهي من شبه جزيرة القرم في أوكرانيا، ومنها ما قمته بهيئة طاقية إسطوانية كبيرة يلتف حول ثلثها السفلى لفائف مجدولة كالسلة (لوحة رقم ١١٨) (شكل رقم ١٩/١٠) وهي من جبانة فاماجوستا شمالي قبرص ، ومنها ما قمته بهيئة إسطوانية مفصصة تستدق قليلاً عند القمة وتطوق بطوق في ثلثها السفلى (لوحة رقم ١١٩)

(شكل رقم ٦/١١) وهي من إحدى جبانات مدينة بورصة ، ومنها ما قمته كالخوذة الكروية ذات القونس المسلوب كبير الاستطالة (لوحة رقم ١٢٠) (شكل رقم ١٠/١٠) وهي من إحدى جبانات البوسنة ، ومنها ما قمته بهيئة البابة في تراكيب القبور المجاورة للشاهد (شكل رقم ٨/١١) ومنها ما قمته بهيئة عمامة صغيرة أو كبيرة ، انتظمت طياتها ولفاتها في وضع إسطواني ، أو كروى ، أو كمثرى ، أو غير ذلك ، بحيث تحبك اللفائف في وضع رأسى أو عرضى أو مائل يميناً أو يسرة ، أو كلاهما معاً ، أو يقطع اللفائف العرضية المنتظمة لفافة مائلة ، وقد تغطي اللفائف الطاقية أو القلنسوة أسفل العمامة بكاملها ، أو يبرز طرفها من وسط العمامة بارتفاع يطول أو يقصر ، وبتفاصيل قنوات رأسية ضيقة ، أو بحزوز دالية متتالية ، أو يكون أملس دون تفاصيل ، وقد تلون قمة الشاهد بلون ما ، وقد تترك بلون الرخام الطبيعي (اللوحات من رقم ١٢١ حتى رقم ١٢٨)

^{٩٩} - نفس المرجع السابق ، ص ٣٦-٣٢ .

(الأشكال رقم ٥/١٠ ، ١٤/١٠ ، ١٥/١٠ ، ١٦/١٠ ، ١٧/١٠ ، ١٨/١٠ ، ٢٠/١٠ ، ٥/١١) ولا يخفى صلة ذلك بتفضيل كل طريقة صوفية للون معين تتميز به عن غيرها من الطرق الأخرى ، فاللون الأبيض فضلته جماعة الدراويش القادرية ، واللون الأحمر فضلته جماعة الدراويش الأحمدية ، واللون الأخضر فضلته جماعة الدراويش البرهامية ، واللون الأزرق فضلته الطريقة الرفاعية ، لقد فضلت هذه الطرق الصوفية تلك الألوان لدرجة جعلت منها شعاراً لها، لونت به بيارقها وأعلامها ، وجعلته في أراضيات بعض سجاجيد الصلاة العثمانية

(كاللوحات أرقام ٢٧ حتى ٣١) ووصلنا دليل أثري آخر متمثلاً في تصاوير بعض المخطوطات العثمانية التي تم تزويقها في تكايا المولوية بقونية وبغداد حسبما ورد بخواتيم هذه المخطوطات (١٠٠) ، وغيرها مما نفذت تصاويره برسم البلاط الرسمي في إستانبول ، ففي اللوحة (رقم ١٢٩) نشاهد أحد أقطاب الطريقة المولوية بعمامته البيضاء الضخمة التي بولغ في حجمها ولفائفها ، وفي اللوحة (رقم ١٣٠) نرى أحد درويش المولوية يؤدي رقصة الطريقة وعلى رأسه قلنسوة مخروطية حمراء بينما يؤديها زميله في اللوحة (رقم ١٣١) وعلى رأسه عمامة خضراء ترتفع من وسطها قلنسوة حمراء ، في حين ظهر الدراويش المولوى باللوحة

(رقم ١٣٢) بعمامة متعدد الطيات ذات نوابة منسدلة بين الكتفين ، وتغطي الطيات الجزء السفلى من قلنسوة كبيرة ، كل ما سبق من تنوع يخص طريقة صوفية واحدة من مجموع الطرق الصوفية الكثيرة المنتشرة في العصر العثماني.

ولم يتوقف التنوع على قمة الشواهد فحسب ، بل تعداه إلى بقية جسم الشاهد، الذي يكون تارة بهيئة دعامة مستطيلة أو عمود إسطواني أو دعامة مكعبة أو مضلعة ، أو ببدن انسيابي متموج ، وفي معظم الحالات يحرص الصانع على ترقيب الشاهد من الهيئة المعممة ، حتى تفصل الرقبة قمة الشاهد عن بدنه ، وبما يذكر بالهيئة الأدمية المكونة من رأس ورقبة وبدن ، كما توضح لنا بعض الشواهد السابقة جذر الشاهد الذي يغرَس في الأرض أو يثبت في التركيبة المجاورة.

١٠٠ - جاغمان (فليز) :- مدرسة متطورة للمنمنمات في تكايا المولوية أواخر القرن السادس عشر ، ترجمة تحسين عمر طه ، ص ١-١٩ ، هذا وقد ألف مجموعة من العلماء تحت إشراف (lifchez) كتاباً عن تكايا الدراويش ودور الصوفية في المجتمع العثماني ،= وخصص المؤلفون الصفحات (من ص ٢٨٤ حتى ص ٢٩٥) عن شواهد قبور الصوفية. انظر :-

لقد بالغ العثمانيون في أحجام الشواهد من الهيئة المعممة فوضعوا بعضها فوق التراكيب الرخامية حتى تزداد ارتفاعاً وهيبه ، وصنعوا البعض الآخر بمقاسات جد كبيرة ، ولم تصلنا دراسات حتى الآن عن مقاسات مثل هذه الشواهد التي بلغ بعضها من الضخامة والارتفاع ما يتضاعف على حجم وارتفاع الهيئة البشرية بكثير ، وهو ما تصدقه اللوحتان (رقما ١٣٣ ، ١٣٤) والأولى من إحدى جبانات قبرص ، والثانية من إحدى جبانات سراييفو بالبوستنة.

هذه الضخامة وذلك التنوع إنما يؤكد على قدم الصوفية في المجتمع العثماني من جهة ، وأهمية الدور الذي قاموا به من نواحي دينية وحريرية وحرفية من جهة أخرى ، ذلك أن الإسلام قد انتشر في شرق أوروبا على أيدي العثمانيين ، ثم تحمل عبء نشره فرق الصوفية المختلفة ، حيث تذكر بعض الروايات وصول أحد مشايخ الصوفية وهو الشيخ " سلتق دده " إلى البلقان عام ٦٦٠هـ / ١٢٦١ م ، ولا تزال تربته التي دفن فيها بعد وفاته عام ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م باقية حتى الآن في دوبرجية (بابا داغ) برومانيا ، ثم توافدت بعد ذلك الكثير من الطرق الصوفية كالمولوية والخلوتية والبييرامية والبيكتاشية والرفاعية والنقشبندية والقادرية وغيرها ، وكان لها أكبر الأثر في تثبيت دعائم الإسلام في البلقان الذي لا تكاد تخلو مدينة من مدنه من وجود تكية بها. (١٠١)

وقد استفادت الدولة العثمانية من هذه الطرق الصوفية التي كان من مبادئ بعضها مجاهدة الكفار ، فاستفادت منهم في حروبها المتعاقبة ضد الكيانات المسيحية ، كما اختلط الصوفية بنظام الفتوة في الدولة وهو نظام كان موجوداً في الأناضول قبل العثمانيين ، وأتباعه يحملون السلاح في حلهم وترحالهم ، كذلك اختلط الصوفية بأصحاب الأراضي في الريف وبتوائف الصناع وأرباب الحرف في المدن (١٠٢) ، مما كان له دور كبير في انتقال أفكارهم وعقائدهم إلى الفنون العثمانية عامة وشواهد قبورهم كصوفية خاصة.

إن مئات الآلاف من شواهد القبور الإسلامية ذات الهيئة المعممة المنتشرة في جميع الإيالات التي خضعت للحكم العثماني في قارات ثلاث هي آسيا وأوروبا وأفريقية ، لتؤكد بالدليل المادى على انتشار الفكر الصوفى في المجتمع الإسلامى ، كما وصلتنا شواهد قبور من نفس النمط من مناطق

١٠١ - الحداد (د. محمد حمزة إسماعيل) :- العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية ، المجلد الأول ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١٢م ، ص ٢٢٩ .

١٠٢ - نور (د. حسن محمد) :- التصوير الإسلامى الدينى في العصر العثمانى ، سلسلة الدراسات الأثرية - ٣ - كلية الآداب بسوهاج ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م . ص ١٢ .

شمال غرب إيران ، ومنطقة القوقاز ، ومنطقة وسط آسيا ، وهى مناطق متاخمة للعثمانيين وتأثرت بهم ، وإن كانت إيران قد سبقت تركيا فى اتخاذ شواهد قبور عليها رسوم رمزية مذهبية شيعية. (١٠٣)

كما لا يخفى أن الإسلام انتشر فى مجموعة دول جنوب الصحراء بأفريقية على أيدي الطرق الصوفية ، ومع هذا لم تصلنا نماذج كثيرة من شواهد قبور الهيئة المعممة من النطاق الجغرافي المذكور ، ربما لاندثارها لهشاشة المادة المصنوعة منها ، وربما لشيوع هياآت وطرز فى مناطق دون أخرى من العالم الإسلامى ، وفى أزمنة دون أخرى.

والثابت بالدليل المادى أن تركيا وإيران والجزيرة العربية فى حضاراتها الموعلة فى القدم ، قبل ظهور الديانات السماوية الثلاث الكبرى ، قد خرطت شواهد قبور بهيئة آدمية كاملة " تماثيل " رأس بتفاصيل الوجه ، وعنق وأذراع وجسد وأقدام (لوحة رقم ١٣٥) لكنها لا تصلح أصولاً لشواهد القبور الإسلامية ذات الهيئة المعممة ، لأن هذه خرطت للعبادة ، وتلك صنعت لتخليد الذكرى ، فالمعتقد مختلف تمام الاختلاف ، وكذلك تفاصيل الهيئة العامة.

(ب) قمم بهيئة طربوش :-

واستمراراً لما سبق كان العسكريون أشد تمسكاً بوضع الرموز والشارات والرتب العسكرية على شواهد قبورهم ، بحيث وصلتنا منها حصيلة كبيرة تشير الى نوعية السلاح الذى كان يخدم فيه المتوفى ، فالطوبجى (المدفعي) حفر على شاهده شكل مدفع ، والخبيرجى (القبائلي) حفر قنبلة أو كومة قنابل ، ومنهم من حفر شكل سيف أو خنجر أو كنانة أو بوق ، وإن كان بحاراً اتخذ هيئة سفينة أو جزء منها كالسارية أو الشراع أو المرساة أو شارة البحرية العثمانية ، وللإنكشارية شارة خاصة بهم وغطاء رأس من قلنسوة صوفية تتدلى من خلفها قطعة طويلة من القماش، إسطوانية الشكل ، بيضاء اللون ، هى رمزاً للبركة التى منحها الحاج بكتاش لهم عندما تعلق كم ثوبه خلف رأس أحدهم وهو يدعو لهم بالعز والظفر ، وللسباهية

(الفرسان) شارة خاصة بهم وعماتهم بسيطة وقد تزود بالريش ، والصولاق (الانكشارية الراكبة) يضعون على رؤوسهم قلنسوة إسطوانية مزودة بهيئة مثلث من الشواشى البيضاء ، وهكذا معظم فرق الجيش والدونما (الأسطول) . وكان الضباط الكبار ممن وصلوا إلى رتب عالية يضعون على شواهد قبورهم رمز الدولة العلية العثمانية " الإرمة " (راجع مركز اللوحة رقم ١١٢) حيث ظهرت هذه الشارة لأول مرة على شواهد القبور فى عهد السلطان سليم الثالث (١١٧٥ - ١٢٢٢هـ / ١٧٦١ - ١٨٠٨م)

١٠٣ - نور (د. حسن محمد) :- شواهد قبور خزفية من إيران الصوفية ، ص ٧١-١١٠

فهي ذات مغزى ديني ووطني ، كما نقش كبار الضباط ممن حصلوا على أوسمة كالوسام المجيدى والوسام الحميدى ، نقشوه على شواهد قبورهم ، حتى من حاز ميدالية منهم نقشها على شاهد قبره ، وسوف تنتقل بعض هذه الرموز والشارات من كونها محفورة على الشواهد إلى أن تتخذ كهيئة عامة للشاهد نفسه ، وبعد اتخاذ الطربوش كغطاء رأس رسمى بعد إلغاء الإنكشارية كثر استخدامه على شواهد القبور كقمة لها ، سواء أكان جسم الشاهد مستطيل أو أسطوانى أو متموج انسيابى (اللوحات أرقام ١٣٦ حتى رقم ١٤١)^(١٠٤) (شكل رقم ١/١٠ ، ٢/١٠ ، ٣/١٠ ، ٧/١٠ ، ٩/١٠ ، ١١/١٠ ، ١٣/١٠) وتنوعت هيئته الإسطوانية فى كونها تستدق من أعلى أم ترتفع باستقامة ، وفى وجود الشراية (الزر) أم اختفائها ، وفى صباغته باللون الأخضر الداكن (لوحة رقم ١٣٦) أو الأخضر الفاتح

(لوحة رقم ١٣٧) أو باللون الأحمر (لوحة رقم ١٤٠) وتعدد ألوان الطرابيش السابقة بقمم شواهد القبور يؤكد إنعدام الصلة بين أنساب المتوفين ممن لونت قمم شواهدهم باللون الأخضر وبين النسب النبوى الشريف ، تؤكد ذلك مضامين نصوص الشواهد ، بخلاف إستمرار تمسك المصورين بتلوين عمائم آل البيت النبوى الشريف باللون الأخضر فى المخطوطات العثمانية ، سواء ما زوق منها فى مدارس التكايا بالأقاليم (لوحة رقم ١٤٢) أو ما زوق بالمرسم السلطانى بإستانبول (لوحة رقم ١٤٣)

وهكذا انتشر الطربوش كقمة لكثير من شواهد القبور فى النطاق الجغرافى للدولة العثمانية ، مشيراً ومؤكداً على التمايز الطبقي والمهني ، ولم يكتب له الذيوع فى إيران وما شرقها من العالم الإسلامى ، وللحديث تنمة مع بعض الشارات العسكرية البحرية (هيئة الشراع اللوحات أرقام ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧) (شكل رقم ١/٢٣ ، ٢٣٣)

5- هيئة الباروك والركوكو :-

تعنى كلمة باروك (Baroque) فى أصلها اللؤلؤة غير المهذبة فى شكلها أى غريبة الشكل غير المألوفة ، وتغير مدلول الكلمة فأصبحت تطلق خلال القرن ١١هـ / ١٧م على ذلك الطراز الفنى الجديد الذى ظهر فى أوروبا لأنه شذ فى عناصره الزخرفية عما كان مألوفاً فى فنون عصر النهضة الأوروبية ، ولأن عناصره قد ظهرت فى صورة تبدو مشوهة إذا ما قيست بالعناصر الزخرفية التى كانت ذائعة فى أوروبا فى ذلك العصر ، ومن هنا جاءت تسميته بالباروك تشبيهاً له باللؤلؤة المشوهة الشكل ، يعزف هذا الفن عن استعمال الخط المستقيم فى الزخرفة ، ويقبل على استعمال الخطوط المنحنية

والحلزونية وما يتصل بها من سطوح مائلة وأقواس مختلفة (شكل رقم ١/١٢ ، ٢/١٢ ، ٤/١٢ ، ١٢/١٢ ، ١٣/١٢ ، ١٦/١٢) انتشر هذا الفن من إيطاليا إلى سائر أنحاء أوروبا ، ومنها تسرب إلى تركيا العثمانية بحيث انعكس هذا الفن بصورة واضحة على ما أنتجته أيديهم من عمائر وتيجان أعمدة ومحاريب مساجد وزخارف الأبواب والشبابيك ، وبعض المنسوجات المطرزة وجلود الكتب وشواهد القبور ، لكن اللمسات العثمانية على ذلك الفن غيرت من شخصيته الفنية وطبعته بطابع جديد يصح لنا معه أن نطلق عليه فن الباروك العثماني^(١٠٥).

أما الروكوكو (Rococo) فهو كلمة في اللغة الفرنسية تعنى الصدفة أو المحارة غير المنتظمة الشكل ذات الخطوط المنحنية (Rocaille) والتي استمدت منها زخارف تلك الفترة ، إذ ظهر هذا الطراز من الفن في القرن ١٢هـ / ١٨م (عصر الروكوكو) وهو يعد إمتداداً لفن الباروك ولكن بمقاييس جمالية تتسم بالسلاسة والرقّة ، وهو فن له طابع دنيوى أسقط منه كل إدراك للمقدسات والتخليق فيما وراء الطبيعة ، فهو حسى جمالى ، لغته الشكلية متكلفة ، شديدة البراعة ، رشيقة منعمة أنيقة ، لم يكن فن الملوك كما كان فن الباروك ، وإنما كان فن الطبقة الأرستقراطية والطبقة الوسطى.^(١٠٦) وتتكون عناصره من القواقع والقراطيس وشوكة اليهود (الأكانتس)

(شكل رقم ١٤/١٢) والأشكال النباتية التي استعويض بها عن مقرنصات الحنايا ، كما أدى الولع فيه بالفنون الصينية إلى إضافة عناصر زخرفية جديدة زادت رونقاً وجمالاً ، وساد في واجهات العمائر وكرانيشها ونوافذها وأعمدتها (شكل رقم ١٥/١٢) وطاقتها ، وفي المدافئ والمطرزات النسيجية وكثير من التحف التطبيقية (شكل رقم ٣/١٢ ، ٥/١٢ ، ٦/١٢ ، ٧/١٢ ، ٨/١٢ ، ٩/١٢ ، ١٠/١٢ ، ١١/١٢) وقد صبغ العثمانيون بالصبغة الشرقية كما فعلوا مع الباروك فأصبح من الممكن أن يطلق عليه الروكوكو العثماني ، واستخدموه في عمائرهم ومخطوطاتهم وفنونهم التطبيقية وعلى شواهد القبور.

لقد استجابت العمارة العثمانية منذ منتصف القرن ١٢هـ / ١٨م للمستجدات من حولها فسيطر عليها أسلوب الباروك والروكوكو ، خاصة في عمائر الترب والأضرحة بكل عناصرها المعمارية ، ومن الكل إلى الجزء ، أى انتقل الطرازان إلى شواهد القبور العثمانية حتى وصلتنا منها مئات الآلاف

^{١٠٥} - مرزوق(د. محمد عبد العزيز):-الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر

العثماني،ص٥٩

^{١٠٦} - علام (د. نعمت إسماعيل) :- فنون الغرب في العصور الوسطى والنهضة والباروك ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص١٤٧ ، ص١٩٩

فى جبانات المدن الكبرى بالولايات العثمانية فى القارات الثلاث ، أوربا وآسيا وأفريقية ، ليس هذا فحسب وإنما انتشر هذان الطرازان الدوليان فى مناطق أخرى كثيرة من العالم الإسلامى ، مثل دول القوقاز وشمال غرب إيران وجمهوريات وسط آسيا وباكستان والهند وغيرها .

ونفرق هنا بين الطرازين على شواهد القبور العثمانية بعشرة نماذج قمة شواهدا من طراز الباروك (اللوحات من رقم ١٤٤ حتى رقم ١٥١) (١٠٧) (الأشكال أرقام ١/١٣ ، ٤/١٣ ، ٥/١٣ ، ٦/١٣ ، ٧/١٣ ، ٨/١٣ ، ٩/١٣ ، ١٥/١٣) وهى منتخبة من مناطق مختلفة من الأناضول وإستانبول ، تخص رجال ونساء توفوا فى القرون ١١ ، ١٢ ، ١٣ هـ / ١٧ ، ١٨ ، ١٩ م ، لو أمعنا النظر فيها ودققنا لذكرتنا بالمراوح النخيلية فى الفن الإسلامى وإن امتزجت هنا بعناصر أخرى كالقواقع والوريدات البارزة والمزهريات وتكسرات الأوشحة وغيرها .

كما وقع الاختيار على حوالى أربعة عشر شاهد قبر عثمانى بهيئة الركوكو ، مختارة من مناطق عدة بالأناضول وإستانبول وطرابلس الغرب ، ، لرجال ونساء انتقلوا لرحمة الله تعالى فى القرون ١٢ ، ١٣ ، ١٤ هـ / ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ م (اللوحات من رقم ١٥٢ حتى رقم ١٥٩) (١٠٨) (الأشكال رقم ١/١٣ ، ٢ ، ٣/١٣ ، ١٠/١٣ ، ١١/١٣ ، ١٢/١٣ ، ١٣/١٣ ، ١٤/١٣ ، ١٦/١٣ ، ١٨/١٣) وهى ذات العناصر والتكوينات الزخرفية السائدة فى طراز الباروك لكنها إزدادت هنا إنسيابية ورشاقة ، ورقة وجمالا ، وتكلفا وأناقاة ، مما ساعد على إخراج شواهد قبور تعد تحفاً فنية بكل ما يحمل المعنى ، ليس فى قيمتها فحسب ، وإنما فى أبدانها التى لم تقتصر على الدعامة أو العمود أو المستطيل أو المحراب ، ، بل على ابتكارات جديدة (لوحة رقم ١٥٤)

(شكل ١٠/١٣ حتى ١٤/١٣) وكأنها أجسام نساء بما حوت من تضاريس المرتفعات والمنخفضات ، والأمر بعيد عن المبالغة إذ يؤكد واقع التفرقة بين جنس الراقد تحت بعض هذه الشواهد ، فلو نظرنا إلى اللوحة (رقم ١٥٨) نشاهد المصور تعمد إنقاط صورة شواهد قبور نساء مع ظهر امرأة تركية حية تزور رفيقاتها الموتى لو حسرت عن وشاحها لبدت ضفائر شعرها متطابقة مع ما تم حفره وتصفيفه على قمم الشواهد ، وهو ما تم أيضا بالشكل (رقم ١٨/١٣) بل أن الفنان لم يفته فى الشكلين (١٦/١٣ ، ١٧/١٣) أن يحلى صدر الشاهد وقمته بقلادة مطابقة لما كانت ترتديها صاحبة الشاهد

107 - www.gettyimages.ie/detail,www.Superstock.com

108 www.shutterstock.com/www.istockphoto.com/www.TurkishCulture.org/www.Superstock.com,www.Fredhoogervorst.com,www.Picasaweb.google.com

في حياتها، أو يتوج الشاهد بإكليل أو بتاج أو بصفيرتين من الشعر أو بوشاح نسائي مزخرف^(١٠٩)

وثمة نموذج واحد نكتفى به من جبانة إسلامية في أكرابالهند، يظهر فيه ثلاثة شواهد بهيئة الباروك والركوكو (لوحة رقم ١٦٠) ترجع القرن ١٢هـ / ١٨م.

كما نكتفى بنموذج واحد من بين الشواهد المسيحية بالجبانة الأوروبية بهيئة الباروك (لوحة رقم ١٦١) وهو من ميونيخ ومؤرخ بعام ١٨٢٧ (١٢٤٣هـ) فضلاً عن ملايين الشواهد المسيحية واليهودية بالهيئة الباروكية والركوكية بجبانة العالم، وجميعها تحمل تواريخ لاحقة على ظهور الإسلام بأكثر من ألف عام.

٦- هيئة الشرافات :-

الشرافات من الزخارف الساسانية المعمارية التي انتقلت إلى الفن الإسلامي، فهي معروفة منذ العصور القديمة في فارس والعراق و " أواسط آسيا " وانتشر استعمالها في الفن الساساني في الأطراف العليا للعمائر، وكذلك كزخارف في تيجان ملوك الساسان، وظهرت في العمارة الرومانية الشامية بمدينة تدمر^(١١٠). ثم طور المسلمون في تصميماتها حتى تنوعت هيئاتها تنوعاً شديداً، كالشرافات البسيطة (شكل رقم ٤/١٤) وشرافات العقد المديب

(شكل رقم ٢/١٤، ٥/١٤، ٦/١٤) وشرافات المثلثات (شكل رقم ٣/١٤) والمثلثات المسننة (شكل رقم ١٣/١٤) والشرافات المسننة ذات الأسنان الرأسية أو المائلة (شكل رقم ٧/١٤، ٨/١٤، ٩/١٤) وشرافات الورقة الخماسية (شكل رقم ١٥/١٤)^(١١١) وشرافات العرايس وهي فريدة في نوعها ولا يوجد لها مثيل في العالم الإسلامي، وهي تشبه أشكال آدمية تجريدية تتلاصق أيديها وأرجلها (شكل رقم ١٠/١٤، ١٧/١٤) ونموذجها الوحيد بسطح جامع أحمد بن طولون بالقاهرة (لوحة رقم ١٦٢)^(١١٢) ومن الأمثلة المسننة بأنواعها، شرافات قصر الحير الشرقي بسورية، من

^{١٠٩} - نور (د. حسن محمد) :- شواهد قبور من تربة البياض بتونس العاصمة، دراسة في الشكل والمضمون، حويلات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية ٢٣، الرسالة ١٩١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٧٢، ٧٣، شواهد قبور عثمانية من طرابلس الغرب، دراسة في الشكل والمضمون لمجموعة جديدة، حويلات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية ٣٠، الرسالة ٣٠٩، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ٤٨، ص ١٢٧ (شكل ٣٧، ٣٨).

^{١١٠} - شافعي (د. فريد) :- المرجع السابق، ص ١٨١ وشكل ١٢٢.

^{١١١} - رزق (د. عاصم محمد) :- المرجع السابق، ص ٦٨٦ شكل ٥/١٤٣، ص ٦٨٩ شكل ٨/١٤٣، ص ٦٨٧ شكل ٦/١٤٣، ص ٦٨٣ شكل ٢/١٤٣.

^{١١٢} - شافعي (د. فريد) :- المرجع السابق، ص ٤٧١ وشكل ٢٩٣، ٢٩٤.

العصر الأموي (لوحة رقم ١٦٣)^(١١٣) وشرفات الجامع الأزهر بالقاهرة (لوحة رقم ١٦٤) وشرفات الجامع الحاكم بالقاهرة (شكل رقم ١٦/١٤) وشرفات قبة الإمام الشافعي بالقاهرة (شكل رقم ١٨/١٤) وشرفات قبة الصالح نجم الدين أيوب (شكل رقم ٢١/١٤) وشرفات مسجد قلاوون بالقاهرة (شكل رقم ٢٠/١٤) وشرفات مسجد قباء بالمدينة المنورة (لوحة رقم ١٦٥)^(١١٤) ومن أمثلة شرفات الورقة الثلاثية والخماسية ، مساجد السلطان حسن وقتيباي والغوري بالقاهرة (شكل رقم ١٢/١٤ ، ٢٤/١٤ ، ٢٥/١٤) وشرفات الجامع الكبير في المخاء باليمن من العصر العثماني (لوحة رقم ١٦٦).^(١١٥) ولما كانت الشرفات تتجعد شاخصة برؤوسها إلى أعلى بما في ذلك من دلالات ومعان رمزية باطنة توحى بالإرتباط بين الأرض والسماء من ناحية ، أو بتلاصق المسلمين في الصلاة سواسية كأسنان المشط أمام الله تعالى من ناحية أخرى^(١١٦) فقد انتقلت نفس الدلالات والمعاني الرمزية السابقة إلى نمط هيئة الشرفات بشواهد القبور الإسلامية ، فالروح ارتفعت إلى بارئها في السماء تاركة الجسد في قبره بالأرض ، ومن جهة ثانية الجميع سواسية تحت التراب ، الوزير والغفير سواء ، حتى في سمة شاهد القبر من تلك الهيئة.

ولعل من أقدم شواهد القبور الإسلامية من هيئة الشرفات ذات الورقة الثلاثية أو الأقواس ، (اللوحة رقم ١٦٧) وهي لشاهد قبر السلطان محمود الغزنوي، المتوفى بغزنة في أفغانستان عام ٤١١ هـ / ١٠٣٨ م (شكل رقم ٣٠/١٤). ومن أمثلة الشرفات المسننة الرأسية (اللوحة رقم ١٦٨) وهي لشاهد قبر عثمانى^(١١٧) ، أما أمثلة الهيئة الأدمية المجردة فتمثلها (اللوحة رقم ١٦٩ وشكل رقم ٢٨/١٤) حيث ينتشر ذلك الطراز في ماليزيا وسلطنة بروناي وأندونيسيا ومجموعة دول جنوب شرق آسيا^(١١٨) ومن نفس المنطقة، ومن هيئة العرائس (اللوحات أرقام ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢)^(١١٩) الشكلان (رقما ٢٦/١٤ ، ٢٧/١٤) وإن اشتملت تلك اللوحات الثلاث على شواهد قبور من هيئات أخرى كالبرامق المخروطة والفانوس وسيأتي

^{١١٣} - الحداد (د. محمد حمزة إسماعيل) :- المدخل إلي دراسة المصطلحات الفنية للعمارة

الإسلامية ، لوحة ٢٥٥ .

^{١١٤} - محمد (د. سعاد ماهر) :- المرجع السابق ، لوحة ١٩٥ .

^{١١٥} - نفس المرجع السابق ، لوحة ١٩٠ .

^{١١٦} - ياسين (د. عبد الناصر حسن) :- المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .

¹¹⁷ - www.Turkishculture.org

¹¹⁸ - www.Terragalleria.com

¹¹⁹ - www.qtluong/terrager.com

الحديث عنها لاحقاً ، إلا أن شواهد القبور الإسلامية بمنطقة جنوب شرق آسيا تحتاج للتفصيل الآتي:-

(أ) موجز عن تاريخ الإسلام في المنطقة :-

حسب تعداد عام ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م بلغ عدد المسلمين في أندونيسيا ٢٣٨ مليون ، ٨٦% منهم مسلمين أى أنها أكبر دولة إسلامية من حيث عدد المسلمين ، وهم على المذهب السنى ، وهى عبارة عن أرخبيل من الجزر فى المحيط الهندى حوالى ستة آلاف جزيرة ، العاصمة جاكرتا، أكبر الجزر جاوة وسومطرة وبورنيو ، والأخيرة مقسمة حالياً بين بروناى وماليزيا ، دخل الإسلام لمنطقة جنوب شرق آسيا على يد التجار المسلمين منذ وقت جد مبكر ، دون حروب ، زار الرحالة " ماركو بولو " أندونيسيا عام ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م وقال عنها:- " هى بلد مسلم من خلال شواهد قبورها " وزارها الرحالة ابن بطوطة بين عامى ٧٤٦ - ٧٤٧هـ/ ١٣٤٥ - ١٣٤٦م ، وحدد مذهبها " مسلمة سنية " وأنها وثيقة الصلة بالصين^(١٢٠) وسيؤثر ذلك على بعض هيئات شواهد قبورها - احتلها البرتغاليون ثم الهولنديون لكن الدليل المادى ممثلاً فى شواهد القبور يؤكد مقاومتها لحمات التبشير المسيحية ، ولم تؤثر المسيحية بشكل ملحوظ سوى فى إقليم تيمور فى الشمال الشرقى ، وخضع إقليم " إتشيه " للسيادة الإسمية العثمانية لفترة طويلة من الزمن.

أما ماليزيا فيبلغ عدد سكانها ٢٨ مليون نسمة ، ٦٠% منهم مسلمين سنة ، و ٢٠% بوذيين و ٩% مسيحيين ، و ٧% هندوس ، تنقسم ماليزيا إلى قسمين يفصلهما بحر الصين الجنوبى ، هما شبه الجزيرة الماليزية ، وبورنيو (ماليزيا الشرقية) ، أشهر المدن هى جوهور ، كيدا ، ملقة ، كيلانتان ، والعاصمة كوالالمبور، شاع الإسلام فيها فى القرن ٩هـ/ ١٥م ليصبح القوة المسيطرة فى بداية القرن ١٠هـ/ ١٦م ، احتلها البرتغاليون ثم الهولنديون ثم الإنجليز.

وانتشر الإسلام بنسب قليلة ومتفاوتة فى بقية دول الجوار بالمنطقة مثل أرخبيل الفلبين وكمبوديا وفيتنام وتايلاند ولاوس وبورما غيرها.

(ب) شواهد القبور الإسلامية بالمنطقة :-

لسوء الحظ مرت المنطقة بتغيرات طبيعية وسياسية قضت على الكثير من آثارها، فالفيضان العنيفة (تسونامى) من جهة ، والتنافس العرقى وجهل الناس بالأهمية التاريخية والفنية لشواهد القبور من جهة أخرى ، قضى كل ذلك على الكثير من آثار المنطقة ، وعلى الرغم من ذلك فشواهد القبور الإسلامية تؤكد بالدليل المادى وصول الإسلام إلى سومطرة وجاوة والملايو

١٢٠ - ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللواتي) :- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار الشرق العربى ، بيروت (د.ت) الجزء الثانى ، ص ٧٥ .

منذ القرن ٤هـ / ١٠م ، حيث وصلتنا مجموعة كاملة وسليمة ، صنعت من الحجر الرملي أو الجيري ، من محاجر محلية ، ومجموعة أخرى صنعت من الرخام الأبيض (المستورد) ، تأثرت هذه الشواهد بتأثيرات هندية وصينية لأسباب تجارية وأصول عرقية ، ونقشت كتاباتها باللغة العربية ، يصاحبها أحياناً عبارات أخرى بلغات محلية ، مع زخارف ورموز وتعاويذ ، فمن بعض الرموز شكل مرساة السفينة بما يرمز لوصول الإسلام للأرخبيل عن طريق سفن التجار ، وإن رمزت المرساة (Anchor) للخلود والأبدية ولسفينة الخلاص عند جيرانهم المسيحيين ، وتؤكد كثير من مضامين الكتابات والرموز على انتشار الطرق الصوفية هناك .
وأقدم شاهد قبر إسلامي من المنطقة مؤرخ بعام ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م ، وتتوالى التواريخ بعد ذلك بانتظام إلى ما بعد القرن ١٢هـ / ١٨م ، للسلطين والعامّة ، رجال ونساء .

والذي يعيننا في هذا الموضوع هو الهيئة العامة لشواهد القبور الإسلامية بالمنطقة ، فمن الباحثين من قسمها لثلاثة أو خمسة طرز ، ومنهم من فرع منها سلالات حتى أوصلها لست عشرة هيئة .^(١٢١)
وسنذكر تلك الهيئات لاحقاً ، لكن ما نفضله هنا هو هيئة الشرافات التي تميزت برشاقة بدنها وبرقته في جزء وبتخائنه في جزء آخر أثناء استطالته ، وبابتكار سلالات جديدة للشرافات (شكل رقم ٢٩/١٤ ، ٣١/١٤ ، ٣٢/١٤ ، ٣٥/١٤) .

121 - Yatim (M.o) Batu Aceh-Early Islamic Gravestone in Peninsular Malaysia.Kualalumpur.Malaysia.united selangor Press . 1987 . vol.25,pp.28-42,52-19 .

أعد هذه الدراسة الدكتور محمد عثمان يتيم ، عن شواهد القبور الإسلامية المبكرة في إقليم إتشيه بماليزيا .

Perret (D) :- Some Reflection on Ancient Islamic Tombstones Known AS Batu Aceh in the Malay world. I "Indonesia and the Malay world . vol.35.issue.103.2007.pp.313-340

وتلك الدراسة أعدها دانيال برت عن بعض الملاحظات عن شواهد القبور الإسلامية المبكرة المعروفة بباطو إتشيه . وثمة دراسة حديثة نشرها مجموعة من العلماء هم :-
أزلينا محمد ، هدي فيزتول ، رانيا حصير ، صوفيتنا مطلب ، عبد الرحمن شوزلينا ، نور حبيبة ، وهي بعنوان :-

"Batu Aceh Typology identification " MARA,Malaysia,1.vol.5- 2008-37-42

وغير ذلك من الدراسات القديمة والحديثة مثل :- دراسة لبوجاز (Bougas) عن المقابر الإسلامية بفسطاني ، نشرت بمجلة الجمعية التاريخية الماليزية من ص٣٢-٣٤ من عدد عام ١٩٨٨م .

ومن شواهد القبور المسيحية الحديثة نسبياً وبهيئة عامة لشرفات الأقواس أو الورقة الثلاثية اللوحتان (رقم ١٧٣ ، ١٧٤) (شكل رقم ١٤ / ٣٣ ، ٣٤ / ١٤) كما عمل اليهود في بعض الجبانات الأوربية شواهد قبور حديثة نسبياً من هيئة الشرفات المسننة وذات الأقواس.

٧- هيئة المخروط والبرمق :-

الخرط قطع خشبية صغيرة يتم خرطها بالمخرطة بحيث تكون هيئتها ذات انتفاخات واستداقات وتصميمات هندسية بأشكال فنية مجمعة في تفرجات تكون قواطع وسواتر للمشربيات والدرايزينات ومقاصير الأضرحة وتراكيبها والرواشن والمنابر والدكك والكراسي وغيرها من أشغال الخشب المخروطة الثابتة بالعمائر الدينية والمدنية أو بالتحف المنقولة.

تلك القطع عبارة عن وحدات أو أعمدة مخروطية تسمى الوحدة منها (برمق أو عرموس) (شكل رقم ٢ / ١٥ ، ٣ / ١٥ ، ٤ / ١٥ ، ٥ / ١٥) ولا يمكن تحديد طول الوحدة أو أبعادها إذ يختلف حجمها تبعاً للغرض المصنوعة له ، فهناك أنواع متعددة من البرامق منها المربع الشكل أو المسدس أو المثلث ونحوها ، ذلك أن الخرط بصفة عامة نوعان هما:- الخرط الميموني أو الدقيق وهو معروف منذ أقدم العصور ، وله أنواع كثيرة كالخرط الصليبي المفوق بأكر مسدسة (شكل رقم ٦ / ١٥) والخرط المسدس بشروال وأكر مستديرة (شكل رقم ٧ / ١٥) ^(١٢٢) والخرط الميموني بأكر مربعة ، والخرط المنجور بمربعات أو بمثلثات والخرط المخرز وغير ذلك ^(١٢٣). والنوع الثاني هو الذي يعنينا في ذلك الموضوع ، وهو الخرط البلدي أو الخرط الصهرجي ، وبرامقه وفراغاته أكبر من النوع الأول ، وهي ممثلة في

(شكل رقم ١ / ١٥ ، ٣ / ١٥ ، ٨ / ١٥) وقد اتخذت منه بعض طرز شواهد القبور الإسلامية في جنوب شرق آسيا هيئة عامة لها (اللوحات من رقم ١٧٥ حتى رقم ١٧٩) (والأشكال من رقم ١ / ١٦ حتى رقم ٩ / ١٦) فمجموعة الشواهد باللوح رقم (١٧٥) من إحدى جبانات ماليزيا ، وتتطابق هيئتها مع نظائرها الخشبية في الإنتفاخات والحزوز والأطواق والقمة التي بهيئة قبيبة صغيرة ، أما الشاهد الموجود باللوح رقم (١٧٦) ^(١٢٤) فمن إحدى جبانات جاوة بأندونيسيا واختلفت هيئته عن سوابقه في كل شيء مع بقاءه ضمن الهيئة العامة المخروطة ، وحفرت نصوصه في دخلة بباطن الشاهد (شكل رقم ٤ / ١٦) والشواهد الموجودة باللوح رقم (١٧٧) من

^{١٢٢} - حسن الباشا (د. محمود) :- المرجع السابق ، المجلد الخامس ، لوحة ١٢٢٨ ،

١٢٢٩

^{١٢٣} - رزق (د. عاصم محمد) :- المرجع السابق ، ص ٩٦-٩٧ .

جبانة إسلامية بإحدى مدن جنوب غرب الصين ، ونقشت نصوصها بمساحة مربعة ومسطحة على صدر الشاهد، ومجموعة الشواهد باللوحة (رقم ١٧٨) خرطت أبدانها بهيئة إسطوانية ، وقمها بهيئة بابه رخامية مدببة الرأس ، ونقشت نصوصها في هيئة محرابية مسطحة ، وزودت أبدانها بحزوز وأطواق تفصل القاعدة عن البدن عن الرأس (شكل رقم ١/١٦ ، ٢/١٦ ، ٣/١٦) بينما تباينت مجموعة الشواهد باللوحة (رقم ١٧٩) عن الأوصاف السابقة بما يدل على كثرة الإبداعات في إطار الهيئة الواحدة. هذا وقد سبق أن شاهدنا باللوحات السابقة (أرقام ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢) وهي من جبانات مختلفة في ماليزيا ، تواجد هيئة الشرافات بجوار هيئة المخروط والبرمق وغير ذلك من الهيئات بالجبانة الواحدة ، من العصر الواحد ، كهيئة الصنوبر ، وهيئة الفانوس، وهيئة القارورة مما سيأتي تفصيله لاحقاً .

أما الهيئة العامة المخروطة ككيزان الصنوبر فقد وصلتنا منها نماذج كثيرة لاتزال منتصبة في بعض الجبانات بمجموعة دول جنوب شرق آسيا ، بحيث لو وضعنا صوراً لكيزان الصنوبر الطبيعية (شكل رقم ١٢/١٧ ، ١٣/١٧ ، ١٤/١٧ ، ١٥/١٧ ، ١٦/١٧) بجوار شواهد القبور الإسلامية بنفس الهيئة لأوشك التطابق أن يتم (اللوحات أرقام ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢) (شكل رقم ١٠/١٦ ، ١١/١٦ ، ١٢/١٦) فاللوحه (رقم ١٨٠) لمجموعة شواهد بهيئة كوز الصنوبر ، بجبانة تانا توراجا (Tana Toraja) بجزيرة سولاويسى في أندونيسيا .^(١٢٥)

واللوحتان رقما (١٨١ ، ١٨٢) ^(١٢٦) (شكل رقم ١٤/١٦ ، ١٥/١٦) لشاهدين متطابقين بالفعل مع كيزان الصنوبر الطبيعية ، بحيث بدت أبدانها بحراشيف خشنة وبتقاطعات كأنها شبكة العنكبوت.

انتشرت هيئات المخروط والبرمق وكوز الصنوبر في شواهد القبور الإسلامية بمجموعة دول جنوب شرق آسيا دون غيرها من العالم الإسلامي، إلا فيما ندر ، أو في القليل من الأجزاء المخصصة لدفن موتى المسلمين من بعض الجبانات الأوربية بالبرتغال وهولنده وفرنسا وبريطانيا ، بحكم الاحتلال ثم هجرة بعض الجاليات الإسلامية إلى دول الاحتلال منذ نهاية القرن ١٢ هـ/١٨م ، والحين لتقاليد البلد الأم ودينها الرسمي .

والثابت بالدليل الأثرى أن هذه الهيئات الثلاث (المخروط والبرمق وكوز الصنوبر) تعد من الموروث الفني المحلى قبل دخول الإسلام للمنطقة ، إذ وصلتنا نماذج منها تخص البوذيين والهندوس والعرقيات الصينية واليابانية

125 - www.bugbog.com/galleryindonesia

126 - <http://archnet.org/library>

الملاوية ، بل أن المسيحيين بنفس المنطقة استخدموا بعض هذه الهيئات حتى وقت متأخر جداً ، كاللوحة (رقم ١٨٣) وهي لشاهد قبر إدوارد شيفلن (١٢٦٤ - ١٣١٥ هـ/١٨٤٧ - ١٨٩٧ م) بإحدى جبانات الهند.

نذكر ذلك لأن الهيئات الثلاث (الأعمدة والدعامات والمسلات) تختلف في شكلها العام وفي تفاصيلها عن هيئات (المخروط والبرمق وكوز الصنوبر) ليس هذا فحسب ، وإنما في الجذور والأصول والتأثيرات ، وعليه كان هناك ذكر المسلات الفرعونية ، وأعمدة جبانة النبي خالد بجبل جوجة داغ بإيران ، وبالنصب التذكارية التي كالدعائم في حضارات العرب والهنود وغيرهم ، ثم تتبع أوجه الشبه بالنظائر الإسلامية سواء في أبراج الأضرحة والمآذن والتحف التطبيقية السلجوقية والعثمانية والخيام المخروطية ، المغولية والتركية.

٨- هيئة الفانوس :-

كانت وسائل الإضاءة عند المسلمين في العصور الوسطى كثيرة ومتنوعة ، مثل المسارج الفخارية والخزفية والمشكاوات الزجاجية والشماعد والثريات والتنانير والفوانيس المعدنية ، والتي يدخل الزجاج في صناعة بعض أجزائها ليسمح بانتشار الضوء ، ووسائل الإضاءة المعدنية هي الأفضل سواء في أداء وظيفتها أو لبقائها على الزمن ، ولذا وصلتنا منها أمثلة أثرية كثيرة جداً ، ومتنوعة الأشكال والطرز (شكل رقم ١/١٨ حتى ١١/١٨) فمنها متعدد الطبقات ، ومنها متعدد الأضلاع ، ومنها المخروطى المضلع والمتوج بقببيرة مفصصة ، وهو شائع في مصر المملوكية (شكل رقم ٩/١٨) ومنها ماله أربعة أضلاع مستقيمة وغطاء (شكل رقم ٥/١٨) ومنها ماله قاعدة وبدن ورأس وأضلاع وزوائد ، ومنها ذو الشبكة المفرغة بهيئات متنوعة (شكل رقم ٣/١٨ ، ١٠/١٨) ومنها الطراز الأندلسي المغربي ذي الهيئة الخاصة في أضلاعه وارتداداتها وتفريغاتها (شكل رقم ١١/١٨).

بدأت شواهد القبور الإسلامية تحفر شكل المشكاة المتدلية بسلاسل منذ القرن ٥هـ / ١١م تقريباً ، حيث وصلتنا منها بعض شواهد القبور المصرية في العصر الفاطمي ومن بعده العصر الأيوبي ، بما في ذلك من رمزية قلب المؤمن الملىء بالألوان الإيمانية أو بفكرة النور الإلهي ، كما سبق القول في الحديث عن الصوفية.

لكن لم يتطور الأمر لنقل فكرة الجزء إلى الكل كما حدث في المحاريب مثلاً ، بمعنى أنه لم تصلنا شواهد قبور إسلامية هيئتها العامة كهيئة إحدى وسائل الإضاءة المشار إليها لدى المسلمين ، وظل ذلك الأمر قاصراً على بعض دول منطقة جنوب شرق آسيا ، بتأثيرات غير إسلامية ، هذه

الشواهد الإسلامية التي هيئتها العامة كهيئة الفانوس ، والتي تكاد تقتصر على منطقة جنوب شرق آسيا ، بتأثيرات غير إسلامية ، لها سلالات متنوعة على التفصيل التالي:-

(أ) هيئة عامة تتكون من قاعدة مربعة أو مضلعة ، وبدن مضلع ومفصص يتسع في ارتفاعه كلما فارق القاعدة ، وتاج له مقبض هما بمثابة غطاء للفانوس الذي يتطابق تطابقاً تاماً مع نظيره في الواقع ، وتمثل هذه الهيئة اللوحات (أرقام ١٨٤ حتى رقم ١٨٨)^(١٢٧) (الأشكال أرقام ١/١٧ ، ١٧/١٧ ، ١٩/١٧) وهي من جبانات إسلامية متفرقة في ماليزيا.

(ب) هيئة عامة تعددت طبقات قاعدتها وارتداداتها وأطرها البارزة أو الغائرة التي تفصل كل طبقة عن الأخرى ، مع بدن من أربعة أضلاع مسطحة وتتسع في ارتفاعها كلما فارقت القاعدة وبدن هرمي مدرج ، بدون قمة أو بقمة صغيرة مقببة (اللوحتان رقما ١٨٩ ، ١٩٠)^(١٢٨) (الشكلان رقما ١/١٩ ، ٤/١٩) هذه الشواهد من جبانة نوسا تينجارا بمدينة كرامات (karamat) لومبوك في أندونيسيا.

(ج) هيئة عامة بقاعدة مربعة منخفضة ومنحدرة وبدن مرتفع بأربعة أضلاع تستدق عند القاعدة وتنتهي من أعلى بأربعة زوائد بهيئة مثلثة ، ثم غطاء الفانوس وقمته المتوجة بانتفاخات محزوزة ومخروطة وكأنها قمة سقف معبد بوذي ، ويمثلها الشاهدان (رقما ١٩١ ، ١٩٢) وكلاهما من باطو أتشييه في أندونيسيا (Batu Aceh).

(د) هيئة عامة بقاعدة من طبقتين ، السفلى أعرض وهي منحدر ، ويفصلها عن العليا حز غائر ، ثم بدن مربع يرتفع باستقامة تامة ، وتاج ثلاثي أو إكليلي

(لوحة رقم ١٩٣)^(١٢٩) والشكلان رقما (٢٠/١٧ ، ٣/١٩) وهو من الأمثلة الكثيرة المنتشرة بجبانات ماليزيا .

(هـ) هيئة عامة تتفق مع سابقتها في القاعدة والبدن ، لكن البدن ينتهي من أعلى بجانبين معكوفين كتجعيد الشعر أو كقرن الجاموس ، أو يبرزان كالكتفين دون تجعيد أو التواء ، وقمة مرتفعة تتكون من تقوسات مقعرة ومحدبة ، حتى لكان الناظر للهيئة العامة لهذه السلالة يخيل إليه أنها تمثل المسلم القائم مقدماً على تكبيرة الإحرام في الصلاة ، وتمثلها شواهد القبور

(أرقام من ٢/١٧ حتى ١١/١٧ ، ١٨/١٧ ، ٢١/١٧) وهي من جبانات متفرقة من باطو أتشييه بأندونيسيا ، وماليزيا.

127 - www.malaysianexploror.com

128 - www.digitalgallery.mpl.org

129 - www.encyclopedia.com.my/volume4

وباستقراء السلالات الخمس السابقة يلاحظ الآتي:-

(أ) لون الشاهدين رقما (١٨٤ - ١٨٥) الأصفر الفاتح ، وهما من الحجر ، ولون الشاهد (رقم ١٩٠) الأبيض الناصع ، وهو من الرخام ، ولون بقية الشواهد ما بين البني الفاتح (لوحة رقم ١٨٦) البني الداكن، أى أن هذه الشواهد بلون المادة الخام المصنوعة منها ، وليس ثمة صلة بين لون الشاهدين (١٨٤ - ١٨٥) مثلاً وبين اللون المفضل عن الصينيين مع التسليم بالأصول الصينية واليابانية كما سنوضح .

(ب) هذه الأمثلة المنتخبة (اللوحات من رقم ١٨٤ حتى ١٩٧) لها نظائر إسلامية كثيرة بجانبات دول جنوب شرق آسيا تغطي عدة قرون منقطعاً ، من القرن ٤هـ / ١٠م إلى ما بعد القرن ١٢هـ / ١٨م.

(ج) وصلتنا قباب إسلامية متأخرة نسبياً ، توجت بفانوس أو شخشيخة مثل قبة جامع بايزيد باشا في أماسيا بتركيا ، والمؤرخ بعام ٨٢٢هـ / ١٤١٩م ، وقبة المنوفى بالقاهرة ، والمؤرخة بعام ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م ، وغيرهما مما لا يصلح أن يكون جذوراً لأى من السلالات الخمس السابقة ، لعدم التطابق من جهة ، وللأسبقية التاريخية للسلالات الخمس من جهة أخرى.

(د) الثابت بالأدلة الأثرية المؤرخة أن أصول وجذور سلالات هيئة الفانوس إنما هي صينية ويابانية ، ممثلة فيما اخترناه من شواهد قبور ومعابد بما حملت من معان عقديّة في الديانة البوذية ، فمن الأمثلة الصينية سلالات مستمرة في هيئتها أكثر من ألفى عام ، اللوحات (أرقام ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠) (الشكلان رقما ٥/١٩ ، ٨/١٩) وانتقلت إلى مجموعة دول جنوب شرق آسيا واليابان.

ومن النماذج اليابانية اللوحات (أرقام ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦)^(١٣٠) (الأشكال أرقام ٢/١٩ ، ٦/١٩ ، ٧/١٩) وانتقلت إلى الصين ومجموعة دول جنوب شرق آسيا كتأثيرات فنية متبادلة بحكم الجوار والهجرات والتجارة ووحدة المعتقد أحياناً منذ أكثر من ألفى عام ، هذه الشواهد الصينية واليابانية كثيرة الهيئات والسلالات ، بعضها كان يقلد هيئة المعابد البوذية معمارياً (لوحة رقم ٢٠٧) (شكل رقم ٩/١٩) ولا غرابة في أن تتأثر شواهد القبور الإسلامية في تلك المناطق بموروثها الفنى من ديانات وحضارات سابقة ، ولا غرو في ذلك فقد تأثر ما هو أضخم منها حجماً وأكبر مساحة وسعة ، أعنى بعض هيئات المساجد الإسلامية هناك وتأثرها في الشكل العام وطرق التسقيف بالمعابد البوذية والصينية ، من ذلك على سبيل المثال مسجد ملقة (Malacca) بماليزيا (لوحة رقم ٢٠٨)

ومن بعض تفاصيل هذه العقيدة البوذية وفلسفتها وانعكاس ذلك على معابدها وبعض طرز شواهد قبورها ، ما نراه في الشكل (رقم ٩/١٩) وهو معبد من ثلاثة طوابق وقمة برجية ممتدة ، لكل جزء معمارى رمزيته ، وإذا أمعنا النظر في تفاصيل كل جزء من الأجزاء الخمسة الموجودة في كل شاهد من الشواهد الأربعة باللوحيتين (رقما ٢٠٥ ، ٢٠٦) (شكل رقم ٢/١٩) لوجدنا أن (أ) في الشكل (٢/١٩) يرمز عندهم للأرض أو التراب ، و(ب) يرمز للماء ، و(ت) يرمز للنار ، و(ث) يرمز للهواء أو الرياح ، و(ج) يرمز إلى الروح ، وتختلف العقيدتان البوذية والإسلامية في ذلك ، فمثل هذه الرموز غير موجودة في المعتقد الإسلامي ، لذا فإن كان التأثير قد وقع بالهيئة والشكل فإنه بعيد عن الرمزية والمعتقد ، وهو ما حدث بالضبط في هيئة القارورة.

٩- هيئة القارورة :-

زار الرحالة ابن بطوطة الهند والصين في منتصف القرن ٨هـ/١٤م وقال :-
"وأهل الصين كفار يعبدون الأصنام، ويحرقون موتاهم كما تفعل الهنود"^(١٣١)
والتاب أن الديانات الهندوكية والسيخية والبوذية تحرق جثث الموتى حتى تصير رماداً ، وتسحق العظام كذلك حتى تصير رماداً ، ثم يوضع الرماد في جرة أو إناء لحفظه ، ويسلم لأقارب الميت فيحتفظون به أو يدفونه في مقبرة أو يذرونه في نهر غانج المقدس عندهم أو في أي نهر آخر أو بحيرة يحبونها ، وهذا شائع في الصين واليابان حيث يحرق حتى الآن حوالي ٩٥% من جثث الموتى .

ومن الحضارات الغابرة التي مارست الحرق ، حضارة تيرامارى بشمال إيطاليا ، وهي حضارة اختفت في القرن ١٢ ق.م ، وتسمى حضارة " حقول الجرار " لما خلفت من رماد حرق الموتى المحفوظ بالجرار ، ومن الحضارات الحارقة أيضاً حضارة اليونان والرومان (٣٣٢ ق.م - ٣٩٥م) حيث وجد في مقابرهم وأثاثهم الجنزى أواني لحفظ رماد الحرق .
ثم حرمت الديانات السماوية الكبرى الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام) عملية الحرق وكرمت الميت بدفنه سليماً ، لكن هذه الديانات لم يكتب لها الانتشار في الكثافات البشرية الهائلة بالهند والصين واليابان ، فاستمرت في الحرق ، وحفظ جزء من الرماد في الجرار والقوارير ، ويتحول الأمر لعمل شواهد قبور بهيئة القارورة تنقش عليها النصوص الجنائزية ، وحديثاً تخصصت شركات كبرى في صناعة شواهد قبور بهيئة جرار ومزهريات وقوارير من الفخار أو الحجر أو الخزف أو المعدن أو الخشب أو الرخام أو

^{١٣١} - ابن بطوطة :- المرجع السابق ، ج٢ ، ص٤٨٧ .

غير ذلك (شكل رقم ١/٢٠، ٢/٢٠، ٣/٢٠، ٧/٢٠، ٨/٢٠) على جدرانها تنتقش النصوص، وفي فوهتها توضع الزهور.

ثم يتأثر المسلمون والمسيحيون بجيرانهم ومواطنيهم في دول جنوب شرق آسيا وموروثها الحضاري والفني، فيصنعون شواهد قبور بهيئة الجرار والقوارير دونما فهم لمغزاها العقدى، حيث وصلتنا منها نماذج أثرية كثيرة فمن شواهد القبور الإسلامية التي وقع الاختيار عليها من منطقة دول جنوب شرق آسيا (اللوحات من ٢٠٩ حتى رقم ٢١٨) ^(١٣٢) فمجموعة الشواهد الكثيرة باللوحه (رقم ٢٠٩) من إحدى جبانات ماليزيا، وتبدو للناظر وكأنها حقل جرار أو قوارير، لكل قارورة قاعدة وبدن سميك ومرتفع ورقبة تنتهي بما يشبه فوهة القارورة، وعلى البدن نقشت زخارف الأرابيسك والنصوص الجنائزية.

أما اللوحه (رقم ٢١٠) فتم اختيارها لتوضح قدر سمك هذه النوعية من هيئات شواهد القبور الإسلامية بمجموعة دول جنوب شرق آسيا، وليس لكونه خاص بإمرأة، وربط هيئته القارورية بالحديث النبوي الصحيح "رفقا بالقوارير....." ^(١٣٣) وتحميل الأمر أكثر مما يحتمل إذ يتعارض مع ذلك وجود نظائر له تخص رجال وأطفال لكن هذا لم يمنع من وصول شواهد قبور إسلامية بطرز وهيئات أخرى في بعض البلاد الإسلامية حددت جنس المدفون ذكراً أو أنثى، بل ميزت قبر المرأة الحامل عن غيرها من النساء، وقبر الطفل عن غيره من الرجال، كما سبق الإشارة إليه من قبل، وتم اختيار اللوحه (رقم ٢١٢) لكون قارورتها حمراء داكنة (شكل رقم ٥/٢٠)، لكن لاصلة للون هنا بالرمزية لأن بقية الشواهد المنتخبة كلها إنما تأخذ لون المادة الخام المصنوعة منها، خاصة الرخام الأبيض والحجر الرملي المحمر وتم اختيار اللوحات (من رقم ٢١٣ حتى رقم ٢١٧) لسببين أولهما لإظهار المضاهي (شكل رقم ٦/٢٠) وقصره وموقعه ^(١٣٤)، والسبب الثاني للتركيز على الهيئة العامة للنماذج المختارة خاصة الثلث العلوى بما حوى من إنحناءات ورقبة وفوهة بحزوزات وبروزات تؤكد أنها ما عملت إلا لتقلد غطاء فوهة القارورة الطبيعية، وعليه ينتقي ما قد يساور المشاهد لهذه الهيئة أنها إحدى سلالات الهيئة المحرابية المسطحة ذات العقد المدبب.

132 - www.Superstock.com, www.shutterstock.com

١٣٣ - ورد في صحيح البخاري باب المعاريض، حدثنا آدم حدثنا شعبة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك كان النبي (ص) في مسير له فحدا حادي العيس فأسرت المسير وفي هودجها النساء، فقال النبي (ص) للحادي (أنجشه) ويحك رفقا بالقوارير .

١٣٤ - انظر تعريف المضاهي بملحق الدراسة .

أخذ المسلمون هيئة القارورة لبعض أشكال شواهد قبورهم في مجموعة دول جنوب شرق آسيا ، من موروثهم الفني والحضارى ، ولم يكتب لهذه الهيئة الانتشار فى بقية نطاقات العالم الإسلامى ، أخذوه دون معرفة مغزاه عند البوذيين والهندوس والسيخ ، واقتبسوه دونما إعطائه رمزية جديدة حيث لا ترمز القارورة عند المسلمين لأى رمزية أو فلسفة ، لكن مواطنهم المسيحيين بنفس النطاق عندما أخذوه - بمنطقة تيمور ومنطقة سولاويسى وغيرهما - ربما رمزت الجرة عندهم للروح والوفاء ، وربما رمزت الزهرة وباقات الورد التى تغرس بالفوهة للعاطفة والحزن والعزاء ، وإن كانت الزهرة مكسورة أشارت عندهم للوفاء المبكرة ، وجميعها مفاهيم ورموز غير معتبرة لدى المسلمين.

١٠- هيئة القلب المقلوب " دمعة العين " :-

القلب هو موضع كل العواطف والأحاسيس الحسنة والسيئة ، فهو مكن الإيمان والكفر ، والحب والكره ، وغير ذلك الكثير من الثنائيات المتناقضة ، وقد ورد لفظ القلب والقلوب فى القرآن الكريم فى عدة آيات ، تؤكد على المعانى السابقة^(١٣٥).

ويحتفظ متحف الفنون الإسلامية بالعاصمة الماليزية بعدد قليل من شواهد القبور الإسلامية بهيئة عامة تشبه القلب المقلوب أو دمعة العين ، اللوحتان (رقما ٢١٩ ، ٢٢٠) ^(١٣٦) والشكلان رقما (١/٢١ ، ٢/٢١) وترجع هذه النماذج لإقليم باطو أتشييه ، وهى مبكرة ترجع إلى القرن ٦هـ / ١٢م وما بعده ، وتحمل فى مركزها كتابات باللغة العربية ، ولعل اتخاذ شكل هذه الهيئة للقلب المقلوب لدليل على الحزن الشديد على فراق المتوفى الذى تكيه العيون بدموع تهطل غزيرة ، هى فى تساقطها تأخذ هيئة القلب المقلوب ، وقد أباحت الأحاديث النبوية الصحيحة حزن القلب ودمع العين ولكن لا نقول إلا ما يرضى ربنا ^(١٣٧).

ووصلتنا شواهد قبور مسيحية ، حديثة نسبيا ، بهيئة قلب أو قلبين أو قلوب معتدلة من جوانات العالم الكثيرة خاصة فى قارة أوربا (شكل رقم ٤/٢١

^{١٣٥} - منها على سبيل المثال :- سورة البقرة آيات ٧٤ ، ٩٣ ، ١١٨ ، آل عمران آيات ١٠٣ ، ١٢٦ ، سورة المائدة آية ٤١ ، سورة الأنعام آيات ٢٥ ، ٤٣ ، ١١٠ ، سورة الرعد آية ٢٨ وغير ذلك كثير .

^{١٣٦} - Yatim (M.O) :- op.cit.p.37, www.encyclopedia.com

^{١٣٧} - ورد الحديث فى صحيح البخارى من رواية موسى عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم عند وفاة ابنه إبراهيم .

حتى (١١/٢١) وقلدهم في ذلك جيرانهم المسلمين ممن توفوا بأوروبا في القرنين الأخيرين (١٣٨) بما يؤكد استمرارية عملية التأثير والتأثير (اللوحات أرقام ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤) (١٣٩) ليس في هيئة القلب أو دمة العين فحسب ، بل وفيما يلي من هيئات كهيئة المصحف .

١١- هيئة المصحف :-

الهيئة العامة للكتاب الإسلامي بصفة عامة ثلاثة أشكال هي:- شكل قريب من المربع في هيئته ، وشكل يميل إلى الإمتداد عرضاً ، أى يكون عرض الصفحة فيه أطول من ارتفاعها ولذا يعرف عند مؤرخي الفن باسم المصحف الأفقى أو المصحف الذى على هيئة سفينة ، ويسمى أيضاً ، بالفورمة الإيطالية ، والشكل الثالث يكون فيه الارتفاع أطول من العرض ويعبر عنه فى كتب التاريخ بالفورمة الفرنسية ، وعرف باسم المصحف العمودى ، وهو المؤلف دائماً (اللوحتان رقما ٢٢٥ ، ٢٢٦) وتقوم شركات صناعة شواهد القبور الحديثة والمعاصرة بتقليد المصحف العمودى (اللوحة رقم ٢٢٧) من الجرانيت بأنواعه ومن الرخام بأنواعه (شكل رقم ٦/٢٢ ، ٧/٢٢) .

وفكرة عمل شواهد قبور بهيئة كتاب مفتوح أو مطوى إنما هي فكرة سابقة على الإسلام ، حيث وصلتنا نماذج من شواهد قبور يهودية بهيئة الكتاب المقدس (التوراه مفتوحاً) وشواهد أخرى بعد ظهور المسيحية والإسلام (لوحة رقم ٢٢٨)^(١٤٠) وهو نموذج يهودى من إحدى جبانات مراكش بالمغرب الأقصى ، وغير ذلك كثير (شكل رقم ١١/٢٢) كما وصلتنا أيضاً أمثلة مسيحية كثيرة لشواهد قبور بهيئة الكتاب المقدس (الإنجيل) قبل ظهور الإسلام وبعده ، بشكل مفتوح (اللوحات أرقام ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١)^(١٤١)

١٣٨ - أعد الباحث سلسلة من أربعة بحوث تحمل عنوان " أضواء علي شواهد القبور الإسلامية في الجبانات الأوروبية " ونشر البحث الأول منها - ١ - غرب أوروبا ، بمجلة جمعية التاريخ والآثار لدول مجلس التعاون الخليجي ، العدد السابع ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م ، ص١٧٩ حتى ص٢٢٨ ، ونشر البحث الرابع منها - ٤ - شمال شرق أوروبا بمجلة عالم المخطوطات والنوادر ، المجلد السادس عشر ، العدد الأول ، ١٤٣١هـ/٢٠١١م ، ص١٧٩ حتى ص٢٠٦ ، والبحث الثاني - ٢ - وسط أوروبا في طريقه للنشر بكتاب مداولات الكتاب السنوي للجمعية السعودية للدراسات الأثرية ، والبحث الثالث - ٣ - جنوب شرق أوروبا ، في طريقه للنشر بالمجلة التي نشر فيها البحث الأول .

139 - www.grahamsfunerals.co.nz

140 - www.Superstock.com

141 - www.123rf.com, www.recycledredsaustin.wordpress.com,

www.constockphoto.com

(الأشكال أرقام ٤/٢٢ ، ٨/٢٢ ، ١٠/٢٢) أو بشكل مطوى (لوحة رقم ٢٣٢) (١٤٢) (شكل رقم ٩/٢٢) والمثال الأخير المطوى لشاهد قبر مسيحي من فرنسا ، حديث نسبياً ، وهيئة الكتاب - مطوى أو مفتوح - ترمز عندهم للحكمة والمعرفة بصفة عامة ، والأنجيلية بصفة خاصة.

وربما كان أقدم مثل إسلامي لشاهد قبر بهيئة المصحف المفتوح هو الشاهد المحفوظ بمتحف سيدى قاسم الزليجي بتونس (لوحة رقم ٢٣٣) (١٤٣) (شكل رقم ٣/٢٢) فهو مؤرخ بعام ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م.

وتتوالى الأمثلة فى ندرة متقطعة حتى وقت متأخر ممثلاً فى شاهد قبر إسلامي بإحدى جبانات باريس فى فرنسا (لوحة رقم ٢٣٤) (١٤٤) (شكل رقم ٥/٢٢) بهيئة مفتوحة تقلد الواقع (لوحة رقم ٢٢٦) لدرجة تحاول بالألوان مضاهاة ديباجة السرلوحه " الإفتتاحية " فسطر فاتحة الكتاب على الصفحة اليمنى ، وبدايات سورة البقرة على الصفحة اليسرى ، وأطرهما بحاشية من الشرفات والمثلثات المغشاة بوحدات الأرابسك الملونة بالأحمر والأخضر والأصفر.

إن نصوص جل شواهد القبور الإسلامية ، نثراً كانت أم شعراً ، فى كل البقاع والأزمان ، لا تكاد تخلو من آية قرآنية تمس الموت والرحمة والبعث وعقيدة المسلم ، أو اقتباس قرآنى أو من السنة الصحيحة ، أو حتى حكمة تتصل بحال الراقد أسفل الشاهد ، عسى ينتفع بها المقبور أو زائره ، وأراد صانع الشاهد أو من أمر بصناعته أن ينقل الجزء إلى الكل ، فبدلاً من كتابة آية من القرآن الكريم على شاهد القبر ، جعل الهيئة العامة للشاهد بشكل القرآن الكريم كله ، ككتاب مفتوح أو مطوى ، عسى أن يشفع له بعد القيام من الحياة البرزخية ، خاصة إن كان ممن لم يتخذوا هذا الكتاب مهجوراً فى حياتهم ، فهئية المصحف هنا ذات مغزى ومعنى ، مثل كثير مما سبقها من هيئات ، كارتباط هيئة المحراب بالصلاة ، وهيئة العمود والدعامة والمسلة والشرفات بالمسجد والمأذنة (الأذان والصلاة).

١٢- هيئة الشراع أو السفينة :-

وتتمة لحديث الطبقيّة فى الدولة العثمانية التى حرصت عليها فى تركيبها الإجتماعية ، وانتقلت إلى هيئات شواهد قبورهم وتراكبيها ، وكان العسكريون أشد حرصاً وتمسكاً على حفر رتبهم وشارات سلاحهم وتخصصهم على شواهد قبورهم وتراكبيها ، كما سبق القول (١٤٥) حتى

142 - www.Canstockphoto.com

143 - www.discoverislamicart.org

144 - www.glowimages.com

١٤٥ - راجع الحديث عن - ٤ - الهيئة المعممة من هذه الدراسة .

نقش البحارة شارة السفينة أو أجزاء منها كالساري أو الشراع أو عجلة القيادة أو المرساة أو شارة البحرية العثمانية ، على شواهدهم ثم تطور الأمر إلى جعل الهيئة العامة للشاهد بهيئة السفينة كلها أو أجزاء منها كالساري أو الشراع بطريقة تتطابق مع الواقع (لوحة رقم ٢٣٥) فمن الأمثلة المحفورة على الشاهد للساري مع الشراع (اللوحة رقم ٢٣٦) (شكل رقم ١/٢٣) ومن النماذج الممثلة للهيئة العامة لشاهد قبر عثمانى بشكل ساري وشراع بتفاصيل من طيات وحبال تحاكي الواقع (لوحة رقم ٢٣٧) (١٤٦)

(شكل رقم ٣/٢٣) وحفرت النصوص في سطور مائلة على الشراع ، وزاد من هيبه ارتفاعه تثبيته أعلى تركيبة رخامية مستطيلة كأنها جسم السفينة.

ولنا أن نربط في كثير من الإطمئنان بين العسكر والصوفية ، فنسلم برمزية السفينة والساري والشراع لمهنة المتوفى ، والتي تؤكد النصوص المنقوشة على الشاهد ، ونسلم أيضاً بالدلالات الباطنة لمغزى السفينة وتفاصيل رمزيها عند الصوفية ، وهو الفكر السائد عند جل المدنيين والعسكريين العثمانيين كما سبق القول ، فنلاحظ هنا (شكل ١/٢٣ ، ٣/٢٣) أن الساري مكسور القمة ليرمز للحزن ، كما ترمز السفينة إلى الخلاص ، فالميت قد خلص من هموم الدنيا وأقبل على رب كريم غفور ، وقد وصلتنا تحفاً معدنية من إيران الصوفية تسمى بالكشاكيل ، خاصة بالصوفية ومذهبهم ، بعضها يأخذ شكل القارب أو السفينة ، بل وحفرت عليه نصوصاً تضمنت نص الآية القرآنية الكريمة رقم (٧٩) من سورة الكهف " أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا " بما يؤكد أن العلاقة واضحة بين الهيئة العامة للكشكول ومضمون كتاباته ، فالهيئة العامة للكشكول تشبه القارب أو السفينة التي تمثل مركب النجاه التي يتمكن الشخص من خلالها الوصول إلى بر الأمان ، فالقارب هو الأداة أو الوسيلة ، والنص الكتابي هو المجادف التي يقود القارب لبر الأمان (١٤٧).

ومن تركيا العثمانية وإيران الصوفية إلى إندونيسيا الإسلامية ، حيث وصلتنا شواهد قبور نقش على بعضها رسم الهلب أو المرساة (شكل رقم ٥/٢٣) أو السفينة متعددة الشرع (شكل ٨/٢٣) بما يتماشى مع المعاني الصوفية السابقة ، وقد سبق القول أن الصوفية كانت منتشرة في أندونيسيا ، وأن الإسلام دخلها بدون الفارس والفرس وإنما عن طريق التجار المسلمين

١٤٦ - منصور (د. أمال) :- الكشكول دراسة أثرية مقارنة ، المؤتمر السابع للإتحاد العام

للأثريين العرب (٢-٣) أكتوبر ٢٠٠٤م ، ص ٥٨٩ - ٦٢٩ .

(بحراً) .أما عن جذور وأصول ارتباط المركب أو القارب أو السفينة بالمعتقدات فيبدأ مع مراكب الشمس التي عثر على إحداها بجوار هرم خوفو المشهور بالجيزة.ووصلنا شاهد قبر بهيئة سفينة من العصر الروماني (لوحة رقم ٢٣٨) ، مقدمتها ومؤخرتها كرؤوس ورقاب الحيوانات مما يذكر بنظائرها الساسانية، ومن شواهد القبور المسيحية بهيئة عامة لسفينة (شكل رقم ٦/٢٣) وهو خاص برتبة قبطان كما توضح النصوص ، أو بهيئة عامة لشراع (شكل رقم ٢/٢٣) أو بهيئة عامة لعجلة القيادة (شكل رقم ٤/٢٣) أو بهيئة عامة لسفينة بمقدمتها عجلة القيادة ويرتفع من مؤخرتها الهلب أو المرساة (شكل رقم ٧/٢٣) ^(١٤٨) والمرساة (Anchor) ترمز عندهم للأمل والحياة الأبدية وتكثر على شواهد قبور كبار السن ، والسفينة هي سفينة الكنيسة وسفينة الخلاص ، كان ذلك وقت أن كان للكنيسة سطوة على المجتمع المسيحي الأوربي في العصور الوسطى ، لكن بعد فصل الكنيسة عن معاش الناس وانتشار العلمانية ، وصلتنا شواهد قبور مسيحية أوربية كثيرة جداً تشير إلى ما كان يمتنه أصحابها قبل وفاتهم ، وأكدت النصوص المصاحبة على نوعية تلك المهن ، كما أكدت على الحرية المطلقة في اختيار الهيئة العامة للشواهد والتراكيب وما رافقها من نصوص ، مما أثرى الإبداع الفني بعد عصر النهضة والباروك والركوكو ، ونكتفي هنا بذكر نماذج من تلك المهن ، فالشاهد باللوحة (رقم ٢٣٩) لميكانيكي ، والشاهد باللوحة (رقم ٢٤٠) لبطل سباق (ماراثون) والشاهد باللوحة (رقم ٢٤١) لموسيقي ، والشاهد باللوحة (رقم ٢٤٢) لصانع أحذية ، والشاهد باللوحة (رقم ٢٤٣) لغانية (فتاة ليل) وهكذا لدرجة تدنت الأمور وتفسخت عقيدة ما بعدت الموت حتى وصلتنا شواهد قبور بهيئة قاعدة المرحاض وأدنى من ذلك ، وتؤكد النصوص المنقوشة على شواهد أخرى صدق ما سبق ذكره ، ونكتفي أيضاً بذكر بعضاً منها من إيطاليا – مقر الفاتيكان – كالآتي :- " كان زوجاً جيداً وأباً رائعاً لكنه كهربائي فاشل " " إلهي رحب بزوجتي بقدر سعادتي برحيلها " " إلهي إنتبه لحافضة نقودك منه " " ذكرى من كل أبناءك عدا ريكاردو الذي لم يساهم في تكاليف جنازتك " ^(١٤٩)

فبعد أن كانت النصوص تستجدي الرحمات من الله تعالى صارت تسخر من عقيدة البعث ، وبعد أن كانت الهيئات العامة للشواهد تقليدية موقرة ، دخلت

148 - www.Flickriver.com

^{١٤٩} - نور (د. حسن محمد) :- أضواء على شواهد القبور الإسلامية في الجبانات الأوروبية - ٢ - وسط أوروبا ، كتاب مداولات اللقاء السنوي للجمعية السعودية للدراسات الأثرية (تحت الطبع) ، أحدهم جعل شاهد قبر كلبه لتمثال ذلك الكلب المحظوظ الذي أوصي له بكل ثروته .

عصر التخصص المهني بعد اكتشاف البخار والكهرباء والآلات والإختراعات ، مما انعكس على بعض شواهد القبور المهنية ، وأثر على جيرانهم العثمانيين ، ذلك أن الفن العثماني بصفه عامة كان قد ارتقى في أحضان التغريب منذ القرن ١٢ هـ/ ١٨م وما بعده ، كما شاهدنا ذلك في هيئة الباروك والركوكو ، بل أن التأثيرات الأوروبية زحفت على العالم الإسلامي كله سواء في إيران أو الهند أو شمال أفريقية مع حركات التوسع الإستعماري ، ومع ذلك يجب في هذا الموضوع ذكر الآتي:-

(أ) استمرار الهياكل التقليدية القديمة ممثلة في طرز وهيئات الصلبان والملائكة وغيرها بعد انتشار العلمانية في أوروبا المسيحية مما سيأتي تفصيله لاحقاً .

(ب) تأثر الجيران العثمانيين بشواهد القبور الأوربية المهنية كان ضعيفاً ، لوجود مبررات سبق ذكرها ممثلة في طبقية التركيبة الإجتماعية العثمانية من جهة ، ورمزية المذهب الصوفي من جهة أخرى ، وقبل هذا وذلك اختلاف المعتقد ، لكن مع كل هذا حدث التأثير والتأثير ، فالعثمانيون سبقوا الأوربيين في الاهتمام بالنقابات المهنية والحرفية ، فخلدوها بالتفصيل الفني الدقيق لكن ليس بعمل شواهد قبور مهنية وإنما بتمثيلهم في كتب الحفلات " السورنامات " فمخطوط سورنامة مراد الثالث مؤرخ بعام ٩٩٠ هـ/ ١٥٨٢م ، وبه (٤٢٧) تصويرة ، ومخطوط سورنامة وهبي مؤرخ بعام ١١٣٢ هـ/ ١٧٢٠م ، وبه (١٣٧) تصويرة ، جل هذه التصاوير تستعرض طوائف الحرفيين ومرور مواكبهم وبعض منتجاتهم أمام السلطان العثماني.

١٣- هياكل أخرى " هندسية بسيطة " :-

تتمثل هذه الهياكل العامة الهندسية البسيطة في هيئة الدائرة والمربع والنجمة والمثلث والمثلثن والمضلع ، ونحن لا نشك لحظة واحدة في وجود أمثلة أثرية من العصور الإسلامية المختلفة للهياكل المذكورة ، لكنها قليلة أو نادرة ، في الوقت الذي كانت نظائرها ليست بالقليلة في الحضارات والديانات غير الإسلامية ، ولهذا السبب أجمنا الحديث عنها كالآتي:-

(أ) الهيئة الدائرية :-

ربما بدأت الفكرة بحصر النقوش الكتابية الشاهدية في دائرة محفورة على هيئة غير دائرية - مستطيلة في الغالب كما حدث في الهيئة المحرابية - ثم تطورت الفكرة لعمل شواهد قبور دائرية الشكل ، حدث ذلك منذ وقت مبكر ، حتى أنه قبل نهاية القرن ٢ هـ / ٨م وصلتنا شواهد قبور إسلامية تامة الاستدارة ، لكن يتعارض مع هذه المنطقية الجذور الدائرية غير الإسلامية كما سيأتي ، ومن نماذج شواهد القبور الإسلامية تامة الاستدارة اللوحة

(رقم ٢٤٤) (شكل رقم ١/٢٤) مؤرخ بعام ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م ، ^(١٥٠) ومن الأمثلة غير تامة الإستدارة الشاهد باللوحة (رقم ٢٤٥) (شكل رقم ٣/٢٤) ^(١٥١) ومن النماذج الدائرية المثبتة على قاعدة سميكة لحفظ توازنه ، شاهد قبر إسلامي من سريلانكا عليه كتابات عربية (لوحة رقم ٢٤٦) محصورة في خرطوش مستعرض (شكل رقم ٢/٢٤) ومن شواهد القبور الدائرية التي تسبق ظهور المسيحية بقرنين كاملين ، مجموعات كثيرة بإقليم الباسك في اليرتغال (لوحة رقم ٢٤٧) (١٥٢) (شكل رقم ٥/٢٤) ومجموعات أخرى تامة الاستدارة أيضاً من نفس الفترة في جبانة سانت سيسيليا بأسبانيا (لوحة رقم ٢٤٨) (١٥٣) (شكل رقم ٦/٢٤) كذلك وصلتنا شواهد قبور يهودية ، تامة الإستدارة ، نصوصها باللغة العبرية ، تواريخها تقابل القرن ١١ هـ / ١٧ م ، بعضها محفوظ بالمتحف اليهودي بجزيرة رودس ^(١٥٤) ومن شواهد القبور الدائرية المسيحية نماذج كثيرة تامة الإستدارة ، من مناطق جغرافية مختلفة ، وتحمل تواريخ متباعدة ، نكتفى منها بنموذجين (اللوحتان رقما ٢٤٩ ، ٢٥٠) (١٥٥) (شكل رقم ٤/٢٤) .

والحق أن الشكل الدائري كوني ، فكل حركة وكل شكل في الكون دائري أو مشتق منه ، فالإنسان كله دوائر وكريات ، والشمس والقمر والسيارات كلها دوائر وكريات ، والدائرة رمز الكمال ، وقد ترمز في الفكر الفلسفي والديني الى المعبود بوصفه أصل الوجود والكمال المطلق ، ويحب الصوفي التأمل في نقطة الكمال العليا ، ولهذا كانت قباب أضرحة الأولياء على شكل دائري، كما كانت كثير من المدن المقدسة القديمة ، والمعابد والقصور الملكية القديمة ، وأكواخ الجماعات البدائية في أفريقيا كلها على شكل دائري ^(١٥٦) وهي ترمز في المسيحية إلى الخلود والى الأرض التي منها خلق الإنسان وإليها يعود ومنها يبعث مرة أخرى ، وهو ما يتفق والمعتقد الإسلامي كما في الآية (٥٥ بالجزء ١٦ من سورة طه) في قوله تعالى " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى " كما أنها تتفق وكثير

١٥٠ - قطرة ٤٦ سم ، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، انظر :

-Hassan Hawary et Hussen Rached:- op.cit.Tome premier.pl.III no.1289

١٥١ - قطرة ٢٦ سم ومؤرخ بعام ٦١٣ هـ / ١٢٢٤ م ، انظر: الزهراني (د. عبد الرحمن بن علي) - المرجع السابق ، ص ٥٩٢ ، لوحة ٩٨ ب .

152 - www.enwikipedia.org

153 - http://Commons.wikimedia.org

154 - www.rhodesjewishmuseum.org

155 - www.123rf.com

^{١٥٦} - الكنسوس (جعفر) :- الحكمة والفنون الإسلامية العريقة ، ذكرى إبراهيم تيتوس

بوخارديت ، مراکش ، المغرب ، ٢٠٠٠ م ، ص ١٨٩ .

- ٧٤١ -

من الشعائر الإسلامية كالطواف حول الكعبة عند الحج والعمرة ، وغير ذلك .

والدائرة من الناحية الجمالية ذات هيئة هندسية بسيطة إذ تتكون من سلسلة من المنحنيات المتصلة ، وهي رمز اللابدائية واللانهاية ، وهي لا تشير إلى اتجاه معين ، ولكنها " كل " قائم بذاته ، فهي دائماً في حالة توازن ، ويرى الكثيرون أن في الدائرة سحر للعين ، وقدرة على جذب الأنظار نحوها ، ومن وجهة القدرة الإبتكارية لا تخضع لقواعد النسب بقدر ما يخضع له المستطيل مثلاً - راجع النسبة الذهبية - فهي بذلك لا تتطلب جهداً إبتكارياً شأنها في ذلك شأن المربع^(١٥٧) ويتصل بالهيئة الدائرية أيضاً هيئة المحارة المشعة ، فهي دائرية الهيئة لكنها من أقواس متصلة في إطارها (فستونات) وأضلاع مشعة في بدنها (اللوحتان رقما ٢٥١ ، ٢٥٢)^(١٥٨) و (الأشكال أرقام ٧/٢٤ ، ٨/٢٤ ، ٩/٢٤) وهما نموذجان مسيحيان متأخران زمنياً ، ولا شك في أن لهما نظائر إسلامية لأن الهيئات المشعة وزخارفها مألوفة في الفنون الإسلامية كـ بعض الأطباق الخزفية من إيران التيمورية ومصر المملوكية ، وكثير من طواقي المحاريب وبواطن القباب العثمانية ، وفكرة الزخرفة الإشعاعية عند الصوفية مستمدة من فكرة النور الإلهي الذي يضي الكون^(١٥٩) وعلى الرغم من أن جماليات الهيئة الإشعاعية في شكلها العام وفي تجمع خطوطها في مركز واحد هو مركز السيادة والثقل ، إلا أنها من الناحية العملية لا تتناسب في تحديق وتغيير فصوصها مع تنفيذ نصوص الشاهد ، وربما رمزت هيئتها بالشواهد المسيحية السابقة للشمس التي ترمز للوفاة والقيامة عندهم.

(ب) الهيئة المربعة:-

ليس للمربع نسبة ذهبية لأن طول ضلعه يتساوى مع أي ضلع آخر فيه ، وتأتي جمالياته في بساطة شكله ، وهو مناسب للغاية في تسطيحه لنقش الكتابات عليه ، ولذلك وصلتنا شواهد قبور إسلامية كثيرة ومنذ زمن مبكر بالهيئة المربعة ، كما وصلتنا كذلك أمثلة كثيرة قريبة من التربيعة ، لكن عدم وجود دراسات حتى الآن عن مقاسات مثل هذه الشواهد أهمل نسبتها للهيئة المربعة ، وهي التي تتم أحياناً بشكل عفوى غير متعمد ، وإن كان الغالب تعمد تربيعتها كالنموذج المؤرخ باللوحه (رقم ٢٥٣)^(١٦٠) ويستقر شاهد

١٥٧ - رياض (د. عبد الفتاح) :- المرجع السابق ، ص ٧٦

158 - www.atos.co.nz

١٥٩ - عبد الدايم (د. نادر محمود) :- التأثيرات العقائدية في الفن العثماني ، رسالة ماجستير بكلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٩م ، ص ٧٣ - ٧٤

160 - Wiet (Gaston) :- op.cit .Tome Quatrieme.p.146.pL.XL.

القبر المربع على أحد أضلاعه بحيث يعمل له جذر بمنتصفه يغرَس في الأرض (شكل رقم ١٠/٢٥) .

كما يثبت أحياناً في وضع أرضي أو أفقي مائل حتى تنزلق عليه الأمطار (شكل رقم ٩/٢٥) وقد يتركز فوق القبر بدون جذر وإنما يختفي جزء من ضلعه السفلي كله ، ويكون الجزء المختفي خال من الكتابات (شكل رقم ٨/٢٥) وقد يثبت شاهد القبر على التركيبة الحجرية كما هو الحال في النموذج الرخامي المربع^(١٦١) المثبت على أحد التراكيب بالقبة الجنوبية لمجموعة الناصر فرج بن برقوق بصحراء المماليك بالقاهرة ، والشاهد يحمل تاريخ وفاة أخوين (٨١١ هـ / ١٤٠٨ م ، ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م) .

وقد يثبت شاهد القبر أعلى مدخل القبة الضريحية ، كما هو الحال في النموذج الرخامي المربع المثبت بأعلى مدخل روضة درغوت بمجموعته المعمارية في طرابلس الغرب ، والشاهد يخص محمد باشا ساقرى ، ومؤرخ لعام ١٠٥٩ هـ / ١٦٤٩ م.^(١٦٢)

والهيئة المربعة وصلتنا منها شواهد قبور كثيرة من ديانات وحضارات ما قبل الإسلام ، فهي ليست إبتكاراً إسلامياً.

(ج) الهيئة المعينة :-

إذا ثبتنا الهيئة المربعة على أحد رؤوسها لصارت هيئة المعين ، لكن الواقع أن النصوص الكتابية تنقش مسبقاً قبل التثبيت بما يتفق والنسق العام للمساحة المتاحة بشاهد الهيئة المعينة (شكل رقم ١/٢٥ ، ٢/٢٥ ، ٣/٢٥ ، ٤/٢٥ ، ٥/٢٥) والتي يبدو أنها بدأت بشكل عفوى بالشاهد (لوحة رقم ٢٥٤)^(١٦٣) وهو ما يؤكد نسق سطور الشاهد ، ثم تطورت في تأنقها وتشذيبها بسمك كبير للبلطة المعينة كما هو الحال في بعض الشواهد الإسلامية المحفوظة بالمتحف الأثنوجرافى فى أدرنة (لوحة رقم ٢٥٥) (شكل رقم ١/٢٥) تتميز هذه الهيئة ببساطتها كالمربع لكنها لا تتناسب فى بدايتها ونهايتها مع عدد الكلمات بالسطرين الأول والأخير عن النص إلا بحساب دقيق ولذا فهى قليلة الإنتشار ، مع أنها معروفة قبل الإسلام وبعده ، ومن نماذجها المسيحية بعد الإسلام اللوحتان (رقما ٢٥٦ ، ٢٥٧) وهما توضحان كيفية تثبيت الشاهد على قاعدة أو أكثر بحيث يظهر مرتفعاً عن الأرض ويمكن قراءة نصوصه.

^{١٦١} - عيد الحميد (د. علاء الدين عبد العال) :- المرجع السابق ، لوحة ١٧٢-١٧٣ ، والشاهد مقاسه ٤١سم × ٤١سم .

^{١٦٢} - نور (د. حسن محمد) :- شواهد قبور عثمانية من طرابلس الغرب ، ص ١٥ ، لوحة ١ شكل ١ ، ٢ ، والشاهد مقاسه ٥٠×٥٠ سم تقريباً .

(د) الهيئة المثلثة والهرمية :-

إن جماليات الشكل المثلث والهرمي تكمن في الإحساس بالقوة والرسوخ من هينتها (شكل رقم ٧/٢٥ ، ١٢/٢٥ ، ١٤/٢٥) فضلاً عن كونها من جملة الهياكل الهندسية البسيطة ، وعلى الرغم من ذلك لم تصلنا شواهد قبور إسلامية من الهيئتين المذكورتين للأسباب الآتية:-

١- يرمز المثلث عند المسيحيين إلى عقيدة التثليث ، ووصلتنا شواهد قبور مسيحية كثيرة بالهيئة المثلثة (لوحة رقم ٢٥٨) (شكل رقم ٧/٢٥) وهو ما يتعارض تماماً مع المعتقد الإسلامي ، أما القمم المثلثة أو الهرمية في بعض أنماط تراكيب القبور الإسلامية التي سترد في الفصل الثاني من هذه الدراسة ، فهي ليست شواهد قبور مستقلة ، وإنما قمم لتراكيب من أسفلها مكونة من مسطبة أو أكثر.

٢- يرمز الهرم إلى الموت ، ووصلتنا مقابر كثيرة بهيئة هرمية ، سواء من مصر الفرعونية أم من غيرها (شكل رقم ١٢/٢٥) لكن لم تصلنا شواهد قبور إسلامية بهيئة هرمية ، لكونها هيئة لا تتناسب مع المعتقد الإسلامي ، في الوقت الذي اتخذتها بعض النحل الحديثة نسبياً شعاراً لها ولهيات قبورها ، مثل الماسونية أو البنائون الاحرار (لوحة رقم ٢٥٩)^(١٦٤) ، تلك المنظمة العالمية التي تنشر الفكر العلماني وتحارب الفكر الديني، وشعارها وأشهر رموزها تعامد مسطرة المعماري مع فرجار هندسي (شكل رقم ١٣/٢٥) ولهذا الرمز معنيان معنى بسيط يدل على حرفة البناء ، ومعنى باطني يدل على علاقة الخالق بالمخلوق أو علاقة السماء بالأرض ، وهو نفس دلالة نجمة داوود السداسية.

(ه) الهياكل النجمية :-

لا شك أن ما حملته الأشكال النجمية في الزخرفة الإسلامية يؤكد العلاقة الوثيقة بين السماء والأرض ، ويرى البعض أن جميع الأشكال النجمية ناجمة من اندماج شكلين يمثلان السماء والأرض ، فالنجمة الخماسية ناجمة من تداخل زاويتين ، والسداسية ناجمة من تداخل مثلثين ، والثمانية من تداخل مربعين ، وفي جميع هذه الأشكال يحس المتفكر بتوأمض السماء والأرض ، المركز والمحيط ، الروح والمادة ، الشكل والمضمون ، وربما كانت الأشكال النجمية الثمانية أكثر هياكل النجوم تمثيلاً في الزخرفة الهندسية الإسلامية ، وربما كان لذلك تفسيراً باطنياً ، فهي تتكون من مربعين متداخلين ، مربع يعبر عن القوى الأربع في الطبيعة ، فالضلع الأعلى يمثل الهواء ، والأدنى يمثل التراب ، والضلع الأيمن يمثل الماء ، والأيسر يمثل النار ، والمربع الثاني يعبر عن الجهات الأربع: الشرق والغرب والشمال

والجنوب ، وتداخل هذين المربعين يعنى أن قوى الله فوق كل قوى الطبيعة ، وهى منتشرة فى جميع أنحاء الوجود.^(١٦٥)

وترمز النجمة بصفة عامة للميلاد والحياة ، لكن دلالات رمزيتها تختلف من ديانة لأخرى حسب عدد رؤوسها ، بل وحسب الرؤية والمعتقد للنجمة ذات الرؤوس الخمس أو الست أو الثمانى أو التسع كما يوضحه التفصيل الآتى:-

(١) **هيئة النجمة الخماسية :-**

يرى الفيثاغورثيون أن هذا الرمز (شكل رقم ٦/٢٥) يمثل ذروة الإتيقان الهندسى وأنه يحقق النسبة الذهبية ، وأول الديانات التى يظن أنها تبنت هذا الرمز هى (الويكا)^(١٦٦) إذ اعتبروا النجمة الخماسية ترمز إلى خمسة عناصر مكونة للطبيعة وهى الأرض أو التراب والهواء والماء والنار والروح أو الأثير ، فالرأس اليسرى المنخفضة ترمز إلى الاستقرار والأمن الجسدى والتحمل ، واليمنى المنخفضة ترمز للشجاعة ، واليمنى العليا ترمز للعواطف والحدس ، واليسرى العليا ترمز للخيرات والفنون ، والنقطة القصوى للنجمة ترمز للذات الإلهية ولكل ما هو روح ، وترمز النجمة الخماسية عند اليهود لأسفار موسى المقدسة ، بل ودعيت بخاتم سليمان مع أن نجمة سليمان سداسية كما سنفصل بعد قليل ، وفى وقت مبكر عند المسيحيين كانت ترمز إلى جروح المسيح الخمسة ، ولذا نقشت على شواهد القبور المبكرة بأوروبا الغربية ، ثم انتقلت فى وقت متأخر لتصبح هيئة عامة لشواهد قبور مسيحية (اللوحتان رقما ٢٦٠ ، ٢٦١)^(١٦٧) (شكل رقم ١١/٢٥) هذا وتتفق الرمزية الخماسية فى الويكا تماماً مع ما سبق ذكره عن نظيرتها فى البوذية (شكل رقم ٢/١٩ - أ - ب - ت - ث - ج) لكن التصميم العام فى الهيئتين قد اختلف تماماً ، وهو أشد بعداً فى كليهما عن المعتقد الإسلامى ، لذا لم تصلنا شواهد قبور إسلامية بهيئة نجمية خماسية ، ولو وصلتنا لربما ربطنا بينها وبين الفكر الدينى الشيعى ورمزيتها فيه شأنها شأن رمزية النجمة السداسية فى الفكر نفسه.

(٢) **هيئة النجمة السداسية :-**

سبق القول أن النجمة السداسية ناجمة عن تداخل مثلثين ، وأنها ترمز فى الديانة اليهودية إلى نجمة سيدنا داوود وسيدنا سليمان ، ولهذا وصلتنا شواهد قبور يهودية كثيرة ، هيئتها العامة نجمية سداسية (شكل رقم ٢/٣٤)

^{١٦٥} - ياسين (د. عبد الناصر) :- المرجع السابق ، ص ١٠٦

^{١٦٦} - الويكا هي ديانة وثنية قديمة يتم حالياً بعث أفكارها من جديد عن الإلحاد وعدم البعث بعد الموت .

(اللوحتان رقما ٢٦٢ ، ٢٦٣)^(١٦٨) سواء ثبتت على قاعدة منخفضة أو على قائم مرتفع (شكل رقم ١٥/٢٥) وفي تلك الهيئة العامة عندهم معنى باطنى يدل على علاقة السماء بالأرض أى علاقة الخالق بال مخلوق ، وقد ترمز النجمة السداسية فى المسيحية إلى الأب والخلق والحكمة السماوية، وعلى الرغم من وجود النجمة السداسية ضمن جملة الزخارف الهندسية الإسلامية، إلا أنها لا تحمل دلالات عنصرية وعقدية كما فى اليهودية ، ولعل اختلاف المعتقد تسبب فى عدم وصول شواهد قبور إسلامية بهيئة عامة نجمية سداسية ، وهو ما ينطبق على النجمة ذات الرؤوس التسع، فهى إحدى رموز الماسونية.

الفصل الثانى

الهيئة العامة لتراكيب القبور

سبق تعريف تركيبية القبر والعلاقة بينها وبين شاهد القبر ، وذلك بمقدمة هذه الدراسة ، ويتم فى هذا الموضع تصنيف تراكيب القبور الإسلامية وفق الهيئة العامة لها ، وما ينبثق عنها من طرز ، وهو تصنيف اعتمد المصطبة (١٦٩) أساساً له ، فهى المؤلففة فى الحضارات والديانات السابقة على الإسلام، واستمرت بعد ظهور الإسلام فى ديانات وحضارات كثيرة ، لبساطتها وجمالياتها من جهة ، وتنوع المواد التى تصنع منها من جهة أخرى.

أولاً:- هيئة المصطبة ذات المستوى الواحد:-

وقع الاختيار فى هذا الموضع على مجموعة من تراكيب القبور تمثل هيئة المصطبة فى أبسط صورها ، وهو المستوى الواحد المنشورى المستطيل ، وما يتصل به ويتفرع عنه من طرز أربعة نسوق تلك النماذج من مناطق شتى من العالم الإسلامى (شكل رقم ٢٦ من ١ حتى ٧) (وشكل رقم ٢٧ - ١/٢/٣/٥/٨) واللوحات من (رقم ٢٦٤ حتى رقم ٢٧٤) كالاتى:-

(أ) الطراز الأول (الخالى من البابات وما شابهها) :-

- تراكيب قبور بهيئة مسطحة السقف ، بنيت كل تركيبية فوق قاعدة أعرض ومرتدة ، بينما غشيت الجدران ببلاطات القاشانى البيضاء^(١٧٠) ، فى إحدى الجبانات الإسلامية بمدينة الرباط بالمغرب الأقصى

168 - www.shutterstock.com

١٦٩ - عن تعريف المصطبة وتعريف جميع المصطلحات الواردة بهذا الفصل انظر ملحق الدراسة .

١٧٠ - الراجع أن فكرة استخدام الكسوات الخزفية فى عمل التراكيب قد ظهرت فى إيران فى العصر السلجوقى حيث وصلتنا نماذج منها ترجع لعصر سلاجقة الأناضول . انظر

(لوحة رقم ٢٦٤) (شكل رقم ١/٢٦) وهى خالية من شاهد القبر أو من أية كتابات مصاحبة.

- تراكيب قبور بهيئة مسطحة السقف ، بنيت كل تركيبة فوق قاعدة أعرض قليلاً أو بنفس العرض ، وهى خالية من الزخارف ، ويحتل شاهد القبر جزء صغير من سقف أو سطح التركيبة بوضع أفقى تام إما بمنتصف السطح أو بثلثه الأيمن أو بثلثه الأيسر ، وهى من جبانة سرنجار بكشمير الهندية الإسلامية (لوحة رقم ٢٦٥) ^(١٧١) (شكل رقم ٣/٢٦).

- تراكيب قبور بنفس الهيئة السابقة وأوصافها ، مع التأق فى زخارف جوانبها ، وتزويد واجهتى الضلع القصير (العرض) بالنصوص الكتابية الجنائزية ، محفورة فى الحجر أو الرخام ، وهى من إحدى الجبانات الإسلامية بإقليم السند فى باكستان (لوحة رقم ٢٦٦) (شكل رقم ٤/٢٦).

- تركيبة قبر " تابوت " بهيئة مصطبة ذات سقف مسطح تماماً لكنه بارز قليلاً عن الجدران شأنه فى ذلك شأن القاعدة المنخفضة والتركيبة بإحدى الجبانات الإسلامية بمدينة إسكدار من العصر العثمانى (لوحة رقم ٢٦٧) ^(١٧٢) (شكل رقم ٧/٢٦).

- تراكيب قبور بهيئة مصطبة مسطحة السقف ، وإن برز من إحداها - وهى الأقرب إلى الناظر بروز مرتفع بطول السطح كأنه مستوى ثان للمصطبة وما هو بمستوى ثان بل بروز بسيط (لوحة رقم ٢٦٨) (شكل رقم ٢/٢٦) والتراكيب السبع بإحدى الجبانات الإسلامية بمدينة باكو فى أذربيجان.

- تراكيب قبور بجبانة النجف فى العراق ، خاصة بالشيعية ، بهيئة مصطبة مسطحة السقف ، ويرتفع عند قبالة رأس الميت جدار مرتفع عن السطح (لوحة رقم ٢٦٩) ^(١٧٣) .

- تراكيب قبور إسلامية بجبانة شاه زنده فى سمرقند بأوزبكستان ، كتاباتها مؤرخة بالقرن ٧هـ / ١٣م ، بهيئة مصطبة مسطحة السقف مع صفين من حطات المقرنصات بين السقف والضلعين القصيرين

(لوحة رقم ٢٧٠) (شكل رقم ٦/٢٦) وهى تذكرنا بالمقرنصات المنحوتة بشواهد القبور الإسلامية من هيئة المستطيل المقرنص بجبانة أهلت فى تبليس شرقى الأناضول ، والمؤرخة ما بين القرنين ٦ - ٩هـ / ١٢ - ١٥م

- عبيد (د. شبل إبراهيم) :- تراكيب القبور الخزفية فى آسيا الصغرى فى الفترة من القرن ٨هـ / ١٤م وحتى القرن ١٣هـ / ١٩م دراسة أثرية فنية ، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة ، العدد العاشر ، ٢٠٠٤م .

171 - www.dla.library.upenn.edu

172 - www.Turkishculture.org

173 - www.Usatoday.com

(لوحات أرقام ٩ ، ١٠ ، ١١) بما تحمله المقرنصات من معانى دينية ورمزية سبق ذكرها.

- تركيبة إسلامية بجبانة مأمن الله بالقدس (لوحة رقم ٢٧١) (١٧٤)
بهيئة مصطبة مسطحة السقف ، أقيمت جدرانها على قاعدة منخفضة من مستويين ، ويرتفع عن مستوى سطحها بالضلعين القصيرين ما يشبه شاهد قبر ومضاهيه بهيئة عقد مدبب منكسر ، وما هو بشاهد قبر وإنما مقدم التركيبية ومؤخرها.

- تركيبة رخامية بالحديقة المتخفية برشيد في مصر ، القرن ١٢هـ / ١٨م ، مستطيلة بسقف مسطح (لوحة رقم ٢٧٢) (١٧٥)
- صنعت النماذج المختارة للتراكيب السابقة من الرخام ، أما التراكيب المصنوعة من الخشب فنسوق لها الأمثلة الأربعة الآتية:-

- تابوت خشبي كان بالمشهد الحسيني بالقاهرة ، ونقل لمتحف الفن الإسلامي بنفس المدينة ، بهيئة مستطيل مرتفع لها سقف مسطح ، أحد جوانبه خالي من الزخارف مما يؤكد أنه كان ملتصقاً بأحد جدران القبة ولم يتوسط أرضيتها ، ويرجع لبداية القرن ٧هـ / ١٣م وتابوت خشبي آخر كان في ضريح العاقولي ببغداد ، من القرن ٨هـ / ١٤م ، بهيئة منشور مستطيل بسقف مسطح تماماً (١٧٦).

- تابوت أبو نادلة ، بقبة الخلفاء العباسيين بالقاهرة ، ٧٦٣هـ / ١٣٦٢م ، مثبت على قاعدته شاهدى قبر لخليفتين عباسيين ، منشور مستطيل ارتفعت من أركانه الأربعة حلية صغيرة (لوحة رقم ٢٧٣) (١٧٧)
- تابوت خالد بن الوليد بمتحف دمشق ، خشبي من القرن ٨هـ / ١٤م ، ترتفع من أركانه الأربعة حلية صغيرة (لوحة رقم ٢٧٤) (١٧٨).
ويتضح من العرض السابق للطراز الأول ما يلي :-

١- ينتشر ذلك الطراز في كل زمان وفي كل مكان من العالم الإسلامي، ويبنى من الرخام أو الحجر أو الخشب أو الأجر أو الطمي ، وهو بسيط في شكله المنشوري المستطيل ، مسطح السقف ، والمزود أحياناً في أركانه

174 - www.alt-arch.org

١٧٥ - خير الله (د. جمال) :- النقوش الكتابية علي شواهد القبور الإسلامية مع معجم الألفاظ والوظائف الإسلامية ، العلم والإيمان ، دسوق ، ٢٠٠٧م ، لوحة ١٧

١٧٦ - مقاسات التابوت الأول ١٨٥×١٣٥×١٣٢سم ، ومقاسات التابوت الثاني (الطول ٢٢٤ ، العرض ١٣٢ ، الإرتفاع ١٤سم) . حسن (د. زكي محمد) :- أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، بغداد ، ١٩٥٨م ، شكل ٣٧١ ص ١٢٣ ، شكل ٣٨١ ص ١٢٨ .

١٧٧ - عبد الله (د. محمود سيد) :- المرجع السابق ، لوحة ١٢ ص ١٤٤ .

١٧٨ - الشهابي (قتيبة) :- المرجع السابق ، ص ٢٦٧

الأربعة بحليات صغيرة ، وأحيانا أخرى بيروزات وارتدادات ضحلة ، وأحيانا ثلاثة يزخرف ببلاطات قاشانى أو بمقرنصات وأحيانا رابعة تبنى المصطبة فوق قاعدة منخفضة أو قاعدتين ، فهى رغم بساطتها إلا أنها متجددة ومتنوعة.

٢- ليس لدينا مقاسات كافية لهذه الأمثلة الكثيرة من ذلك الطراز حتى نطبق عليها قاعدة النسبة الذهبية للمستطيل ، والتي أشرنا إليها عند العرض لشواهد القبور المستطيلة.

٣- أصول تلك الهيئة مألوف فى الديانات والحضارات السابقة على الإسلام ، واستمر استعمالها عندهم بعد ظهور الإسلام ، فالمصطبة معروفة عند الفراعنة ، وكذلك التوابيت التى تحفظ فيها جثة الميت

(لوحة رقم ٢٧٥) وهو ما يتعارض والشرع الإسلامى حيث توارى الجثة تحت الأرض ، أما المصطبة أو التابوت فيعلوها فوق سطح الأرض . وكذلك استعمل اليهود والمسيحيون المصطبة قبل الإسلام وبعده ، فمن نماذجها اليهودية الكثيرة (اللوحة رقم ٢٧٦)^(١٧٩) ومن نماذجها المسيحية (اللوحة رقم ٢٧٧) (شكل رقم ٦/٣٠).

وبالنسبة لطريقة الدفن عندهما فهى عند المسيحيين توضع الجثة فى تابوت خشبى ثم يوضع التابوت فى مدافن عائلية بشكل غرف ، وبعد فترة تجمع بقايا الجثة وتوضع فى زاوية الغرفة (القبر) لإفساح المكان لجثث أخرى من العائلة . أما عند اليهود الغربيين (الأشكناز) فيدفن الموتى فى توابيت ، لكن اليهود الشرقيين يدفنون موتاهم فى الأرض مباشرة كما هي عادة المسلمين .

(ب) الطراز الثانى (ذو البوابات وما شابهها) :-

لا يختلف هذا الطراز عن سابقه سوى فى ارتفاع البوابات أو ما شابهها بأركان المصطبة ذات السقف المسطح أو بأعلى الضلعين القصيرين ، والباباة أو الرمانة أو التفاحة سبق الحديث عنها فى شواهد القبور من طراز الأعمدة (شكل رقم ٨/١١) ، وأمثلتها كثيرة فى جوانات العالم الإسلامى منها الآتى :-

- مجموعة توابيت كل منها عبارة عن مصطبة مبنية من الحجر ، مقاساتها ٢.٨٠ x ١.٥٠ متر ، وبارتفاع متر واحد ، لها رمامين فى الأركان الأربعة ، والتوابيت موجودة بقبة يحيى الشيهى بالقاهرة.

- مجموعة كبيرة من التراكيب مختلفة الأحجام والمقاسات ، بجبانة أبو عنبر وجبانة الشيخ زايد فى البحرين ، وبعضها نقل إلى متحف البحرين ، ومتحف بيت القرآن بالبحرين ، وترجع للفترة ما بين القرنين ٧ - ٩ هـ / ١٣

١٥ - ، وتسمى عندهم بالساجات ، مادتها من الصخور والطمى ، وكتابتها بخط الثلث ، يرتفع من كل ضلع من الضلعين القصيرين ما يشبه البابه لكنه مضع وبدون رقية (شكل رقم ٩/٢٦ ، ١٠/٢٦) (اللوحات أرقام ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠)^(١٨٠) ويشبه التراكيب السابقة نظائر لها بجبانة خونجي (Khonji) فى جنوب غرب إيران ، وهى المجاورة جغرافيا للبحرين ، مع تنوع فى شكل البابات وتحوير قربها من شكل الشرافات المدرجة

(لوحة رقم ٢٨١) (شكل رقم ٨/٢٦) وليس ثمة ربط بين تلك السلالة والمذهب الشيعى السائد بالبحرين وإيران ، بل أن مضامين كتاباتها تخص مشايخ وعلماء وشخصيات من أهل السنة.

- ومن أمثلة المصطبة المنخفضة التى يرتفع عنها عمودين قصيرين من الرخام المضلع ، تركيبة السلطان إينال وابنه أحمد بالقاهرة فى القرن ٩ هـ / ١٥^(١٨١) (شكل رقم ٤/٢٧) .

- وأمثلة المصطبة ذات المستوى الواحد (المنشور المستطيل) ولها رقية مععمة قبالة رأس الميت ومضاهى - أو بدونه - عند أرجل الميت ، نماذجها لا تحصى عددا فى العصر العثمانى بكل الولايات دون إستثناء.

(ج) الطراز الثالث (ذو السقف المقبى) :-

هو مثل سابقه من حيث كونه من مستوى واحد ، لكن سقفه مقبياً بقبو برمبلى أو مدبب ، وقد يعمم فى بعض سلالاته ، ويكون للعمامة مضاهى قبالة قدم المتوفى ، وقد لا يكون له مضاهى ، ويتشابه ذلك الطراز مع سابقه أيضا فى أنه معروف فى الديانات والحضارات السابقة على الإسلام ، باستثناء السلالة المععمة ، وهى ذات مغزى طبقى أو دينى دال على أهمية الشخص المقبور تحتها من الناحية الإجتماعية أو الدينية ، كما سبق تفصيله عند الحديث على شواهد القبور من الهيئة المععمة ، كذلك تشترك هيئة المصطبة مقببة السقف مع سابقتها فى كونها غير قاصرة على مكان معين دون آخر فى العالم الإسلامى ، أو زمان دون آخر ، ومن أمثلتها الآتى:-

- تراكيب قبور بجبانة أسوان فى مصر ، من العصر الفاطمى ، بعضها مبنى من اللبن أو الأجر على هيئة مصطبة إنحناء قبوها ظاهر ، وبعضها الآخر أحيط القبو ببناء جعلها كتلة منشورية على هيئة مصطبة (شكل رقم ٨/٢٧) .^(١٨٢)

- تركيبة مبنية من الأجر بهيئة مصطبة ذات سقف برميلي ، وشاهد قبر مستطيل ملتصق بمقدمها (شكل رقم ١/٢٨) (لوحة رقم ٢٨٢) وهى من شرق العالم الإسلامى فى فترة متأخرة .
- تركيبة عثمانية بهيئة مصطبة معممة ولها مضاهى (شكل رقم ٧/٢٨)^(١٨٣) وما أكثر نظائرها فى العصر العثمانى فى جبانات كثيرة بالولايات العثمانية فى أوربا وآسيا وأفريقية ، كما سبق سلاجقة الروم فى تركيا بعمل التركيبة ذات المصطبة الواحدة والسقف البرميلي والعمامة عند الرأس (شكل رقم ١/٣٢) .
- تركيبتان منخفضتان بهيئة مصطبة ذات سقف برميلي (شكل رقم ٣/٢٨) من شرق العالم الإسلامى.
- تركيبة مرتفعة بهيئة مصطبة ولها سقف بقبو مدبب (شكل رقم ١٠/٢٧) وهى من مراكش فى العصور الوسطى ، هذا وقد يرتفع القبو بشكل ملحوظ مما يضطر معه إلى الإرتفاع بجسم المصطبة كما هو الحال فى
- (اللوحة رقم ٢٨٣) (شكل رقم ٢/٢٨) وهى لتراكيب إسلامية من فاس، والأمثلة كثيرة لهيئة المصطبة مقببة السقف أو التوايبت ذات الغطاء البرميلي منذ أقدم الحضارات واستمرت تلك الهيئة حتى الآن فى الديانات السماوية الكبرى الثلاث.
- فمن أمثلتها من العصور المصرية القديمة ، تابوت الملك تحتمس الأول (١٤٩٥ ق.م) ومن أمثلتها اليهودية بعض التراكيب تواريخها بعد الإسلام (شكل رقم ٣/٣٠ ، ٤/٣٠) ومن نماذجها المسيحية بعد الإسلام نموذج من سومطرة فى القرن ٥هـ / ١١م (شكل ٥/٣٠) .
- (د) الطراز الرابع (ذو السقف الجملونى المسنم) :-**
- المصطبة فى هذا الطراز من مستوى واحد فقط مثل سوابقها لكنها بسقف مسنم جملون ، وقد تقطع من الرخام بكتلة واحدة لجسدها وسقفها ، وتزود بإطار بارز أو بعدة أطر زخرفية تزيد من جمالها مع الكتابات المحفورة على سقفها وجوانبها ، مع عناية أكبر بواجهتها وبمؤخرها ، ويطلق على ذلك الطراز فى الأندلس وشمال أفريقيا اسم " مقابرية " أو طراز " ألمرية " إحدى المدن الأندلسية ، هذه الهيئة المنشورية الهرمية المتطولة اشتهر بها الغرب الإسلامى منذ وقت جد مبكر من ليبييا حتى الأندلس ، ومن نماذجها الكثيرة جداً نختار الآتى:-

دراسات في آثار الوطن العربي ١٥

- مقابرية من تونس ، مؤرخة بعام ٣٩١ هـ / ١٠٠٠ م (لوحة رقم ٢٨٤)^(١٨٤) (شكل رقم ٢/٢٩).
- مقابرية أخرى من تونس ، نهاية القرن ٤ هـ / ١٠ م ، معها تفاصيل لواجهتها ومؤخرها (لوحة رقم ٢٨٥)^(١٨٥).
- مقابرية ثالثة من تونس ، بمتحف الأشمولين باكسفورد ، القرن ٥ هـ / ١١ م (لوحة رقم ٢٨٦)^(١٨٦).
- مجموعة من المقابريات من ليبيا ، بالمتحف الإسلامي ومتحف السراى الحمراء بطرابلس مقاساتها صغيرة ومتفاوتة مثل (٣٠ x ٣٦ x ١٨٣ سم ، ٢٥ x ١٤ x ١٨٣ سم) وأصغر من ذلك وترجع إلى القرن ٦ هـ / ١٢ م^(١٨٧).
- مجموعة من (٢٤٥) قبر عثر عليها فى حفريات جولفا (Julfa) بالأندلس ، معظمها من طراز المقابرية ، من القرن ٦ هـ / ١٢ م ، (لوحة رقم ٢٨٧)^(١٨٨) (شكل رقم ١/٢٩).
- وثمة تركيبة حجرية من دمشق فى القرن ٦ هـ / ١٢ م ، بمتحف متشجان بأمریکا (لوحة رقم ٢٨٨) لكن السقف الهرمى المسنم لا يغطى التركيبة بكاملها (٤٦٤٠ x ٤٢٥ سم) (شكل رقم ٤/٢٩).
- وتجاوزاً يمكن ضم مجموعة من التوابيت والتراكيب الأخرى لذلك الطراز وإن لم تتطابق معه تماماً كالآتى:-
- تركيبة قبر يحيى الشبيه بقبته بمقابر الإمام الليث بالقاهرة ، ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م ، جوانبها من الرخام وسقفها خشبى مسنم (لوحة رقم ٢٨٩) (شكل رقم ٦/٢٧) .
- تابوت خشبى من العصر السلجوقى ، بهيئة منشور مستطيل وله أربع حليات ترتفع من أركانه وسقف مسنم لا يغطى كل جسم المنشور أسفله (لوحة رقم ٢٩٠)^(١٩٠) (شكل ٩/٢٧) .
- تركيبة قبر السلطان العثمانى محمد الأول " التربة الخضراء فى بورصة " وهى مععمة بمقدمها ، (لوحة رقم ٢٩١) وسقفها مسنم^(١٩١) وغير ذلك كثير فى جل بقاع العالم الإسلامى كتابوت المهدي أحمد ٨٤٠ هـ /

^{١٨٤} - زبيس (د. سليمان مصطفى) :- المرجع السابق ، القسم الثالث ، ص٣٧

^{١٨٥} - نفس المرجع السابق ، ص٣٩

^{١٨٦} - www.Jameelcentre.ashmolean.org

^{١٨٧} - Rossi (Ettore) :- iscrizioni Arabe E Turche del Museo di Tripoli (Libya) . 1953

^{١٨٨} - www.heritagemalta.org

^{١٨٩} - خير الله (د. جمال) :- المرجع السابق ، لوحة ٣ ص٥٩ .

^{١٩٠} - عبد الحافظ (د. عبد الله عطية) :- دراسات فى الفن التركى ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م ، ص٤٦٠ لوحة ١٠٢ .

^{١٩١} - خير الله (د. جمال) :- المرجع السابق ، لوحة ٦

١٤٣٦م ، وتابوت الإمام يحيى ٩٦٥هـ / ١٥٥٧م ، وكلاهما باليمن وكل تابوت أو تركيبة منهما منشورية مستطيلة بسقف جمالوني^(١٩٢) .
والمصطبة ذات السقف الجمالوني معروفة قبل الإسلام فى الحضارات القديمة وفى الديانتين اليهودية والمسيحية ، واستمرت عندهما بعد الإسلام ، ومن أمثلتها قبل ظهور الديانات السماوية الثلاث (شكل رقم ٧/٣٠) وهو لضريح فينيقى بسوريا ، وقبر آخر قديم (شكل ٢/٣٠) .
ومن أمثلتها اليهودية تركيبة فى سالونيك باليونان^(١٩٣) ، ومن نماذجها المسيحية مقابر يات بإقليم الباسك فى البرتغال ، وفى غيره من جبانات أوروبا (لوحة رقم ٢٩٢)^(١٩٤) (شكل رقم ٣/٢٩) .
ثانياً :- هيئة المصطبة ذات المستويين :-

تتكون هذه الهيئة من دورين (مستويين) ويتفرع عنها عدة طرز ، يمكن إجمالها فى طرازين فقط ، ويمكن تفصيلها فى أربعة طرز ، وذلك طبقاً للسقف الذى يغطى المستوى العلوى أو طبقاً لوجود البابات وأشباهاها من عدم وجودها ، وفى جميع الحالات هى ليست ابتكار إسلامى وإنما وجدت أصولها فى الحضارات والديانات السابقة على الإسلام ، واستمرت مستخدمة عندهم بعد ظهور الإسلام.

الطرز الأول :- المصطبة ذات المستويين والسقف المسطح :-

يتكون ذلك الطراز من مستويين مستطيلين يعلو أحدهما الآخر ويرتد العلوى إلى الداخل قليلاً فيكون أصغر من السفلى ، ويغطى بسقف مسطح تماماً ، وقد يرتفع من منتصف الضلعين القصيرين بالمستوى العلوى شاهد قبر ومضاهيه (شكل رقم ٥/٣١) وقد ترتفع الرمامين (البابات) بأركان المستوى العلوي بدلا من شاهد القبر ومضاهيه ، وقد يستغنى عن الجميع ، ومن الأمثلة المختارة لذلك الطراز ما يلى :-

- مجموعة تراكيب حجرية فى جبانة تخص طائفة البهرة الشيعية بالهند (لوحة رقم ٢٩٣)^(١٩٥) وسقفها مسطح تماماً ، وخالية من البابات وما شابهها ، وهى غير قاصرة على الشيعة ، وإنما استخدمتها كل الطوائف الإسلامية فى كل مكان وفى كل زمان .

- مجموعة تراكيب رخامية فى القاهرة فى العصر المملوكى البحرى والجركى تخص بعض أمراء وسلاطين المماليك ، وهى تتكون كلها من مستويين وسقف مسطح وأربع بابات ، ومن أمثلتها:-

^{١٩٢} - خليفة (د. ربيع حامد) :- المرجع السابق ، ص ٩٧

^{١٩٣} - <http://wn.com/history/of/jews/of/the/saloniki>

^{١٩٤} - <http://www.scottiepress.org>

^{١٩٥} - www.penang-Traveltips.com

واجهة تركيبة ، ٦٧٤هـ / ١٢٧٦م (شكل رقم ٤/٣١)^(١٩٦) تركيبة
قبر السلطان قلاوون ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م ، تركيبة قبر السلطان علاء الدين
كجك ، ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م (لوحة رقم ٢٩٤)^(١٩٧) تركيبة بقبة السلطان
حسن بن قلاوون ، ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م ، تركيبة قبر السلطان عبد العزيز بن
برقوق ، ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م (لوحة رقم ٢٩٥) . تركيبة قبر السلطان
برقوق ، ٨١٠هـ / ١٤٠٧م ويجاورها شاهد قبر بهيئة عمود مؤرخ ٨٠١هـ /
١٣٩٨م (شكل رقم ١/٣١) (لوحة رقم ٢٩٦) تركيبة قبر أحمد بن
السلطان المؤيد شيخ (شكل رقم ٢/٣١) ، تركيبة قبر خايربك ، ٩٢٧هـ /
١٥٢٢م (لوحة رقم ٢٩٧)^(١٩٨) .

الطراز الثاني :- المصطبة ذات المستويين والسقف المقبي :-

تتنوع مكونات ذلك الطراز سواء في المصطبتين أو في سقفيهما ، والغالب
أن يبرز المستوى السفلي عن المستوى العلوي في المصطبتين ، وقد يرتفع
المستوى السفلي بشكل كبير عن المستوى العلوي الذي يكون أقل ارتفاعاً ،
وقد يزود المستوى العلوي بحزوز أو بإطار أو بطنف زخرفي ، أما السقف
فقد يكون برميلي أو مدبب أو جملوني مسنم أو مضلع ، وهي في جميع
الحالات السابقة مألوفة في الديانات والحضارات السابقة على الإسلام ،
واستمرت مستخدمة فيها بعد ظهور الإسلام ، وإن زودت بالبابات أحياناً في
بعض نماذجها الإسلامية ، وتبنى من مواد خام مختلفة كالأحجار والرخام
والآجر ، والخشب وغيرها ، وقد تزخرف ببلاطات القاشاني ، وتغشيها
الكتابات الجنائزية أو تترك خالية من أية كتابات أو زخارف وتغطي فقط
بطبقة من الطمي أو الجص ، ومن النماذج المنتخبة لتمثل ذلك الطراز ما
يلي:-

- تركيبة قبر علي بن أبي بكر الهروي ، مؤرخ بعام ٦٠٣هـ ،
١٢٠٦م (شكل رقم ٦/٣١)^(١٩٩) وهي من مستويين وغطاء برميلي .
- واجهة تركيبة رخامية ، من القاهرة ، مؤرخة بعام ٦٦٢هـ /
١٢٦٣م (شكل رقم ٣/٣١)^(٢٠٠) كانت على تركيبة مكونة من
مستويين وغطاء جمالوني .

^{١٩٦} - عبد الحميد (د. علاء الدين عبد العال) :- المرجع السابق ، شكل ١٧٤ ص ٣٨٦

^{١٩٧} - عبد الله (د. محمود سيد) :- المرجع السابق ، علي الترتيب ، ص ١٦١ لوحة ١٥ ،
ص ١٧٩ لوحة ٢١ .

^{١٩٨} - نفس المرجع السابق ، علي الترتيب ، ص ١٨٦ لوحة ٢٣ ، ص ٢١٢ لوحة ٣٠ ،
ص ٢٠٩ لوحة ٢٩ ، ص ٢١٧ لوحة ٣٣ ، ص ٢٧٧ لوحة ٤٦ .

^{١٩٩} - Herzfeld (Ernst) :- *Materiaux corpus inscriptionum Arabicarum* . Tome . I .
vol . 2 . Le cairo . 1956 . p . 265 .

- تركيبة (تابوت) رخامي للملك الأشرف إسماعيل ، ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م ، عبارة عن مستويين وغطاء بهيئة قبو ذي قطاع مضع ، ويرتفع عن المستطيل العلوى أربع بابات ، تابوت آخر يشبه سابقه ويخص الناصر أحمد ، وثالث مثلهما يخص الناصر أحمد الصغير ، ورابع مثلهم لكن غطاءه جمالونى ويخص الملك الظافر ، وجميع هذه التوابيت بمدرسة الأشرف إسماعيل فى تعز باليمن. (٢٠١)

- تركيبة قبر من إيران ، مؤرخة ٨١٠هـ / ١٤٠٧م (لوحة رقم ٢٩٨) (٢٠٢) مستويين وقبو مدبب (شكل رقم ٢/٣٢).

- تركيبة قبر من مراکش (لوحة رقم ٢٩٩) من مستويين وقبو مدبب.

- تراكيب قبور من الأجر والطمى ، من أكرا بالهند ، المستوى السفلى أكثر ارتفاعاً ، وقبو مدبب (لوحة رقم ٣٠٠) (شكل رقم ٤/٢٨).

- تراكيب قبور من الأجر و الطين ، بنفس الطراز السابق ، وينتشر ذلك الطراز فى جبانات الأويجور غربى الصين ، ومنطقة كاشغر

(لوحة رقم ٣٠١) (٢٠٣) وكذلك فى منطقة كنزو بالصين (لوحة رقم ٣٠٢) (شكل رقم ٦/٢٨) ليس عند المسلمين فحسب كما هو الحال فى النماذج السابقة ، وإنما عند جيرانهم المسيحيين بنفس المناطق المذكورة ، وهو ما يمثله (شكل رقم ١/٣٠) .

تركيبة قبر إسلامية من منطقة كنزو بالصين ، لا تختلف عن نظائرها السابقة سوى فى القبو المضع (لوحة رقم ٣٠٣) (شكل رقم ٥/٢٨).

ثالثاً:- هيئة المصطبة متعددة المستويات:-

تتعدد طرزها كثيراً ، إذا تبدأ بثلاثة مستويات ، العلوى أصغر من الأوسط ، والأوسط بدوره أصغر من السفلى ، وسقف مسطح تماماً ، ومن سلالات ذلك الطراز وجود شاهد قبر مرتفع بأعلى أحد الضلعين القصيرين من المستطيل العلوى ، وله مضاهى أو بدونه ، أو وجود رقبة معممة أو بطربوش بدلاً من الشاهد وفى نفس موضعه ، مع وجود المضاهى أو الإستغناء عنه.

والطراز الثانى يتكون من ثلاثة مستويات ، وسقف برمىلى أو جمالونى مسنم أو قبو مضع .

٢٠٠ - عبد الحميد (د. علاء الدين عبد العال) :- المرجع السابق ، لوحة ٧٤ ص ٢٠٦ شكل

١٧٢

٢٠١ - خليفة (د. ربيع حامد) :- المرجع السابق ، ص ٢٠٠-٢٠١

202 - www.photographersdirect.com

203 - www.Fotosearch.com

والطرز الثالث يتكون من أكثر من ثلاثة مستويات ، مع سقف مسطح أو بجوسق مخروطي أو مقبب أو مسنم أو مضع ، وقد تتجدد الإبداعات لتمس المصاطب المنشورية المستطيلة ، فلا تتدرج بانتظام وإنما تزداد الارتدادات بغير انتظام بما يخل بالنسق المنشوري المستطيل ، والجدير بالذكر أن الطرز الثلاثة ليست إبتكاراً إسلامياً ، وإنما هي مألوفة في كثير من الديانات والحضارات السابقة على الإسلام ، كما أن تلك الطرز الثلاثة ليست قاصرة على مذهب دون آخر أو زمان دون آخر أو مكان دون آخر من العالم الإسلامي ، وأخيراً ترتيب الحديث عن الطرز الثلاثة السابقة من الهيئة الثالثة ، وترتيب الحديث عن الهيئات الثلاث للمصاطب (ذات المستوى الواحد ، ذات المستويين ، متعدد المستويات) من البسيط إلى المركب ترتيب منطقي لكنه لا يعنى أسبقية تاريخية ، فالثابت بالدليل المادى وجود الهيئات الثلاث للمصاطب في الحضارة الفرعونية على سبيل المثال ، ومن أمثلة المستويات المتعددة هرم (زوسر جسر نثرت) أو هرم سفارة المدرج (بنى عام ٢٧٣٧ ق.م) (شكل رقم ٨/٣٠) كما عرفت في حضارات أخرى وديانات سابقة على الإسلام ، واستمرت الهيئة متعددة المستويات فيها حتى بعد ظهور الإسلام ، وفيما يلي عرض لنماذج إسلامية للهيئة متعددة المستويات:-

الطرز الأول :-

- تركيبة إسلامية من جنوب غرب الصين (لوحة رقم ٣٠٤) (٢٠٤) (شكل رقم ١/٣٣).
- تراكيب في جبانة بمدينة فتح بورسكرى بولاية أوتار براديش بالهند (لوحة رقم ٣٠٥) (٢٠٥) وهي من ثلاث مصاطب وسقف مسطح تماماً إلا أن التراكيب غير متطابقة ، فبعضها ترتفع فيه المصطبة العليا كثيراً عن المستويين بأسفلها.
- تركيبة إسلامية بالهند ، ثلاث مصاطب فوق قاعدة منخفضة جداً وسقف مسطح لكن ارتداد المصطبة الوسطى أخل بالنسق المنشوري للمستطيلات ، كما أضيف لها حليات زخرفية بارزة بالإطارين العلوى والسفلى ، وإكليل قبالة رأس الميت (لوحة رقم ٣٠٦) (شكل رقم ٦/٣٣).
- تركيبة قبر إبراهيم باشا بن محمد على بالقاهرة ، ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨ م (لوحة رقم ٣٠٧) (٢٠٦) (شكل رقم ٥/٣٤) وهي مزودة بشاهد قبر يرتفع

٢٠٤ - حسن الباشا (د. محمود) :- المرجع السابق ، المجلد الخامس ، ص ٤٥١ لوحة ١٧٠١

205 - www.glowimages.com

٢٠٦ - عبد الله (د. محمود سيد) :- المرجع السابق ، ص ٣٠٩ لوحة ٥٢

عن الضلع القصير بالمصطبة العليا ، قبالة رأس الميت ، ويقابله مضاهي عند القدمين.

- تركيبة قبر محمد علي باشا الكبير بالقاهرة ، ١٢٦٤هـ ، ١٨٤٨م (لوحة رقم ٣٠٨) ^(٢٠٧) لها شاهد بدون مضاهي .
 - تركيبة قبر السلطان حسين كامل بالقاهرة ، ١٣٣٠هـ / ١٩١٧م ، ثلاث جلسات (مصاطب) وشاهد ومضاهي (لوحة رقم ٣٠٩) . ^(٢٠٨)
- الطراز الثاني :-**

تركيبة قبر السلطان التتمش ، ٦٠٧هـ / ١٢١١م ، بمجموعة قطب منار في نيودلهي (لوحة رقم ٣١٠) ^(٢٠٩) (شكل رقم ٣/٣٣) ثلاثة أدوار (أو مستويات أو مصاطب أو جلسات) وسقف جمالوني .
تركيبة قبر إسلامية متأخرة نسبياً (لوحة رقم ٣١١) مثل سابقتها .
تركيبة قبر كوٹام بن عباس في شاه زنده بسمرقند (لوحة رقم ٣١٢) وتتكون من ثلاث مصاطب وسقف برميلي (شكل رقم ٤/٣٢) .
تركيبة قبر إسلامية (لوحة رقم ٣١٣) (شكل رقم ٥/٢٩) ثلاث مصاطب وسقف هرمي مسنم .

- تركيبة قبر من جبانة السعديين بمراكش ، وفيها مجموعة من التراكيب الرخامية ذات المصطبة الواحدة أو المصطبتين أو الثلاث ، بأسقف مسطحة أو هرمية ، وهي غاية في الثراء والفخامة كتركيبة السلطان الغالب بالله ، والسلطان العلوي محمد ، وأحمد المنصور الذهبي ، وعبد المهيمن ، وغيرهم ^(٢١٠) .

- كذلك ضمت مدن دهلي وسكندرا وأكرا جبانات فيها توابيت وتراكيب رخامية فخمة خاصة بالأباطرة المسلمين وعائلاتهم ، تتكون من مستويين وأكثر ، بأسقف مسطحة أو مسنمة أو مقببة ، بل أن بعضها تم تليسيه بالأحجار الكريمة ، من النماذج المشار إليها مجموعة توابيت الامبراطور همايون وعائلته في دهلي ، مجموعة توابيت الإمبراطور أكبر وعائلته في سكندرا ، مجموعة توابيت الإمبراطور شاه جهان وزوجته ممتاز محل وغيرهما في أكرا. ^(٢١١)

٢٠٧ - نفس المرجع السابق ، ص ٣٠١ لوحة ٥٠

٢٠٨ - نفس المرجع السابق ، ص ٣٣٢ لوحة ٦٢

٢٠٩ - www.worldhistoryto1500.blogspot.com - 209

٢١٠ - أبو رحاب (د. محمد السيد محمد) :- العماير الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين ، دراسة أثرية معمارية ، دار القاهرة ، ٢٠٠٨م ، ص ٣٨١-٤٤٠ .

٢١١ - علي (د. أحمد رجب محمد) :- المرجع السابق ، ص ٨٧ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٢٦ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ، ٢١٠ لوحات ٤٧ ، ٤٩ ، ٧٥ ، ٩٢ ، ١٢٠ ، ١٢١ .

- تركيبة قبر إسلامية حديثة نسبياً ، ثلاثة مستويات وسقف مسنن (لوحة رقم ٣١٥) (شكل رقم ٩/٢٨).
- الطراز الثالث :-
- تركيبة إسلامية في يافا بفلسطين (لوحة رقم ٣١٦) (شكل رقم ٢/٣٣) أربعة مستويات بسقف مسطح ، والمستوى الرابع أكثر ارتفاعاً.
- تركيبة إسلامية بجبانة مأمن الله بالقدس (لوحة رقم ٣١٧) (٢١٢) مثل سابقتها
- تراكيب إسلامية من شرق العالم الإسلامي (لوحة رقم ٣١٨) أربعة مستويات وسقف مسطح .
- تراكيب إسلامية بجبانة في مدغشقر بالمحيط الهندي (لوحة رقم ٣١٩) (٢١٣) عدة مستويات وسقف مسطح.
- ثمة مجموعة من تراكيب القبور الإسلامية ، فريدة في طرازها ، ولذا فهي في حاجة لمزيد من الوصف (اللوحات أرقام ٣٢٠ حتى ٣٢٣) (شكل رقم ٣/٣٢) بجبانتين مختلفتين بولاية السند في باكستان ، تبقى منهما حوالي عشرين تركيبة ، تتراوح ارتفاعاتها ما بين ٦ : ١٥ قدماً (القدم = ٣٠.٤٨ سم) تصميمها عبارة عن هرم متدرج من عدة مستويات وسقف مسطح مزود أحياناً بإكليل أو بقبيبة مضلعة أو حلية مفصصة ، وأحياناً تزين مثل هذه الحليات أركان المصطبة السفلية ، ولا تتساوى الإرتدادات الموجودة بين المستويات ، ترجع هذه التراكيب للفترة ما بين ٨ - ١٠هـ / ١٤ - ١٦م واستمر طرازها حتى القرن العشرين في باكستان والهند ، ويسمى هذا الطراز في لغة قبائل البلوخستان "chaukhandi" أي مبنى من أربعة طوابق أو مبنى مستطيل أو مربع له أربعة جوانب ، ومذهب قبائل البلوخستان هو المذهب السني (٢١٤) ، وليس ثمة تأويل للهيئة العامة لتلك التراكيب وبين مذهب قبائل البلوخستان.

212 - www.alt-arch.org

213 - www.Superstock.com

٢١٤ - نظراً لأهمية الهيئة العامة لتلك التراكيب وما حوت من زخارف وكتابات ورموز ، فقد تناولتها الدراسات الكثيرة مثل :-

Hasan,Mumtaz:- Chaukhandi Tombs . Artistic Pakistan 1968 . pp . 24-31

Hasan,sheikh khurshid :- Chaukhandi Tombe in Pakistan,Karachi.Royal book company . 1996

Brohi,Al Ahmed n.d :- History on Tombstones sindh and Baluchistan,Jamshoro – Hyderabad : sindhi Ababi Board.Zulfqar Ali Kalhoro :- Tombstones of Fallen Heroes .(MPRA) Munich personal Repec Archive . 2009 . pp . 44 . 55 Fig 1-6

- مجموعة أخرى من التوابيت (التراكيب الخشبية) عرفتها اليمن في القرنين ١١ - ١٢هـ / ١٧ - ١٨ م لها أيضاً طابع فريد غير مألوف في غيرها من أشكال التوابيت التي عرفتها البلاد الإسلامية ، ويطلق أهالي صنعاء على هذا النوع من التوابيت اسم " الققص " وهي عبارة عن ثلاثة مستطيلات العلوى أصغر من الأوسط ، والأوسط بدوره أصغر من السفلى ، ويتوج المستطيل العلوى عادة بجوسق مخروطي يشكل مستوى رابعاً ، ومن أمثلته تابوت يحيى بن حمزة ، ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م (لوحة رقم ٣٢٤) تابوت أبي محمد الحسين ، ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م (لوحة رقم ٣٢٥) (شكل رقم ٥/٣٢) تابوت محمد بن الحسن بن القاسم ، ١٠٧٩هـ / ١٦٦٨م (لوحة رقم ٣٢٦) (شكل رقم ٦/٣٢) تابوت المهدي لدين الله العباس ، ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م .^(٢١٥)

- مجموعة من التراكيب الرخامية بمقابر السعديين بمراكش في المغرب الأقصى ، ترجع للقرن ١٠هـ / ١٦م (لوحة رقم ٣٢٧)^(٢١٦) (شكل رقم ٧/٣٣ ، ٨/٣٣ ، ٩/٣٣) وتتكون كل منها من ثلاث مصاطب متدرجة تعلوها ثلاث مصاطب هرمية .

رابعاً : هينات أخرى متنوعة :-

لم يقف حد الإبداع عند ما سبق ذكره من هينات وطرز لتراكيب القبور الإسلامية ، وإنما تعدي للمزيد ، كالقباب الكانوبية والأسرة وغيرها مما يشملها العرض التالي:

● تركيبه بهينة قبة كانوبية (Canopy) فوق قبر إسلامي بالهند (لوحة رقم ٣٢٨) وهي عبارة عن عقد صغير مفصص يرتفع عن كل ضلع من أضلاع المصطبة ويحمل قبيبة كروية ، فالأضلاع الأربعة مفتوحة ، والحجم صغير ، والغرض جذب الأنظار لمن تحت القبيبة ، خاصة إن كان ما حوله من شواهد قبور وتراكيب بحجم أصغر ، فهي نموذجاً لطرز المدافن المفتوحة أو المقابر الكانوبية ، والتي كثرت نماذجها في العصر العثماني في أصقاع كثيرة^(٢١٧).

^{٢١٥} - خليفة (د. ربيع حامد) :- المرجع السابق ، ص ٩٧ ، لوحات ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٦ .

²¹⁶ - www.blog.une.edu/morocco

^{٢١٧} - للمزيد عن المقابر الكانوبية انظر :- الحداد (د. محمد حمزة) :- المجلد في الآثار والحضارة الإسلامية ، زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، لوحة ٨٤ .

- تركيبية بهيئة قبة كانوبية فوق قبر شرف الدين الحسيني بن علي ، بمقابر الشيعة في جبانة بروكوود جنوبي لندن (لوحة رقم ٣٢٩) وتشبهها قبة كانوبية أخرى بنفس الجبانة ولنفس الطائفة^(٢١٨).
- تراكيب قبور بهيئة قببيات ترتفع عن مصاطب في جبانة خلف جامع عقبة بن نافع بالقيروان في تونس (لوحة رقم ٣٣٠)^(٢١٩) (شكل رقم ٨/٢٨).
- مجموعة تراكيب في جبانة إسلامية في الهند ، بعضها بقباب كانوبية مفتوحة ، والبعض الآخر معمد بأعمدة أربعة تحمل ظلة أو تعريشة سطحها أشبه بشرفة مسننة (لوحة رقم ٣٣١) (شكل رقم ١٠/٢٨).
- وفي باب المقارنات بين تراكيب القبور الإسلامية ذات الهيئة العامة المقببة بقباب كانوبية مفتوحة أو معمدة مع ماسبق الحديث عنه من شواهد القبور الإسلامية من هيئة الأعمدة والدعامات التي تتوج بقببيات صغيرة (اللوحات أرقام ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٨٨ ، وغيرها) نجد البون شاسعاً في الحجم والمقاس وإن تشابهت الهيئات في بعض الأمور ، فالأحجام في شواهد القبور صغيرة تقاس بالسنتيمتر ، بينما في القباب الكانوبية بتراكيب القبور كبيرة نسبياً وتتراوح بين المتر والمترين تقريباً لكل ضلع من أضلاع مربع القببية الكانوبية ، بحيث لا يقترب في جميع الحالات من الأحجام الضخمة للقباب الضريحية التي تغطي مبني له جدران مربعة تتراوح أضلاعها ما بين ٣:١٠ متر أو يزيد ، مع مناطق انتقال ورقاب وهيئات كثيرة لمثل تلك القباب (شكل رقم ١/٨ ، ٢/٨ ، ٣/٨ ، ٤/٨ ، ٥/٨ ، ٦/٨ ، ٧/٨ ، ٨/٨ ، ٩/٨).
- تركيبية رخامية بهيئة سرير ومخدة غاية في النعومة والإيحاء براحة المرقد والمستقر البرزخي ، وهي تغطي قبر الأميرة شويكار حرم ملك مصر فؤاد الأول ، بجبانة الغفير بالقاهرة ، وقد توفيت عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م (لوحة رقم ٣٣٢) وهي في هيئتها السابقة مأخوذة عن نظائرها المسيحية الأوربية من بداية القرن ١٤هـ/٢٠م (لوحة رقم ٣٣٣)^(٢٢٠) وهو ما يرتبط ارتباطاً كاملاً مع المضامين المصاحبة ، والمنقوشة علي شواهد بعض القبور وتراكيبها في أوروبا المسيحية ، بما يربط الهيئة العامة للشاهد أو التركيبية وراحة المرقد في انتظار الجنة الموعودة بالراحة التامة وانعدام الصخب والوصب والتعب ، حيث سجل علي كثير من تلك الشواهد والتراكيب عبارة (Rest in peace) أو اختصارها (R.I.P) أي أرقد بسلام.

٢١٨ - نور (د. حسن محمد) :- أضواء على شواهد القبور الإسلامية في الجبانات الأوروبية - ١ - غرب أوروبا - ص ٢٠٢ لوحة رقم ١٤ ، ١٥

219 - www.glowimages.com

220 - <http://pinterest.com/pin>

جماليات شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها:

إن ما وصلنا من شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها ليعد بالملايين ، وهي تشهد في مجملها علي يد متمكنة من صنعها ، واثقة في عملها ، وذلك بما أضفت عليها من جماليات جعلت جُلهَا تحفاً فنيةً في مظهرها الآخاذ ، وليست مجرد ألواح بنقوش جنازوية ، بحيث تكاملت الهيئة العامة للشاهد أو التركيبية بلونها ومظهرها وملمس مادتها الخام المصنوعة منه مع كتاباتها وزخارفها وتذهيباتها - إن وجدت - وزيارة واحدة لأية جبانة إسلامية ليشهد بذلك ، وهو ما يحتاج للتفصيل الآتي:

أخذت الهيئة العامة المستطيلة نصيب الأسد من حيث الكثرة العديدة لشواهد القبور الإسلامية وذلك لملاءمتها من حيث الشكل والمساحة لأسطر النقوش الكتابية المصاحبة ، تلك النصوص التي تمثل الهدف الأساسي الذي من أجله صنع الشاهد أو التركيبية ، كما أن للهيئة المستطيلة جمال مطلق متفق عليه إذا ما تحققت فيها النسبة الذهبية للمستطيل ، وهي أن العرض ثلثي الطول ، وهو ما تحقق ولو بشكل عفوي في بعض شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها من هيئة المصاطب المنشورية ، بل أن النظرة العامة تؤكد إقتراب كل منها من القطاع الذهبي ، ذلك أن المسح الشامل لمقاسات شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها لم يتم بعد حتى الآن.

ومن باب الاستئناس بالدراسات السابقة عن الكثرة العديدة للهيئة العامة المستطيلة لشواهد القبور ، علي سبيل المثال: مصر في العصر الأيوبي ، احتلت الهيئة المستطيلة الرأسية المرتبة الثانية بنسبة ٤٢.٢% بمقاسات تتراوح ما بين ٢٥ حتى ٨٨ سم للارتفاع ، وتتراوح ما بين ١٥ حتى ٧٦ سم للعرض ، أما المستطيل الأفقي فلوحظ أن عرضه يتراوح ما بين ٨٨ سم حتى ١٨٠ سم ، وارتفاعه ما بين ١٥ سم حتى ٨٠ سم^(٢٢١).

ومن دراسة شواهد القبور الإسلامية في مصر المملوكية تبين أن الشكل المستطيل الرأسية سيطرت نسبة استخدامه علي ٨١.٦% من بين جميع الهيئات الأخرى ، بارتفاع يتراوح بين ٢٠ حتى ١٩٥ سم ، و عرض يتراوح ما بين ١١ حتى ٨٠ سم ، أما الهيئة المستطيلة الأفقية فقليلة وتتراوح مقاساتها ما بين ١١ حتى ٩٠ سم للارتفاع ، وما بين ٧٧ حتى ١٩٠ سم للعرض^(٢٢٢).

وتحققت جماليات الهيئة المستطيلة المقرنصة في الجمع بين جماليات المستطيل المذكورة من قبل مع جماليات حطات المقرنصات ، تلك الجماليات المتمثلة في الطاقات والقوايق والذبول والأخايد والثقوب ،

٢٢١ - عبد الحميد (د. علاء الدين عبد العال) :- المرجع السابق ، ص ١١٩

٢٢٢ - نفس المرجع السابق ، ص ٢٦٦

الأمر الذي جعل منها عنصراً زخرفياً زين معظم العمائر والفنون التطبيقية الإسلامية ، ولولا جمالياته ما تحقق له الانتشار ، وإن كان انتشاره علي شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها محدد بنطاق مكاني وزماني ليس كبيراً (اللوحات أرقام ١١، ١٠، ٩، ١٢، ١٣، ١٤، ٢٦٨) (شكل رقم ٢ ، ٦/٢٦).

أما الطراز الإمبراطوري فجمالياته في فخامة شكله المتميز بمصطبته وعقده وإطاره وتفریغاته وهیئة إستطالته مع نعومة وليونة وانسيابية تقوساته ، وإن لم يكتب له الذیوع سوي في الهند في فترة معينة (اللوحتان رقما ١٦ ، ١٧). وجماليات الهيئة المحرابية المسطحة والمجوفة في هيئتها العامة التي جمعت بين الخطوط الرأسية في القائمين الأيمن والأيسر ، وفي تقوسات العقود التي تعلوها والتي نيفت علي خمسة عشر نوعاً ، حتي أن بعضها قلد في تدرجه تدرج المقرنصات وحطاتها في المحاريب المعمارية بالمنشآت الدينية ، بما حوت المقرنصات من جماليات ، وبعضها الآخر زاد في تموجاته أو تكسراته أو تقوساته أو رؤوسه في تنوع يزيد من الإبداع والجمال (اللوحات أرقام ٣٩ حتي رقم ٥٠، ومن رقم ٥٤ حتي رقم ٦٦) (الأشكال أرقام ٣، ٥، ٦).

وجماليات شواهد القبور الإسلامية من طرز الأعمدة والدعامات والمسلات ، في رشاققتها وارتفاعاتها وتنوع أبدانها بين التربييع والإستدارة والقنوات والتفریغات والتضليعات وما يحزمها أحياناً من أحزمة وأطواق ، وفي تباين أنماط قواعدها وتيجانها وقممها المقرنصة أو المقببة أو الهرمية أو المخروطية وغير ذلك (اللوحات أرقام ٧١ حتي ٧٣ ، ومن رقم ٧٥ حتي رقم ٨٣ ، ومن رقم ٨٧ حتي رقم ٩٠ ومن رقم ١٠١ حتي رقم ١٠٥) ونظراً لجمال شكل العمود الإسطواني فقد استعمل كشاهد قبر بنسبة تصل إلي حوالي ٤٨.٤% في مصر في العصر الأيوبي ، بارتفاع يتراوح ما بين ٥٠ إلي ٢٣٣سم ، وبقطر يتراوح ما بين ١٠ إلي ٣٣سم^(٢٢٣). بينما انخفضت النسبة في العصر المملوكي في مصر إلي ١١.١% للعمود وبقطر يتراوح ما بين ١٤ إلي ٥٦سم ، وبارتفاع يتراوح ما بين ٥٢ إلي ١٧٦سم^(٢٢٤).

وتتمثل أسمى آيات الفن والجمال في التفاصيل الدقيقة لطيات ولفائف العمائم والطرابيش في الهيئة العامة المععمة من شواهد القبور الإسلامية ، وذلك بما حوته من حروز وجدائل وشبكيات وفصوص وزجاجيات (دالات) وقنوات متعددة الإتجاهات ، وتموجات مخروطية ، وألوان رامزة ، وشراريب متدلّية

٢٢٣ - نفس المرجع السابق ، ص ١١٩

٢٢٤ - نفس المرجع السابق ، ص ٢٦٨

كل ذلك ينتصب فوق رقاب روعي في نحتها النسبة والتناسب بين الرأس والرقبة وبدن الشاهد ، إلي حد كبير تلحظه عين الناقد الخبير حتي مع عدم توفر المقاسات الكثيرة المنشورة عنها (اللوحات أرقام ١١٥ حتي رقم ١٢٨ ومن ١٣٣ حتي ١٣٤ ومن رقم ١٣٦ حتي رقم ١٤١) (شكل رقم ١/١٠ حتي ٢٠/١٠ وشكل رقم ١/١١ حتي ٧/١١).

وفي شواهد القبور الإسلامية من طراز الباروك والركوكو يزداد التكلف والأناقفة ، والإنسيابية والرشاقة ، والرقفة والجمال ، والجمع بين الدنيوي الحسي والقدسي المحلق فيما وراء الطبيعة ذلك أن عناصر ومكونات الباروك والركوكو في الأكاليل التي تتوج شواهد القبور تتناسب في لا نهائية وكأنها تهرب من الفراغ ، كما أنها تشبع أذواق الطبقات الراقية والمتوسطة (اللوحات أرقام ١٤٤ حتي رقم ١٦٠) (الأشكال أرقام ١/١٣ حتي ١٨/١٣).

وجمال هيئة الشرافات في تناغمها الترددي وتقوساتها من تحديب وتعجير ، وتنوعاتها بين الرشاقة والقصر (اللوحات أرقام ١٦٧ حتي رقم ١٧٢) (الأشكال ٢٦/١٤ حتي ٣٥/١٤).

أما الهيئة المخروطة فجمالها في انتفاخاتها واستدقاتها وتصميماتها الفنية المرهفة بما حوت من حوز وأطواق وقمم كالبيات أو القبيبات الملساء ، أو بتصميمها الصنوبري ذي القاعدة المنقخة والقمة المسلوقة (اللوحات أرقام ١٧٥ حتي رقم ١٨٢) (الأشكال من ١/١٦ حتي ١٥/١٦).

وجماليات هيئة الفانوس في بدنه المضلع ومكوناته المحددة بقاعدة وبدن ورأس وزوائد ، مع التنوع في شكل تلك المكونات بارتدادات وأطر ، وعدم التقيد بعدد الأضلاع ، وقمم هرمية أو إكليلية ، وزوائد قرنية أو مجمدة (اللوحات أرقام ١٨٤ حتي رقم ١٩٧) (الأشكال أرقام ١/١٧ حتي ١١/١٧ ، و ١٧/١٧ حتي ٢١/١٧ ، ١/١٩ ، ٣/١٩).

وهيئة القارورة والجرة توحى في حد ذاتها بالليونة والنعومة خاصة في ثلثها العلوي بما فيه من إنحناءات الكتفين والرقبة والفوهة ، وإن كانت الجرة أو المزهرية بدون رقبة فإن فوهتها أكثر اتساعاً ومقابلة للفضاء الرحب حتي تتسع لباقات الزهور الجميلة في اللون والمعني (اللوحات أرقام ٢٠٩ حتي رقم ٢١٨) (الأشكال أرقام ١/٢٠ حتي ٨/٢٠).

وهيئة القلب المقلوب أو دمعة العين أو قطرة المطر في شواهد القبور جمالياتها في شكلها القائم علي التعجير والتحديب في انحناءات انسيابية مناقضة تماماً للخط المستقيم (اللوحات رقم ٢١٩ ، ٢٢٠) (الشكلان رقما ١/٢١ ، ٢/٢١).

ويتحقق الخط المستقيم تماماً في هيئة المصحف العمودية المستطيلة ، وتزداد جمالاً إذا ما تحققت فيها النسبة الذهبية ، بأن يكون العرض ثلثي الطول ، أو

يتموج الضلعين القصيرين في تعمد يقلد واقع طيات الأوراق ، فيعطي إبحاء بالليونة والإنسيابية(اللوحتان رقما ٢٣٣، ٢٣٤)(الشكلان رقما ٣/٢٢ ، ٥/٢٢)

بينما تلتقي الخطوط الرأسية مع نظائرها الأفقية وتتناغم معها الأقواس المنحنية ممثلة في مكونات هيئة السفينة وشراعها وحبالها وساريتها ومرساها ، في جماليات مذكرة بليونة الماء مجراها (اللوحتان رقما ٢٣٦ ، ٢٣٧) (الشكلان رقما ١/٢٣ ، ٣/٢٣).

وشواهد القبور الإسلامية ذات الهيئة الدائرية جمالياتها في بساطتها ، فالدائرة ما هي إلا سلسلة من المنحنيات المتصلة ، وجمالها في أنها في حالة توازن دائم يسحر العين ويجذب الأنظار ، وهي حرة لا تخضع لقوالب النسب (اللوحتان رقما ٢٤٤ ، ٢٤٦) (الشكلان رقما ١/٢٤ ، ٢/٢٤).

وجمال الهيئة المربعة في تساوي أضلاعها وبالتالي توازنها وبساطة شكلها (اللوحة رقم ٢٥٣ ، والأشكال أرقام ٨/٢٥ ، ٩/٢٥ ، ١٠/٢٥) وجمال الهيئة المثلثة والهرمية في الإحساس بالقوة والرسوخ ، فضلاً عن بساطتها ، ولهذا اعتلت الهيئات المسنمة والهرمية قمم بعض شواهد القبور من طراز الدعائم والمسلات كما سبق القول ، وأسطح بعض هيئات المصاطب في تراكيب القبور الإسلامية ، سواء طراز المصطبة الواحدة أو الإثنيتين أو الثلاث أو ما زاد (الأشكال أرقام ٦/٢٧ ، ٧/٢٧ ، ٩/٢٧ ، ٩/٢٨ ، ١/٢٩ حتى ٥/٢٩ ، ٣/٣٣ ، ٧/٣٣ ، ٨/٣٣ ، ٩/٣٣).

يضاف لكل الجماليات السابقة أن كثيراً من الشواهد والتراكيب تم تذهيبها ، وقد زال مع الزمن تذهيب بعضها ، وبقي البعض الآخر (لوحة رقم ١٦١) كما أن بعض الشواهد والتراكيب جمالياته في اللون الطبيعي للمادة الخام المصنوع منها ، والبعض الآخر تم تلوينه كله أو بعضه (اللوحات أرقام ١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٤٠) بألوان أخري زادت من جمالياته.

إن كل هذا الجمال المتقن لمنتج هو أقرب إلي الكماليات منه إلي الضروريات لا يمكن أن يصل إلي ذروة الإبداع والتنوع إلا بتوفر مقومات عدة متمثلة في الحالة الإقتصادية التي تمكن المشتري من دفع قيمة الشاهد أو التركيبية ، وحالة المجتمع العامة من الإستقرار السياسي والبعد عن الحروب الخارجية والفتن الداخلية ، والحالة العامة لصحة المجتمع ، ففي زمن الأوبئة الكبرى التي ينتج عنها وفيات بالمئات كالطواعين والملاريا وغيرها ، لا يوجد وقت أو جو عام مناسب لعمل شواهد وتراكيب بمثابة التحف الفنية ، ولما كانت الأوبئة الكبرى التي اجتاحت العالم الإسلامي أو أجزاء معينة منه، مثبتة التواريخ بكتب المصادر المعاصرة من جهة ، وشواهد القبور وتراكيبها وثائق مؤرخة في معظمها من جهة أخري ، فإذا عملنا دراسات حصرية مقارنة لخرجنا بنتائج معينة. كذلك يرتبط إزدهار هذه الصناعة

بالخلفية الثقافية للمجتمع وذوقه الفني ، ولما كانت معظم الحرف والصناعات في مجتمع العصور الوسطي يشرف عليها ديوان الحسبة فهي تخضع للإشراف الرسمي من قبل الدولة من حيث جودة المنتج والذوق العام للمجتمع ، ولهذا سادت طرز معينة في أماكن دون أخرى وفي زمن دون آخر ، وإن لم يخف أن تلك الصناعة إلي جانب رسميتها فهي شعبية من جهة ثانية ، فالغني والفقير يستطيع أن يعمل له شاهد أو تركيبة حسب ذوقه ودنانيره ، وإن طفي علي السطح احتمال ضعيف وارد باستيراد شواهد قبور مهيكلة بهيئتها العامة وجاهزة للحفر عليها بأي نوع من النصوص ، من مدينة لأخرى أو من دولة لأخرى لعدم توفر المادة الخام كما سنوضح بعد قليل ، خاصة وأن مضمون الكتابات نادراً ما يذكر مكان الوفاة ، أما عن الأنامل الموجودة التي صنعت تلك الروائع ونظم العمل وأدواته فستكون ضمن مباحث الفصل التالي.

الفصل الثالث

يعالج هذا الفصل ثلاثة مباحث هي: توضيح التأثير العقدي والمذهبي علي الهيئة العامة لشواهد القبور وتراكيبها ، وطرق صناعة شواهد القبور وتراكيبها ، والمواد الخام المصنوعة منها ، والأدوات المستخدمة في صناعتها ، وطائفة الصناعات ومسمياتهم ، أما المبحث الأخير فيشير للجمعيات العلمية العالمية المتخصصة في دراسة الجبانات بما حوت من شواهد قبور وتراكيب ، ونشاطاتها الحديثة والمتنوعة في ذلك المجال.

أولاً : التأثيرات العقائدية والمذهبية علي الهيئة العامة للشواهد والتراكيب:-

لقد ثبت بالدليل المادي وجود تأثيرات عقائدية ومذهبية علي كثير من شواهد القبور وتراكيبها ، سواء أكانت هذه العقائد والديانات سماوية أم كانت أرضية وضعية ، ذلك أن التصميم العام لشاهد القبر وتراكيبته يعتبر في بعض المعتقدات هو لمسة الوفاء الأخيرة للمتوفي ، بعدها ينقطع تقديم المعروف له ، بخلاف العقيدة الإسلامية التي لا ينقطع فيها عمل ابن آدم بعد موته ، حيث يصله ثواب صدقاته الجارية التي صنعها قبل موته ، كذلك علمه الذي ورثه من بعده ، وولده الصالح الذي يدعو له ، وإن كان الأمر كذلك في بعض المعتقدات غير الإسلامية فقد وجب تصميم هيئة عامة لشاهد القبر وتراكيبته بحيث تكون هيئة بديعة ومبتكرة لكي تساعد علي أن يبقى من يزور قبر الميت من أقاربه وأصدقائه ساعات طويلة من الزمن بجوار شاهده يتأملون شكله ولونه وزخارفه وكتاباته ، ويقارنونها بشواهد وتراكيب جيرانه ، ثم يكررون الزيارة لإحياء ذكرى موتاهم من جهة ، وللترويح عن

الزائرين الأحياء بمناظر الجبانات بما حوته من شواهد وتراكيب مبتكرة من جهة أخرى.

بل وصل الأمر أن الشخصيات الهامة والعامّة من العسكريين والمدنيين ورجال الدين يختار لإنشاء أضرحتهم مواقع متميزة ليس في الجبانات والمقابر وإنما في الحدائق العامة والميادين الكبرى داخل الحياة المدنية التي تعج بالحركة وليس في مدن الأموات الساكنة ، والهدف من ذلك دوام إحياء ذكراهم وترديد أيديهم البيضاء علي مجتمعاتهم.

وزاد الأمر حتي وصل إلي أن البعض كان يشرف بنفسه علي شاهد قبره قبل موته ، وذلك باختيار مادته الخام التي يصنع منها ، وتصميمه العام ، وحجمه ، ولونه ، وزخارفه ، ونقوشه الكتابية تنفذ كاملة ويترك فقط يوم الوفاة وشهره وسنته شاغراً بحيث يوصي ورثته بإتمامه عندما يأتي أمر الله تعالى.

وتأثر المسلمون ببعض المظاهر السابقة المشار إليها ما لم تتعارض مع عقيدتهم ، ثم زادوا علي ذلك من صميم عقيدتهم كما فعل سابقهم من الحضارات والديانات السابقة ، ولما كان الموضوع متشعباً فقد وجب تفصيله علي النحو التالي:

(أ) المعتقدات غير السماوية :-

عند الحديث عن هيئة الفانوس من شواهد القبور الإسلامية ، سبق ذكر بعض المعتقدات البوذية التي أثرت علي هيئة ورمزية شواهد القبور من ذلك النمط في مجموعة دول جنوب شرق آسيا ، ثم انتقلت هذه التأثيرات من شواهد القبور البوذية إلي نظائرها الإسلامية في الهيئة العامة والشكل دون الرمزية والمعتقد (شكل رقم ١٩).

وعند الحديث عن هيئة القارورة في شواهد القبور الإسلامية ، سبق ذكر الموروث الفني والعقدي لتلك الهيئة العامة ، والمرتبطة بعقائد حرق الجثث وحفظ جزء من رمادها في قارورة أو إناء يسلم لأقارب المحروق ليحتفظوا به أو يدفنونه في مقبرة أو يذرونه بنهر غانج المقدس ، وتأثر المسلمون في مجموعة دول جنوب شرق آسيا بالهيئة العامة للقارورة دون رمزياتها ومغزاها (شكل رقم ١/٢٠ حتى ٦/٢٠).

واتخذت الماسونية - البناؤون الأحرار - من الهيئة العامة الهرمية شعاراً لها ولأشكال شواهد قبورها ، هذه الهيئة التي تتكون من تعامد مسطرة المعماري مع فرجار هندسي (شكل رقم ١٣/٢٥) بما يرمز إلي حرفة البناء في الظاهر ، وعلاقة الخالق بالمخلوق أو علاقة السماء بالأرض ، في المغزي الباطن ، لكن القمم الهرمية بأعلي بعض أنماط تراكيب القبور

الإسلامية ، تشابهت في الشكل دون المغزي ، كما أن تراكيب القبور الإسلامية ذات القمم الهرمية تسبق ظهور النحلة الماسونية بعدة قرون. وفي ديانة الويكا الوثنية القديمة اعتبرت النجمة الخماسية رمزاً لخمسة عناصر مكونة للطبيعة وهي الأرض أو التراب والهواء والماء والنار والروح أو الأثير ، أي أنها اتفقت مع البوذية في ذلك لكن كل من المعتقدين عبر عن مكونات معتقده بهيئة عامة مختلفة تماماً عن الآخر (قارن شكل رقم ٢/١٩ بالنجمة خماسية الرؤوس).

والطوطمية نحلة غير سماوية كانت منتشرة في مجموعة دول جنوب شرق آسيا ، وفي غيرها ، والطوطم هو شعار القبيلة ويتخذ بهيئة حيوان أو كائن حي تنتحل صورته كشعار ، فهو عقدي عندهم ، ولذا وصلتنا شواهد قبور كثيرة لا يزال معظمها منتصباً في مقابرهم (اللوحتان رقما ٣٣٤ ، ٣٣٥)^(٢٢٥) صنعت من الأخشاب ومن غيرها ، وشكلت قممها بهيئة جماجم وقرون الماعز والخراف وغير ذلك من الحيوانات والطيور.

وفي الديانة الهندوكية وما يتبعها من عباد البقر ، ما انعكس علي بعض الهيئات العامة لشواهد القبور وتراكيبها ، حتي أن إحداها شكلت بهيئة إنسان بدون ملابس وقد استلقي علي ظهره وهو يرضع من لبن إلهه ومعبوده الذي يغمره من فوقه بالرضاء وكنف السكينة (لوحة رقم ٣٣٦) ولا غرابة في ذلك، ففي بعض المذاهب والديانات السماوية تراكيب قبور لحيوانات رامزة كما سيأتي.

(ب) الديانات السماوية :-

تعتبر المقبرة في الديانة اليهودية مكان خاص لدفن المنتميين للدين اليهودي فقط ، كما تعتبر أرضاً مقدسة تقام طقوس دينية معينة عند افتتاحها ، وإنشاء مقبرة يعد من أولويات المجتمع اليهودي في أي مكان في العالم ، وتكتب نصوص شواهد القبور وتراكيبها باللغة العبرية المقدسة مع بعض اللغات المحلية الأخرى أحياناً ، والهيئات العامة لشواهد قبورهم وتراكيبها معظمها تندرج تحت الأنماط التقليدية التي سبقت بها الديانتين المسيحية والإسلامية ، كما سبق القول ، كالهيئات العامة الهندسية البسيطة ، والهيئة المحرابية ، وهيئة العمود الإسطواني ، وهيئة الدعامة ، وهيئة المسلة ، وهيئة الكتاب المقدس ، وهيئة الشرافات المسننة وذات الأقواس ، وتراكيب القبور بهيئاتها العامة المختلفة.

لكن الدلالات العقدية والعنصرية اليهودية تتجلي بشكل أوضح في وصول شواهد قبور يهودية قبل وبعد ظهور الديانتين المسيحية والإسلامية بهيئة عامة لنجمة سداسية ، نجمة سيدنا داوود وسيدنا سليمان

(شكل رقم ٢/٣٤ ، ١٥/٢٥) (اللوحتان رقما ٢٦٢ ، ٢٦٣) برمزيتهما الظاهرة والباطنة وهي علاقة السماء بالأرض أو علاقة الخالق بالمخلوق. ووصول شواهد قبور أثرية يهودية بهيئة عامة للشمعدان ذي الأذرع السبعة (شكل رقم ٤/٣٤) وهو يرمز إلي انتصار اليهود علي السلوقيين في ٢٥ يناير عام ١٦٤ قبل الميلاد ، وإعادة بناء الهيكل بعد دخولهم القدس ، واعتبروا ذلك اليوم عيد (الحانوه) أي الأنوار ، وفيه تضاء الأنوار سبعة أيام بعدد أذرع الشمعدان حيث يضاء ذراع كل يوم تخليداً لذكرى الانتصار. أما الرمزية عندهم فيما يخص موضوع الدراسة فقد سبق الإشارة إليها كل في موضعه ، مثل : النجمة الخماسية عند اليهود ترمز لأسفار سيدنا موسى المقدسة ، ولذا وصلتنا شواهد قبور يهودية بهيئة عامة لنجمة خماسية الرؤوس ، وترمز شواهد القبور اليهودية التي بهيئة كتاب مطوي أو مفتوح إلي التوراه ، ومنه يقتبس آيات لتناقش علي الشواهد أيا كانت هيئتها العامة ، وفي ذلك سبق للنظائر اللاحقة في الديانتين المسيحية والإسلامية. وفيما يخص المسيحية فإن ما نشر من بحوث عن شواهد القبور المسيحية المتأخرة (القرنين ١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ليعد بالآلاف^(٢٢٦) ، ما يهمننا منها في هذا الموضع الدراسات التي أشارت للهيئات العامة ومعايير تصنيفها ، ونظراً لاختلاف المعتقد اختلف التنميط ، فمن طرز شواهد القبور المسيحية وتراكيبها الآتي:

- ١- طراز الصليب ، بمعنى أن شاهد القبر يأخذ في هيئته العامة شكل الصليب بأنواعه التي تعدت الأربعين شكلاً (شكل رقم ١/٣٤) منها الصليب اليوناني ، اللاتيني ، وصليب الهلب ، والصليب التاوي ، وصليب مالطة ، صليب أندراوس ، صليب أورشليم ، صليب الشطرنج ، وغير ذلك الكثير.
 - ٢- طراز التماثيل والملائكة ، وعادة ما تكون هذه التماثيل المجسمة والمنتصبة كشواهد وتراكيب فوق القبور ، لأحد أفراد العائلة المقدسة أو الحواريين أو كبار القديسين وآباء الكنيسة.
 - ٣- الطرز الكلاسيكية أو التقليدية وتقسم بدورها إلي سلالات وطرز (الأول ، الثاني ، الثالث.....).
 - ٤- الطرز البسيطة ، وتقسم بدورها لسلالات وطرز كالبيسط المتقن ذي الركن وغيره.
 - ٥- طراز الكتاب المقدس (الإنجيل).
 - ٦- طرز تشير لمهنة المتوفي.
- وغير ذلك من تقسيمات وطرز لا يعيننا منها سوي ثلاثة طرز هي : الطراز التقليدي والبسيطة وطرز الكتب المقدس ، وذلك لحدوث التأثير والتأثر فيها

بين الديانات السماوية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام) بما حملت من معاني ورمزية قد تختلف في الديانة الإسلامية عنها في نظيرتها المسيحية ، فالهيئة المحرابية في شواهد القبور المسيحية تشير إلي قبلتهم في الصلاة كنظيرتها الإسلامية ، وفي كلتا الحالتين تذكر المحاريب بالصلاة ومغزاها وأهميتها في الديانات الثلاث ، وهيئة الأعمدة المكسورة في شواهد القبور المسيحية ترمز للحزن وانكسار القلب خاصة إذا كان المتوفي شاباً أو صغيراً (اللوحتان رقما ٨٤ ، ٨٥) وهيئة الكتاب عندهم مطوي أو مفتوح ترمز للحكمة والمعرفة بصفة عامة والحكمة الإنجيلية بصفة خاصة (اللوحتان أرقام ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢) (الأشكال أرقام ٤/٢٢ ، ٨/٢٢ ، ٩/٢٢ ، ١٠/٢٢) وهيئة السفينة والشراع والمرساة ترمز لسفينة الكنيسة وسفينة الخلاص والأمل والخلود (شكل رقم ٢/٢٣ ، ٤/٢٣ ، ٦/٢٣ ، ٧/٢٣) والهيئة الدائرية لشواهد القبور ربما رمزت عندهم للشمس التي ترمز للقيامة (اللوحتان رقما ٢٤٩ ، ٢٥٠) (شكل رقم ٤/٢٤) كما ترمز أيضاً للخلود ولأرض التي خلق الله منها الإنسان وفيها أقبوره ومنها يبعثه ، وشواهد القبور المسيحية ذات الهيئة العامة المثلثة (لوحة رقم ٢٥٨) (شكل رقم ٧/٢٥) ترمز إلي عقيدة التثليث (الأب والإبن والروح القدس).

وشواهد قبورهم من طراز النجمة خماسية الرؤوس (اللوحتان رقما ٢٦٠ ، ٢٦١) (شكل رقم ١١/٢٥) ترمز إلي جروح السيد المسيح الخمسة ، بينما ترمز النجمة سداسية الرؤوس إلي الأب والخلق والحكمة السماوية ، وشواهد قبورهم من طراز المسلة وشجرة السرو ترمز عندهم إلي الموت والحزن والخلود ، وباقات الورد والزهور التي توضع في طراز الجرار والمزهريات عندهم ترمز للعاطفة والعزاء والحزن ، وإن وضعت زهرة مكسورة فهي رمزاً للوفاة المبكرة ، كذلك يرمز الإكليل الذي يوضع كحلية علي بعض تراكيب قبورهم من هياوات المصاطب إلي الخلود والموت ، ويرمز العقد (القوس) للمرور نحو العالم الآخر ، وهكذا في سلسلة مطولة من رمزية بعض الطيور والأسماك والحيوانات والأشجار والعناصر التجريدية والمعمارية.

ولكن قبل مغادرة ذلك الموضوع المطول ونماذجه الكثيرة نود اختيار أحدها لأنه في هيئته العامة (لوحة رقم ٣٣٧) ^(٢٢٧) يذكر بالنداء للصلاة والترانيم الكنسية ، وهو مصنوع من ثلاث مواد خام ، فالقاعدة رخامية ، والجرس وحوامله معدنية ، والحشوة العليا خشبية ، وكفي بهذا النموذج ختاماً لموضوع التأثيرات العقائدية المسيحية علي الهيئة العامة لشواهد القبور.

أما التأثيرات الدينية الإسلامية علي شواهد القبور وتراكيبها فهي من الكثرة في معانيها ورمزيتها لدرجة تشعبت لتمس مذهب الشيعة والطرق الصوفية وعامة المسلمين علي النحو التالي:

وردت المقرنصات علي شواهد القبور الإسلامية من الهيئة العامة المستطيلة المقرنصة (شكل رقم ٢) (اللوحات أرقام ٩ ، ١٠ ، ١١) كما وردت علي تراكيب القبور (شكل رقم ٦/٢٦) (لوحة رقم ٢٦٨) وهي ابتكار إسلامي لها وظيفة إنشائية وزخرفية ، وفلسفة دينية ورمزية ، فشكلها في صميمه يذهب نحو النظرية الأساسية في الفن الإسلامي القائمة علي الوحدانية المطلقة.

والهيئة المحرابية في شواهد القبور الإسلامية لم تنقطع في أي مكان أو زمان من العالم الإسلامي (شكل رقم ٥ ، ٦) وكانت في غاية التنوع والتعدد في أشكال عقودها ، والمحراب في المسجد يشير لقبلة المسلم مكة المكرمة ، والميت المسلم مدفون علي شقة الأيمن ووجهه صوب قبلته التي كان يصلي إليها ، حتي أن بعض شواهد القبور من الهيئة المحرابية المسطحة يوحي بهيئة المسلم القائم في صلاته رافعاً يديه لتكبيرة الإحرام ، فالمحراب يذكر بعماد الدين التي إن صلحت صلح سائر العمل.

وشواهد القبور الإسلامية التي بهيئة عامة لأعمدة أو دعائم أو مسلات ، بعضها له قمة مثل شجرة السرو ، وبعضها له قمة بهيئة قبيبة كالخوذة أو المبخرة أو المخروط أو الهرم أو غير ذلك (اللوحات أرقام ٧١ حتي ٧٣ ، ٧٥ حتي ٨٣ ، ٨٧ حتي ٩٠ ، ومن ١٠١ حتي ١٠٤) إنما تذكر بالمآذن المنتشرة في مساجد العالم الإسلامي من أقصاه إلي أقصاه (شكل رقم ٩) وهي علي الترتيب من اليمين إلي اليسار كالآتي (١/٩) منذنة من اليمين (٢/٩) منذنة الجامع الكبير في سيفل بالأندلس (٣/٩) منذنة جامع سامرا (٤/٩) منذنة تاج محل بأكرا (٥/٩) منذنة الجامع الكبير في القيروان (٦/٩) (٧/٩) (١١/٩) مآذن عثمانية (٨/٩) منذنة ملوكية (١٠/٩) منذنة من وسط آسيا. والمآذن تذكر بالصلاة عماد الدين ، كما أن شجرة السرو برائحتها الطيبة تزرع في الجبانات لتغطي علي ما قد ينبعث من القبور من روائح غير مقبولة ، وهي في لونها الأخضر الذي لا يتغير علي مدار العام تذكر المسلم بلون وشعار الأسرة النبوية ، وهي في قوامها الرشيق الفارع الممتد في السماء تذكر بصعود الروح إلي بارئها ، كما تذكر بالحرف الأول من لفظ الجلالة (الله) فهي رمز التوحيد والاستقامة والحقيقة.

أما هيئة القبيبات التي تغطي الأضرحة والمنشآت الدينية (شكل رقم ١/٨ حتي ٩/٨) فهي بجانب دورها الوظيفي والجمالي قيل بشأنها أنها تمثل قبة السماء المظلة للأرض بكل ما فيها من سعة وجلال.

وشواهد القبور الإسلامية وتراكيبها من الطرز المعممة ، إلي جانب دلالاتها علي الطبقة الإجتماعية أو جنس الراقد تحتها ، رمزت للطرق الصوفية المتعددة وفرقت بين طوائفها المختلفة في العالم الإسلامي كله ، وليس في العصر العثماني بنطاقه الزمني والمكاني (اللوحات أرقام ١١٥ حتي ١٢٨) (شكل رقم ١/١٠ حتي ٢٠/١٠) (شكل ١/١١ حتي ٧/١١) ولا يخفي ما للطرق الصوفية من دور كبير في نشر الإسلام في مناطق كثيرة من العالم كجنوب شرق آسيا وجنوب الصحراء الكبرى وبعض مناطق شرق أوروبا حتي انتشر فكرهم في المجتمع الإسلامي كله.

أما طراز الشرافات (اللوحات أرقام ١٦٩ حتي ١٧٢) (شكل ٢٦/١٤ حتي ٣٥/١٤) في تراصها وتلاصقها فكأنها تؤكد علي معاني الوحدة والسواسية حتي أن شاهد قبر الغني ذي المكانة الإجتماعية يتطابق في سمته مع شاهد قبر الشخص العادي أو الفقير ، فالجميع سواء تحت التراب ، كما أن الشرافات توحى بالارتباط بين السماء والأرض.

وهيئة الفانوس (اللوحات من رقم ١٨٤ حتي ١٩٧) (شكل رقم ١/١٧ حتي ١١/١٧ ، ١٧/١٧ حتي ٢١/١٧ وشكل ١/١٩ ، ٤/١٩) توحى بفكرة النور الإلهي عند الصوفية ، وبفكرة الأنوار الإيمانية في قلب المؤمن وهي التي تنير قبره في حياته البرزخية.

تلك الأنوار الإيمانية محلها القلب ولذا صنعت شواهد قبور إسلامية بهيئة القلب (شكل رقم ١/٢١ ، ٢/٢١) (اللوحتان رقما ٢١٩ ، ٢٢٠) وكلاهما بهيئة القلب المقلوب أو دمعة العين ، بما يحمل كل منهما من تأويل ومعاني ، فالقلب موطن الإيمان والعواطف ، ودمعة العين ترمز للحزن والبكاء دونما تفوه بما لا يرضي الله تعالى من أقوال عند فراق الأحبة بالموت.

وهيئة المصحف في شواهد القبور الإسلامية (اللوحتان رقما ٢٣٣ ، ٢٣٤) (الشكلان ٣/٢٢ ، ٥/٢٢) لا تحتاج لتأويل ففي القرآن الكريم العقائد الصحيحة والعبادات المطلوبة والمعاملات والأخلاق ، وفيه صلاح الدنيا والآخرة ، ومن آياته تم الاقتباس لنصوص شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها ، أيا كانت هيئتها العامة ، وشاهد القبر بهيئة المصحف ربما يذكر الزائر من أهل الميت وأصدقائه بقراءة بعض سور القرآن علي المزور ، علي ما في ذلك من خلاف بين الفقهاء والمذاهب ، وربما يذكر بأن المقبور نفسه كان ممن يتلون كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار فهو شفيعه في المقبر والمحشر طبقاً لما ورد في السنة النبوية الصحيحة^(٢٢٨).

^{٢٢٨} - من هذه الأحاديث حديث أبي أمامة عن رسول الله (ص) أنه قال :- " إقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه " وحديث أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال : " لا حسد إلا في إثنين ، رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار "

وهيئة السفينة والشراع في شواهد القبور الإسلامية (اللوحان رقما ٢٣٦ ، ٢٣٧) (شكل رقم ١/٢٣ ، ٣/٢٣) إلي جانب دلالتها علي موقع صاحب القبر ووظيفته في الأسطول البحري الإسلامي ، فإنه لا تخفي رمزيتها عند الصوفية ، فهي سفينة الخلاص من هموم الدنيا وكبدها إلي الرب الغفور الرحيم ، حتي أنهم صنعوا كشاكيلهم بهيئة سفينة ونقشوا علي بعضها الآية (رقم ٧٩ من سورة الكهف) كما سبق القول.

وشواهد القبور الإسلامية تامة الإستدارة (اللوحان رقما ٢٤٤ ، ٢٤٦) (الشكلان رقما ١/٢٤ ، ٢/٢٤) تحمل فلسفة الشكل الدائري بأنه كوني ، فكل حركة وكل شكل في الكون دائري أو مشتق منه ، والطواف حول الكعبة في الحج والعمرة دائري ، والدائرة رمز الكمال ، ويحب الصوفي التأمل في نقطة الكمال العليا.

وتركيبه القبر التي تأخذ في هيئتها العامة شكل سرير ومخدة (لوحة رقم ٣٣٢) توحى بالمستقبل الأبدي المأمول في الجنة الموعودة بما فيها من "سرر مرفوعة"^(٢٢٩).

ومن المفارقات ألا نلاحظ فروقاً تذكر في اختصاص المذهب الشيعي بطرز معينة من شواهد القبور وتراكيبها دون غيره من مذاهب السنة ، اللهم إلا تشكيل تركيبة قبر بهيئة أسد (لوحة رقم ٣٣٨) ^(٢٣٠) (شكل رقم ٣/٣٤) في بعض جبانات قبائل اللوري والبختياري والقاشقي غرب وجنوب غرب إيران في الفترات المتأخرة نسبياً ، وهي قبائل مذهبها الرسمي هو المذهب الشيعي منذ قرون طويلة ، وهم يقصدون بتمثال الأسد فوق قبورهم الرمز لحيدر أسد الله وهو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه وقد وصلنا من الفنون التشكيلية التي نفذتها أيادي شيعية أمثلة كثيرة تؤكد الرمز المذكور ، منها كتابة علي شكل أسد ، من إيران في القرن ١٢ هـ/٨م ، هذه التصويرية بالألوان المائية علي الورق ، وهي عبارة عن كتابة موزعة علي هيئة جسم أسد تحيط به الملائكة المجنحة وهي تحمل مباخر مضيئة ، بينما ينص مضمون الكتابة التي تشكل جسم الأسد علي "نادي عليا مظهر العجائب تجده عوناً لك في المصائب" فالعلاقة بين النص والصورة لا تدع فسحة لشك (لوحة رقم ٣٣٩).

ولا شك في أن الأسد رمز للقوة والشجاعة (والوصاية) والبطولة الشهيدة ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم بما يؤكد رمز القوة ، في قوله تعالى "فرت

عحديث عبد الله بن عمر عن النبي (ص) قال : " الصيام والقرآن يشفعان للمسلم " وغير ذلك كثير .

^{٢٢٩} - القرآن الكريم ، سورة الغاشية ، آية ١٣ " فيها سرر مرفوعة "

من قسورة" (٢٣١) ، ويرمز عند المسيحيين للقديس مرقص بهيئة أسد ، كما وصلتنا تراكيب قبور مسيحية بهيئة أسد منها تركيبية بإحدي جبانات لندن (abney park) (لوحة رقم ٣٤) (٢٣٢) واستخدم الأسد كرمز ديني في ديانات وحضارات سابقة ، حيث اتخذ العبريون أسد يهوذا رمزاً لهم ، وكذلك رمز به لبوذا ، وثمة تراكيب قبور ساسانية بهيئة أسدية في أردل بإيران ، تجاوزها شواهد قبور إسلامية بهيئة محرابية من القرن ١٣هـ/١٩م (٢٣٣).

ثانياً : طرق الصناعة والصناع:-

من أسف شديد ألا تصلنا وثائق أو مخطوطات إسلامية تشرح لنا دفين سر صناعة شواهد القبور وتراكيبها ، والمواد الخام المصنوعة منها ، وأدوات صناعتها ، وطرق ومراحل الصناعة ، وطوائف الصناع العاملين بهذه المهنة ، وأشهر أعلامهم وصلاتهم الحرفية وأنواقهم الفنية ، وما حدث من تطور في أدوات هذه الصنعة ومنتجها في العصور الحديثة ، وهو ما تحاول هذه الدراسة إلقاء الضوء عليه.

تصنع شواهد القبور وتراكيبها من الأحجار أو الرخام بأنواعهما في المقام الأول ، ثم وصلتنا مواد أخرى كثيرة أقل في الإستخدام كاللبن والأجر والأخشاب والخزف وبعض المعادن والزجاج وغير ذلك ، وفيما يلي تعريف بها :

الحجر والرخام:-

الأحجار أنواع كثيرة منها الجيري والرملية والصوان والبازلت والكدان والطرابي ولكل خواصه الكيميائية التي لايتسع المقام إلا للإشارة الموجزة لها ، فالحجر الجيري عبارة عن كربونات كالسيوم مع نسب متغيرة من السيلكا والطفل وأكسيد الحديد وكربونات المغنسيوم ، وكلها نسب قليلة في تكوينه بما يؤثر علي نوعه وصلابته.

بينما يتكون الحجر الرملية من رمل الكوارتز ملتصقاً بنسب صغيرة جداً من الطفل وكربونات الكالسيوم وأكسيد الحديد أو السيلكا.

أما حجر البازلت فهو صخر أسود اللون ، جسيماته ثقيلة مندمجة براقعة ، وهو أنواع منه الخشن ومنه الأكثر خشونة ، ومن جزيئاته المعدنية الدولريت وغيره.

ويتكون حجر الرخام من كربونات كالسيوم متبلورة صلبة نتيجة الضغط والحرارة أثناء تكوينه الطبيعي ساعد علي زيادة حجم حبيباته وتجانسها

وزيادة تماسكها ، ويتميز الرخام بجماله الطبيعي في ألوانه البيضاء الناصعة أو درجات منها ، أو تجزيعاته الخضراء والسوداء والبنية في الرخام المجزع ، كما يتميز بلمس سطحه الناعم البراق ، وبسهولة تنظيفه مع ثبات اللون.

ويتم تجهيز الرخام قبل استعماله من خلال عمليات ثلاث هي (٢٣٤):
عملية القطع ، ويتم بمقتضاها تحديد الجهات الأربع للقطعة المطلوب قطعها ، ويتم التحديد باستعمال الفحم أو بأي لون آخر ، ثم تجري عملية القطع ، بعدها تدحرج القطعة الضخمة بواسطة العتلة ، ومثل هذه القطعة يطلق عليها اسم (بلاطة غشيم) (لوحة رقم ٣٤١) ثم عملية النشر ، وخلالها يقطع الرخام بمناشير تحرك بالأيدي وتسقي بالرمل والماء حتي يتم النشر.
عملية الصقل ، وتتم بطريقتين ، الأولى عملية الجلي لإزالة الخروق والخطوط التي خلفت من عملية النشر علي سطح الرخام ، وذلك بحك السطح المطلوب صقله بقطعة من الرخام مع سقيه علي الدوام بالماء والرمل حتي تزول الخروق والخطوط ويصبح سطح القطعة أملساً ولونه واضحاً ، ويمكن صقله بطريقة أخرى تتلخص في ملء الخروق بالمعجون ثم تسحق قطعة من الحجر الطراوي ويرش من هذا المسحوق علي قطعة الرخام ، ويمسح بقطعة من القماش ويستمر العمل حتي يظهر سطح الرخام لامعاً.
أما الطريقة الثانية فتتم بحك القطعة بالرخام والماء والرمل ثم تحك بالحجر الطراوي ثم تملأ الخروق بالمعجون وتنعم بقطعة من الحجر ثم تؤخذ كتلة من الرصاص لها يد توضع تحتها صنفرة ثم تدلك حتي يظهر لون الرخام ، ولإظهار البريق واللحمان يعمل بطانة من القماش تبلل بالماء ثم تغمس في دقيق من ملح البارود مع كبريتات الحديد ويحك بها سطح قطعة الرخام حتي تصقل تماماً.

الأدوات المستخدمة في قطع وزخرفة الأحجار والرخام:-

كانت الأدوات في العصور القديمة والوسطى بدائية بسيطة تعتمد علي قوة العضلات ، ومن هذه الأدوات المناشير بأنواعها ، الأزاميل بأنواعها ، العتلات والمرزبات والفؤوس والزوايا بأنواعها (اللوحات أرقام ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٢٤٤) ثم تطورت معظم تلك الأدوات في العصور الحديثة حتي صارت تدار بالطاقة الكهربائية ، كما تطور شكل الآلة ذاته (اللوحات أرقام ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧) وفي الفترة المعاصرة وصلت التقنيات لاستخدام الليزر في تنفيذ الكتابات والزخارف والتذهيب ، وطبع الصور الشخصية للميت علي شاهد القبر أو التركيبية ، تقوم بذلك شركات عالمية متخصصة ، لها فروع في كل أنحاء العالم ، وهي تنشر إعلاناتها علي شبكة المعلومات

الدولية (النت) وتقيم المعارض الدولية وتعطي جوائز للفائزين بالتصميمات
المب

الصناع العاملون في إعداد الحجر والرخام:-

هم كثر لكن أهمهم الآتي:

شقاق الفرش ، ويتولي شق القطع الكبيرة إلي قطع متفاوتة الأحجام حسب
الحاجة إليها بحيث يشق القطعة الواحدة عاملان بواسطة مناشير كبيرة.

النقار ، ويتولي نقر الرخام وصلقه بشوكة حادة الرأس ، وقدم عريض
قاطع ، وينقر الرخام عادة بعد نقله إلي محل التركيب للمحافظة علي ما تم
نقشه فيه ، ويتعاون النقار والبناء في تهيئة القطع التي تتركب.

النقاش ، ودوره نقش الزخارف والكتابات حتي وإن كان أمياً ، فهو ينقش ما
يقدم إليه.

الحفار ، ويقوم بحفر الزخارف والكتابات للنقاش ، وقد يقوم بالدورين معاً.
المطعم ، ويتولي تطعيم ما حفر له من زخارف وكتابات برخام أبيض يغيّر
لون القطعة المطعمة ، وقد يقوم بالنقش والحفر والتطعيم شخص واحد ماهر
بعمله.

المركب ، ويسمونه مركب الفرش ، ويتولي تثبيت القطعة الرخامية في
الأماكن المعدة لها ، يعاونه البناء في هذا (٢٣٥).

ومن باب الاستئناس مرة أخرى بأمثلة من النسب المئوية التي تؤكد أن الغلبة
في المواد الخام المستخدمة في صناعة شواهد القبور وتراكيبها كانت للحجر
والرخام ، أن هذه النسبة كانت في شواهد القبور وتراكيبها في مصر في
العصر الأيوبي كالآتي: ٧٢% للرخام ، ٢٠.٦% للحجر الجيري ، ٤.٥%
للبازلت ، ٣% للحجر الرملي (٢٣٦) بينما تغيرت هذه النسبة في مصر في
العصر المملوكي إلي: ٤٥% للحجر الجيري ، ١٢% للحجر الرملي ،
٣٢% للرخام ، ١٠.٣% للخشب (٢٣٧).

الطوب اللبن والأجر :-

وجهت بعض الأحكام الفقهية إلي تفضيل استخدام الطوب اللبن في ستر جثة
المقبور في لحدّه ، كذلك في بناء القبور ، ولهذا استخدم الطوب اللبن مادة
أساسية في بناء القبور والمدافن التي تعلوها (٢٣٨) ، ووصلتنا شواهد قبور
نادرة من الأجر (٢٣٩) ، وتراكيب قبور كثيرة جداً من الطمي أو الطوب

٢٣٥ - نفس المرجع السابق ، ص ٢٨

٢٣٦ - نفس المرجع السابق ، ص ١١٨-١٢٠

٢٣٧ - نفس المرجع السابق ، ص ٢٦٥-٢٦٨

٢٣٨ - عثمان (د. محمد عبد الستار) :- المرجع السابق ، ص ٢٥٥

٢٣٩ - راجع الهامش رقم (٣٠) من هذه الدراسة .

اللبن أو الأجر (اللوحات أرقام ٢٧٨ حتى ٢٨٣ ، ٣٠١) (الأشكال أرقام ٨/٢٦ ، ٩/٢٦ ، ١٠/٢٦ ، ٨/٢٧ ، ١٠/٢٧ ، ١/٢٨).

ويصنع الطوب اللبن من الطين بعد صبه في قوالب خشبية مستطيلة تتفاوت مقاساتها ، ثم يجفف في الشمس ، وإذا تم حرقه بالنار في قمائن خاصة تحول إلي الأجر ، واللبن والأجر هما الأكثر استخداماً في تراكيب قبور كثير من جبانات الصحاري الجافة من العالم الإسلامي. هذا وتمر صناعة اللبن والأجر بعدة مراحل ، تنقسم كل مرحلة إلي عدة خطوات ، حتي تصل في النهاية إلي البناء الذي يصمم الهيئة العامة لتركيبة القبر.

الأخشاب :-

وصلتنا شواهد قبور خشبية بهيئات مختلفة منها الأعمدة الإسطوانية (اللوحتان رقما ٨١ ، ١٣٧) أو بهيئة مستطيلة ومغطاة بمعجون الجص الأبيض^(٢٤٠) ، أو بهيئة توابيت (اللوحات أرقام ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ١٩٠ وغيرها) أو بهيئة أقفاص (اللوحات أرقام ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦) (الأشكال أرقام ٣/٢٧ ، ٦/٢٧ ، ٩/٢٧ ، ٥/٣٢ ، ٦/٣٢) فضلاً عن أمثلة كثيرة جداً لم تدرج لطاقة لوحات الدراسة ، وسبب الكثرة الكاثرة لاستخدام الخشب في صناعة شواهد القبور وتراكيبيها ، أنه إقتصادي بالدرجة الأولى فهو رخيص الثمن ، غير تقليدي ، سهل التشكيل ، مثالي ، سريع التنفيذ للمستعمل من أهل الميت لعمل شاهده أو تركيبة قبره ، لكنه مؤقت لا يبقي علي الزمن ولا يقاوم الحرائق.

وتصنف الأخشاب في عالم النجارة والصناعة بخمسة أصناف : أخشاب قاسية ، وأليافها كثيفة وشديدة المقاومة مع مرونتها في نفس الوقت كالزنان والجوز ، وأخشاب طرية وتعرف بالأخشاب البيضاء كالصفصاف والبنديق ، وأخشاب صمغية كالأرز والسرور والسنوبر ، وأخشاب قاسية جداً وتقاوم الإحتكاك وحببيبات نسيجها متكاثفة ، ومن أهمها البقس والورد والكمثري ، وأخيراً أخشاب المناطق الحارة وهي صمغية ومموجة وملونة وأهمها الأبنوس حالك السواد.

وتتمو في النطاقات الجغرافية للعالم الإسلامي كثير من الأنواع الجيدة للأخشاب ، مثل سوريا ولبنان وكرديستان وتركيا وأرمينية وبلاد القوقاز والهند والهملايا والصين وشمال أفريقية والأندلس وشرق أوربا ، من هذه الأنواع خشب الجوز ، وهو علي نوعين ، جوز تركي لونه أحمر خفيف ،

^{٢٤٠} - شاهد قبر سيدي حسن الشريف بترية البايات بتونس العاصمة ، ١١٩١هـ/١٧٧٧م . انظر :- نور (د. حسن محمد) :- شواهد قبور من تربة البايات بتونس العاصمة ، ص ٧٦ لوحة ١٨

وجوز (أمريكي) مستورد ، لونه بني داكن ، وخشب الزان وهو نوعان ، أحمر وأبيض ، وخشب القرو وأليافه بريقها فضي لامع ، وخشب البلوط وأليافه بيضاء مصفرة ، وخشب الساج الهندي وغيره .

هذا وتتعدد الأدوات المستخدمة في أشغال النجارة كالأزاميل والمبارد والفارات والمناشير والمخارط ، والمواد اللاصقة كالغراء وغيره ، وأفرخ الصنفرة ، ومواد التذهيب والتلوين ، ونظراً لتعدد طرق الصناعة والزخرفة فقد تعددت معها التخصصات المهنية اللازمة لتلك الصناعات كالمطعم والخشاب والخراط والنقاش والنجار والحفار والدهان وغير ذلك (٢٤١).

الخزف:-

تأتي مادة الخزف في المرتبة السادسة من حيث الكثرة العددية في استعمالها بصناعة شواهد القبور وتراكيبها ، وذلك بعد الحجر والرخام واللبن والآجر والخشب ، فما وصلنا من الشواهد والتراكيب الخزفية ليس بالقليل (٢٤٢) ، من عصور إسلامية كثيرة ، ومن مناطق متعددة في إيران وتركيا ووسط آسيا وشمال أفريقيا والأندلس وغيرها ، ومن شواهد القبور الخزفية بهذه الدراسة (اللوحات أرقام ٤١ ، ٤٣ ، ٥٠) ومن التراكيب المغشاة ببلاطات القاشاني (اللوحات أرقام ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣١٢) (الأشكال أرقام ١/٢٦ ، ٢/٣٢ ، ٤/٣٢).

وتمر صناعة الخزف بأربع مراحل ، في كل مرحلة عدة خطوات كالآتي:

- ١- مرحلة إعداد الطينة أو العجينة للعمل ، ومن خطواتها جمع الطينة وتنقيتها وتخميرها .
- ٢- مرحلة التشكيل ، وتتم باليد أو بالعجلة (الدولاب) أو بالصب في القالب ، وجميع شواهد القبور الخزفية والبلاطات التي تغشي التراكيب تمت بالصب في قوالب .
- ٣- مرحلة التجفيف أو الحرق ، وفيها يحرق المنتج مرة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع حسب نوعه .
- ٤- مرحلة الطلاء والزخرفة ، وفيها تتم خطوات الطلاء والزخرفة والتزجيج (٢٤٣).

هذا وتتعدد الأدوات والوسائل الداخلة في صناعة الفخار والخزف ، من غرابيل وطواحين ومواسير ودواليب وأفران ووقود وأكاسيد وفرش وغير

٢٤١ - عبد العزيز (د. شادية الدسوقي) :- الأخشاب في العمائر الدينية بالقاهرة العثمانية ،

مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص ٨١-٨٩

٢٤٢ - نور (د. حسن محمد) :- شواهد قبور خزفية من إيران الصفوية ، ص ٧١-١١٠

٢٤٣ - محمد (د. سعاد ماهر) :- الخزف التركي ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص ٧٤-٧٩

ذلك ، مما ترتب عليه بالتالي تعدد تخصصات العاملين بصناعة التزييف كالفخراي أو الخزاف والدهان والعجان والنقاش وغيرهم.
مواد أخرى :-

مع تطور صناعة الشواهد والتراكيب في العصور الحديثة والمعاصرة دخلتها مواد خام أخرى كالمعادن وخاصة سبيكة البرونز ، والزجاج ، والبلاستيك ، خاصة في الدول المتقدمة بالشمال كاليابان وروسيا وأوربا أمريكا ، وقلدت الجاليات الإسلامية بمجموعة الدول المذكورة جيرانهم من الديانات والحضارات الأخرى ، سيما وأن جبانات المدن الكبرى كان يخصص بها قسم بنهايتها لدفن موتي المسلمين^(٢٤٤) ، فصار التقليد بحكم الجوار والذوق المجتمعي العام.

فالمعادن عامة والبرونز خاصة بدائل متاحة وقوية ورخيصة ، وبدائل للحجر والرخام والجرانيت ، تلك المواد صعبة التشغيل والتشكيل علي العكس من المعادن سهلة الصب والحفر والزخرفة ، بما يساعد علي إبتكار هيئات عامة جديدة ومعقدة حجماً وشكلاً ولوناً ، كما أنها تصمد في أقسى الظروف المناخية بعد معالجتها بالتقنيات الكيميائية الحديثة ، وقد يلبس المعدن مع الرخام مع الخشب في تركيبة واحدة ، فتكون القاعدة رخامية والمصطبة أو المصاطب خشبية (لوحة رقم ٢٨٩ شكل ٦/٢٧) أو تصنع المفصلات والحليات والبابات من المعدن وتركب في التراكيب الخشبية أو الرخامية ، وقد يصنع شاهد القبر من ثلاث مواد ، خشب ومعدن ورخام (لوحة رقم ٣٣٧) والزجاج نقي وصافي فضلاً عن مناتته بإضافة مواد أخرى معه عند صبه وتشكيله ، كما أنه سهل التنظيف ، وله أفضلية التعامل مع التقنيات الحديثة ، كدمج صورة المتوفي الشخصية بشاهد قبره الزجاجي (لوحة رقم ٣٤٨)^(٢٤٥) أو يسر استخدام الليزر وبعض المواد الكيميائية في تنفيذ تصميمات قبره وتفاصيل مبتكرة وأنيقة تقبل الألوان المختلفة ، وإن كان من عيوب الزجاج سهولة كسره فقد تم التغلب علي ذلك بإضافة مواد معدنية معه عند صناعته كما سبق القول.

وشواهد القبور الإسلامية من هيئة القارورة والمزهريّة (اللوحات أرقام ٢١٠ حتي ٢١٨) لم تصنع من الزجاج ، وإنما قلدته في الشكل واللون والوظيفة.

^{٢٤٤} - زار الباحث مجموعة كبيرة من جبانات بريطانيا في لندن وبيرووكوود واكسفورد ، وفيينا بالنمسا ، ولاحظ علي يمين أو يسار مدخل الجبنة لوحة زجاجية أو بلاستيكية كمسقط عام محدد عليه قسم دفن موتي المسلمين .

أما قضية أسماء الصانع وأشهر أعلامهم ممن وقعوا علي بعض شواهد القبور وتراكيبها ، فهي تدخل ضمن المنهج العلمي الذي يتناول مضامين النقوش والكتابات^(٢٤٦) ، ولا تدخل ضمن منهج الهيئة العامة وطرز تصميماتها ، بمعني دراستهم ضمن الكتاب والخطاطين ، لأن عملهم - علي أهميته - يمثل الحلقة الأخيرة في حلقات صناعة الشاهد أو التركيبية التي من أجلها تمت صناعتها ، وعلي الرغم من الاحتمالية الضعيفة في أن يقوم صانع واحد بعمل جميع مراحل الصناعة وخطوات كل مرحلة ، إلا أنه احتمال وارد ، وفي هذه الحالة يكون الكاتب أو الخطاط الذي وقع علي الشاهد أو التركيبية قد غمط غيره من المشاركين في مراحل الصناعة حقهم في إضافة أسمائهم ، وهي تخصصات متعددة في كل مادة خام ، ففي الأحجار والرخام (شقاق الفرش ، النقار ، النقاش ، الحفار ، المطعم ، المركب ، البناء) وكذلك تعددت تخصصات صانعي اللبن والأجر طبقاً لمراحل الصناعة ، وفي مجال الأخشاب (النجار ، الخشاب ، المطعم ، الخراط ، النقاش ، الحفار ، الدهان ، الصدفي ، الزرنيشاني ، الأويمجي) وفي مجال التخزيف (العجان ، الفخراني ، الدهان ، النقاش ، وغيرهم) وفي مجال المعادن والزجاج تعددت أيضاً مهن وتخصصات المذهب والمرصع والسنكري والمكفت واللحام وغيرهم.

ثالثاً : الجمعيات العلمية المتخصصة في دراسة شواهد القبور وتراكيبها:-

لقد بدأ العالم المتقدم منذ وقت مبكر نسبياً في تأسيس جمعيات علمية متخصصة في دراسة شواهد القبور وتراكيبها بالجانبات التاريخية ، ففي عام ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٧ م تأسست جمعية دراسة شواهد القبور

(The Association For Gravestone Studies) (AGS) في غرينفيلد بولاية ماساشوستش بأمريكا ، بهدف دراسة شواهد القبور من كل العصور التاريخية ومن كل بلاد العالم ، ثم دراسة كيفية الحفاظ عليها بكل الأساليب ، ونشر الوعي بأهميتها لدي الأفراد والجماعات ، وذلك من خلال المنشورات وورش العمل والمعارض والمؤتمرات ، فلها مؤتمر سنوي يعقد بانتظام ، وعقد المؤتمر الأخير في الفترة من ١٩-٢٤/١٢/٢٠١٢م بجامعة مونماوث في نيو جيرسي (Newgersy).

زاد أعضاء الجمعية علي الألف عضو من دول أوروبا وأمريكا واليابان وأستراليا وكندا والبرازيل ، وما زالت العضوية مفتوحة لمن يرغب الانضمام بقيمة اشتراك بسيطة تدفع علي موقعها الالكتروني^(٢٤٧).

^{٢٤٦} - راجع المناهج العلمية في دراسة الشواهد والتراكيب بمقدمة هذه الدراسة .

الجمعية نشرة شهرية وفصلية وسنوية ورقية وإلكترونية ، فضلاً عن البحوث والكتب والدوريات حيث بلغت دوريتها السنوية العدد الحادي والعشرين ، وهذا موقعها الإلكتروني^(٢٤٨) ونشرت أول دراسة جادة عن شواهد القبور في القرن العشرين في نيوزلندة.

للجمعية مكتبة ثرية في غرينفلد ويجري نقل محفوظاتها إلي إدارة المجموعات الخاصة بجامعة ماساشوستس (Massachusetts).

تعطي الجمعية منحاً دراسية مثل منحة "باربرا رونوندو" التذكارية للطلاب الجادين في دراسة ذلك التخصص ، كما تمنح الجمعية جائزة دورية باسم "أوكلي" ومعها شهادة تقدير ، وجائزة معتبرة باسم "فوربس" (Forbes) من قبل مجلس الأمناء وذلك لتكريم أفراد أو منظمات قدمت خدمات جليلة في دراسة شواهد القبور والحفاظ عليها.

تقوم الجمعية بعمل زيارات ميدانية منتظمة إلي المقابر والجبانات لتدريب أعضائها عملياً علي كيفية الدراسة والترميم ، بل أنها تحتضن النحاتين المحدثين المتخصصين في نحت وصناعة شواهد القبور الحديثة ، وتعطيهم محاضرات مسائية علي أدوات النحت وأساليبه وطرق التعامل مع المواد الخام المختلفة ، والمحاضرون متخصصون في علم الآثار والأنثروبولوجيا (Anthropology) وتاريخ الفن وعلم الأنساب (لوحة رقم ٣٤٩).

تحارب الجمعية بكل الطرق لصوص المقابر الذين ينزعون شواهد القبور وبييعونها لتجار العاديات ، كما تحارب المخربين الذين يندسون الجبانات ويشوهون بواباتها وأعمالها الفنية المختلفة ، خاصة مجموعة الوندال (Vandalism) وهي قبيلة توتونية مشهورة بتخريب الآثار القديمة ومنها شواهد القبور^(٢٤٩).

جمعية الجبانات الكبرى في أوروبا:-

(ASCE) (Association Of Significant Cemeteries in Europe)

هذه الجمعية عبارة عن رابطة أوروبية كبيرة^(٢٥٠) تضم المنظمات العامة والخاصة التي ترعي الجبانات والمقابر ذات الأهمية التاريخية والفنية في أوروبا، وهي منظمة أوروبية عالمية لا تهدف للربح وإنما تسعى للحفاظ علي التراث الثقافي للبشرية ، وزيادة الوعي بأهمية الجبانات الكبيرة في أوروبا ، وتبادل الخبرات في سبيل تحقيق أهداف المنظمة ذات اللائحة القانونية والتنظيمية التي تشرح أهدافها الاجتماعية والثقافية والأكاديمية ، فضلاً عن توضيح علاقاتها بمؤسسات المجتمع الأخرى خاصة الجامعات والمحاكم ، تقع هذه اللائحة في ثماني عشرة صفحة تفصيلية توضح أسماء

248 - info@gravestonestudies.org

249 - <http://www.franland.pwp.blueyonder.co.uk>

250 - www.Sigificantcemeteries.org

الجانبات الأعضاء في الجمعية وعددها اثنتان وتسعين جبانة تنتمي لخمسين دولة أوروبية ، بما فيها الدول غير المجمع علي أوريبتها لوقوعها في قارة آسيا مثل أرمينية، أذربيجان ، جورجيا ، أو الدول الأوروبية الصغيرة جداً مثل : سان مارينو ، أندورا ، ليختشتاين ، موناكو ، الفاتيكان.

كما توضح اللائحة أساليب العمل ومدته ، واللغة الإدارية وهي الإنجليزية مؤقتاً وسيتم مستقبلاً اعتماد كل لغات الدول الأعضاء ، ومكتب التسجيل ، والمقر ، وهو مجلس مدينة بولونيا بايطاليا ، والأعضاء المؤسسين وهو مجموعة كبيرة من مجالس المدن الأوروبية ومجالس الكنائس الأوروبية ومجالس حماية التراث الثقافي وبعض جامعات العلوم التطبيقية في أوروبا ، وشروط العضوية وحقوقها وواجباتها وإسقاطها ، ثم الهيكل الإداري للجمعية ممثلاً في الجمعية العامة والرئيس والأمين واللجنة التنظيمية ومجموعات العمل ، ومسئولية كل منها ، وكيفية الانعقاد والتصويت وقيمة الاشتراكات وقبول الهبات والحساب الختامي والنظام التأديبي والعزل عند ثبوت المخالفات.

للجمعية مؤتمر سنوي منتظم ، عقد المؤتمر الأخير في الفترة من ٢٢-٢٣ سبتمبر ٢٠١١م في مدينة فيينا بالنمسا ، والجمعية علي صلة وثيقة بنظيرتها الأمريكية خاصة وأن كثير من الدول الأوروبية مزدوجي العضوية بالجمعيتين.

جمعية الجبانبات القديمة في فكتوريا:-

(OCS) (Old Cemeteries Society of Victoria) تأسست هذه الجمعية عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م في كولومبيا البريطانية بكندا ، وأهدافها هي نفس أهداف نظيرتها السابقتين المشار إليهما ، بل هي علي صلة وثيقة بهما ، وعلي الرغم من حداثة الجمعية إلا أنها سجلت بيانات وصور (٢٨٠٠٠) ثمانية وعشرين ألف شاهد قبر علي الكمبيوتر ، ولها مشروعات مستقبلية أخري طوحة للغاية^(٢٥١).

الاتحاد الوطني لأصدقاء الجبانبات (NFCG):-

هم مجموعة من المتطوعين الإنجليز يعملون مع جماعات أخري متشابهة الأهداف مثل جماعة حماية البيئة ، كما تتشابه أهداف الاتحاد الوطني لأصدقاء الجبانبات مع جمعية الجبانبات القديمة في فكتوريا ، وجمعية الجبانبات الكبرى في أوروبا، ليس في الأهداف فحسب وإنما في التنظيم الإداري والتنظيمي.

جمعية علم الأنساب (Genealogical Society):-

لما كانت الحضارة الإسلامية مزدهرة في العصور الوسطى فقد خلفت لنا مجلدات كثيرة في تراجم طبقات المجتمع الإسلامي كله تقريباً ، ولفائف أشجار النسب للقبائل العربية ، ولكن مع تأخر المسلمين أهملوا الكتابة والتأليف في التراجم والأنساب حتي أنه لا يكاد يتبق منه سوي نقابات الأشراف النسابة لآل البيت النبوي الشريف ، وسحبت الدول المتقدمة البساط في هذا الفن من المسلمين ، وأخضعوه للبحث العلمي الدقيق حتي وصلوا إلي تحليل الشريط الوراثي (DNA) وأنشأوا الجمعيات العلمية المتخصصة في علم الأنساب سواء في أوروبا أو في أمريكا ، ففي بريطانيا تأسست جمعية علم الأنساب الإنجليزية في العصور الوسطى (medievalgenealogy.org.uk) (٢٠٢) وهي سجلات المواليد والوفيات والروابط الأسرية ، ويمكن الرجوع إليها لنفي أو تأكيد معلومات بعض شواهد القبور الأثرية ، وكان من بين نشاط هذه الجمعية عمل جداول حصرية للعوائل الإنجليزية في تسلسل رقمي باسم العائلة ورمزها ومحل إقامتها الأصلي واللاحق وديانتها ومذهبها ومقابر الدفن الخاصة بها ، ومعلومات إضافية عنها مستخرجة من الوثائق وسجلات الكنائس والتعداد السكاني وشواهد القبور والمصادر التاريخية.

وفي لندن أيضاً تأسست حديثاً جمعية أنساب اليهود في بريطانيا العظمى:-

(Jewish Genealogical Society of Great Britain) (JGSGB) تزعم الجمعية أنها غير طائفية مع أن هدفها الوحيد هو دراسة أنساب اليهود في بريطانيا وويلز وإيرلندا وجزرهم ، وتتبع جذور أسلافهم من السجلات القديمة ثم تدوينها وحفظها في قاعدة بيانات بغرض نشرها علي شبكة المعلومات الدولية ، وللجمعية تنظيم إداري ومؤتمرات منتظمة ومكتبة متخصصة ومجلة ربع سنوية ، كما تقوم الجمعية بعمل دورات تدريبية للأعضاء الجدد ، وهي علي صلة وثيقة بالجمعيات العالمية التي تدرس شواهد القبور ، سواء في أوروبا أو في أمريكا ، واستطاعت الجمعية تسجيل (٢٩٠٠٠) تسعة وعشرين ألف يهودي بكامل بياناتهم منذ عام ١٨٥١م (١٢٥٨هـ) وهم يمثلون حوالي ٩٠% من يهود منطقة الدراسة.

وفي أمريكا كذلك تأسست الجمعيات العلمية المتخصصة التي أحصت أعداد وأجناس وأعمار المهاجرين الأوربيين إلي أمريكا في تسلسل حولي ، فهم يعرفون أن هذا أمريكي من أصل ألماني ، وذلك أمريكي من جذور هندية ، أو لبنانية ، وهكذا ، وتوصلوا مثلاً في مجال الروابط الأسرية وأصولها أن صاحب شاهد القبر رقم كذا بجبارة كذا في مدينة كذا بولاية كذا الأمريكية

أصول عائلته هم أصحاب شواهد القبور رقم كذا بجبانة كذا في مدينة كذا بإنجلترا ، وهم يحسبون متوسط الأعمار لكل جيل ، ويتطرقون إلي أدق التفاصيل العائلية ، ثم أنشأوا روابط الكترونية علي شبكة المعلومات الدولية بين هذه العوائل وجبانات دفنها بأوروبا وأمريكا.

طرق الكشف الحديثة عن شواهد القبور المطمورة :-

تستخدم الجمعيات العلمية السابقة أحدث التقنيات العلمية الحديثة في الكشف عن شواهد القبور المطمورة تحت الأرض ، ثم ترميمها بأحدث الطرق ، ثم عرضها بالمتاحف أو حفظها المؤقت بالمخازن ، ثم دراستها ونشرها . ومن طرق الكشف الحديثة علي الشواهد والتراكيب المطمورة نفس طريقة الكشف عن المياه الجوفية بطريقة القضبان المغناطيسية ورد فعلها (لوحة رقم ٣٥٠) بل بإمكان تلك الطريقة التوصل إلي جنس المقبور وعمره دونما نبش قبره.

ومن الطرق الحديثة أيضاً استخدام الرادار الأرضي

(GPR) (Ground Penerating Radar) ويقوم بعمل مسح جيو فيزيائي (Geophysics) أيا كان نوع التربة أو المادة الخام المصنوع منها الشاهد أو التركيب المطمورة تحت الأرض حتي عمق ثمانية أقدام في التربة الرملية وأقل من ذلك بقليل في التربة الطينية لأن قوة التردد تتراوح ما بين ٩٠٠:٤٠٠ ميغا هيرتز (MHZ) (لوحة رقم ٣٥١) ولهذا الجهاز برامج خاصة بالتصوير ثلاثي الأبعاد تحت الأرض (لوحة رقم ٣٥٢) وأضافت معلومات مهمة عن طرق الدفن واتجاه رأس ووجه الميت دون حفر اللحد والفساقي وإزعاج الموتى وانتهاك حرمتهم ، ففي عام ٢٠٠٦م أجروا مسحاً علي جميع جبانات أوروبا وأمريكا الشمالية ، وتوصلوا لنتائج مبهرة ، منها أن نسبة ٩٣% من المدفونين في هذه الجبانات وجهتهم للمشرق ، وهو ما يتفق وتعاليم الشريعتين المسيحية والإسلامية ، بينما انخفضت النسبة في الإتجاه إلي المشرق إلي ٧٩% في مدافن محارق الهولوكوست (Holocaust) والنصب التذكارية اليهودية^(٢٥٣) ، وربما كان سبب انخفاض هذه النسبة أن من تقاليد يهود الشتات دفن موتاهم وأقدامهم تجاه القدس ، أما تعاليم الشريعة الإسلامية فالإجماع علي أن يدفن المسلم علي جنبه الأيمن وصدرة ووجهه تجاه مكة المكرمة ، ويحرم أن تكون رجليه تجاه قبلته ، وحتى كتابة هذه السطور لم يجر مثل ذلك المسح العلمي للجبانات القائمة في النطاق الجغرافي الإسلامي.

خاتمة

طوفت الدراسة بكل جوانات العالم الإسلامي في القارات القديمة الثلاث (آسيا، أفريقية، أوربا) من خلال الهيئة العامة لشواهد القبور الإسلامية وتراكيبها ، في دراسة مكونة من ثلاثة فصول تسبقهم مقدمة وتلحق بهم خاتمة وملحق ، شرحت المقدمة عدة قضايا متعلقة بالموضوع ، فعرفت شاهد القبر وتركيبه والعلاقة بينهما ، وذكرت مسمياتهما وتاريخ استخدامهما ، وموقف الفقه الإسلامي من البناء علي القبور ، ثم حصرت المناهج العلمية المعتمدة في دراسة شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها.

صنفت الدراسة ولأول مرة الهيئة العامة لشواهد القبور الإسلامية إلي نيف وعشرين طرازاً وسلالة وشكلاً ، تنحصر في الهيئة المستطيلة المنتظمة وغير المنتظمة ، والمقرنصة ، والطراز الإمبراطوري (قوس النصر) والهيئة المحرابية المسطحة والمجوفة ، وهيئة الأعمدة والدعامات والمسلات، والهيئة المعممة ، وهيئة الباروك والركوكو ، وهيئة الشرفات ، وهيئة المخروط والبرمق ، وهيئة الفانوس بسلاطاتها الخمس ، وهيئة القارورة ، وهيئة القلب المقلوب (دمعة العين) وهيئة المصحف ، وهيئة الشراع أو السفينة ، ثم الهيئات الهندسية البسيطة ، كالهيئة الدائرية والمربعة والمعينة والمثلثة أو الهرمية ، والهيئات النجمية الخماسية الرؤوس والسداسية.

كما صنفت الدراسة الهيئة العامة لتراكيب القبور الإسلامية إلي نيف وعشر هيئات بسلاطاتها التي تنحصر في هيئة المصطبة ذات المستوي الواحد بطرزها الأربعة ، ممثلة في الطراز الخالي من البوابات وما شابهها ، طراز البوابات وما شابهها ، والطراز ذو السقف المقبي ، ثم ذو السقف الجملوني المسنم، وهيئة المصطبة ذات المستويين ، بطرازيها ، طراز السقف المسطح وطراز السقف المقبي ، ثم هيئة المصطبة متعددة المستويات بطرزها الثلاثة وأخيراً الهيئات النادرة كالقباب الكانوبية وأسرة النوم المريحة وغيرها .

انتخبت الدراسة نماذج لجميع الهيئات العامة المذكورة وسلاطاتها وطرزها ، وقارنت بينها من حيث التصميم العام للشكل ، وبين مختلف أنواع العمائر الإسلامية والفنون التطبيقية والمنمنمات الملونة بالمخطوطات الإسلامية.

تتبعت الدراسة أصول وجذور كل هيئة في الديانات والحضارات السابقة علي الإسلام بهدف إبراز سمة التأثير والتأثر.

أظهرت الدراسة بالتفصيل جماليات كل هيئة من هيئات شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها ، وما حوت من تفاصيل وألوان ، وأسباب ومقومات ذلك الجمال ، وأن ذلك الفن رسمي تشرف عليه الدولة ، وشعبي تتعاطاه العامة بأذواقها الفنية المتعددة ، ومن ثم وصلتنا منه طرز دولية شاعت في

دول كثيرة وفي أزمنة عديدة ، وطرز أخرى محلية شعبية محصورة في أمكنة محددة وفترات قصيرة.

فصلت الدراسة القول فيما يختص بالتأثيرات العقائدية والمذهبية علي شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها مع الملل والنحل القديمة والحديثة ما لم يمس صحيح المعتقد الإسلامي ، باعتباراه موروث فني بمنطقة معينة ، أو هيئة عامة جميلة تم التأثير بشكلها دون مغزاها في البوذية أو الهندوكية أو الويكا أو الماسونية أو اليهودية أو المسيحية أو غيرها ، ثم أظهرت أثر العقيدة الإسلامية نفسها علي الهيئة العامة لشواهد القبور وتراكيبها ، وأثر المذهب الشيعي علي بعض تراكيب القبور.

جمعت الدراسة ولأول مرة المواد الخام التي كانت تصنع منها شواهد القبور الإسلامية وتراكيبها ، قديماً وحديثاً ، والأدوات المستخدمة في تشكيل الهيئات العامة ، وطرق ومراحل الصناعة ، والصناع العاملون في كل مرحلة وخطواتها ، وتتبع التطورات المستحدثة علي الصنعة وأدواتها.

أضافت الدراسة ما يؤكد أهمية المدروس علمياً وعالمياً ، بأن ثمة جمعيات علمية عالمية تخصصت فقط في دراسة شواهد القبور وتراكيبها ، بعمل مؤتمرات دولية سنوية منتظمة ، ودوريات تنشر البحوث الخاصة ، ومنح وجوائز ، واشتراكات وتنظيمات إدارية ، ومقترات ومكاتب وأعضاء ومجالس وعقوبات ولوائح ، ودروس نظرية وعملية في كيفية الترميم والصيانة والحفظ والتخزين ثم العرض والنشر ، بل وتطبيق أحدث الوسائل التقنية في الكشف عن المطمور منها تحت الأرض ، بالترددات المغناطيسية وبالرادار الأرضي.

فتحت الدراسة المجال أمام بحوث مستقبلية عديدة مثل دراسات حصرية مجدولة للمنشور من مقاسات شواهد القبور من الهيئة المستطيلة وهيئات المصاطب المنشورية ، بغرض التوصل لنتيجة مفادها تطبيق النسبة الذهبية (القطاع الذهبي) من عدمه ، وعموماً جدولة المقاسات نافع في جوانب علمية كثيرة ، أو دراسة العلة والسببية في النواحي الجمالية للهيئات العامة للشواهد والتراكيب والتي هي في معظمها وثائق مادية مؤرخة ، كما أن تاريخ المجاعات والأوبئة في العالم الإسلامي موثق بدقة في المصادر المعاصرة للأحداث ، والربط بينهما سيثبت أو ينفي النسبة الجمالية في صنعه رسمية وشعبية ، أو المسح الجيو فيزيائي بالرادار الأرضي لعموم الجبانات الإسلامية لمعرفة إلي أي مدي طبق المسلمون شريعتهم في كيفية دفن موتاهم. ذيلت الدراسة بملحق عرف نيف وثلاثين مصطلحاً ذي صلة مباشرة بموضوعها.

وإتماماً للفائدة زودت الدراسة بثلاثمائة واثنين وخمسين لوحة تردف أربعمائة وثمانية وعشرين شكلاً توضيحياً.
ملحق الدراسة

المصطلحات ذات الصلة بالشاهد والتركيبية:-

البيت (Home. House): الجمع أبيات وبيوت وبيوتات وأباييت ، ولها معاني كثيرة منها ، المسكن مطلقاً للإنسان حياً أو ميتاً ، وكذلك بيت الحيوان أو الأشياء.

التابوت (Ark Coffin): جمع توابيت ، وهو صندوق من الخشب يوضع فيه الميت ليُدفن ، أو تحرز فيه المتاع ونحوه ، يصنع من الحجر أو الخشب عند الفراغة وتوضع فيه الجثة ويرسم عليه رسوم وكتابات جنازية ، وقد يصنع من الزجاج ، وقد تحرق الجثة التي فيه حسب المعتقد ، له طرز وهيئات مختلفة منذ العصور الفرعونية وحتى الآن ، منها ذو الهيئة الآدمية ، ومنها بهيئة صندوق وغير ذلك . ورد ذكره في القرآن الكريم في الآية (٣٩) من سورة طه في قوله تعالى : "أن إقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم" كما ورد في الآية (٢٤٨) من سورة البقرة في قوله تعالى : "قال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم....." أي أنه ورد في القرآن الكريم بما يفيد مكان حفظ الجثة الآدمية حية أو ميتة^(٢٥٤) وفي أواخر العصر الفاطمي بمصر ظهرت التوابيت أو التراكيب الخشبية أعلي الفسافي المبنية في تخوم الأرض ، وأصبح التابوت في هذه الحالة علامة تحدد موضع الدفن ، ثم توالي بعد ذلك العصر استعمال التراكيب الخشبية^(٢٥٥)

الترتبة (Mausoleum): موضع الدفن أو المدفن الخاص الذي تعلوه قبة ، ويبنى عادة لذوي الشأن والمال^(٢٥٦) وشاع إطلاق لفظ الترتبة علي العمائر الجنازية في الأقطار العربية خلال العصر العثماني^(٢٥٧) ، كما وردت أثرية علي تابوت خشبي يخص أحد الأئمة العلويين في إيران ، مؤرخ بعام ٨٧٧هـ/٤٧٢م عبارة "..... هذه الترتبة الشريفة والمرقد المنور....."^(٢٥٨)

^{٢٥٤} - الحسيني (محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضي) :- شرح القاموس المسمي تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الفكر للطباعة والنشر (د.ت) الجزء الأول ، ص٥٣٢

^{٢٥٥} - خليفة (د. ربيع حامد) :- المرجع السابق ، ص٩٦

^{٢٥٦} - الشهابي (د. قتيبة) :- المرجع السابق ، ص١٢

^{٢٥٧} - الحداد (د. محمد حمزة إسماعيل) :- العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية ،

ص٢٣٢

^{٢٥٨} - خليفة (د. ربيع حامد) :- المرجع السابق ، ص٩٧

التشريفة (Cenotaph) : هي النصب التذكاري وتعرف أيضاً بالقبر الأجو ف ، وتقام تكريماً لشخص دفن في موضع آخر.

الجبانة (Cemetery) : الجمع جبان وجبايين وجبانات ، وهي المقبرة والأرض المستوية في ارتفاع ، وهي المدفن الذي يضم مجموعة كبيرة من القبور مسورة أو غير مسورة.

الجدث : الجمع أجداث وهو القبر وله أسماء كثيرة منها : الجدف ، الرمس ، البيت ، الضريح ، الريم ، الرجم ، الجنن ، الدمس ، المنهال ، الجاموس ، وردت كلمة الأجداث في القرآن الكريم في قوله تعالى بالآية (٥١) من سورة ياسين "ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلي ربهم ينسلون" وفي قوله تعالى بالآية (٤٣) من سورة المعارج "يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلي نصب يوفضون".

الجنن : الجمع أجنان ، وهو القبر والكفن والميت والستر. (٢٥٩)

الحوش (Yard) : الجمع أحواش وحوش وحواويش ، وهو فناء أو ساحة الدار ونحوه ، وهو المكان المكشوف المسور بسور بسيط من الآجر ونحوه ، يحيط بمجموعة من القبور العائلية أو غير العائلية.

الدرابزين (Handrail) : الجمع درابزينات و درابزونات ، وهي قوائم من حديد أو حجر أو خشب أو غير ذلك تقام حول السلالم والأفنية والقبور ونحوها.

الدكان (Shop) : الجمع دكاكين ، وهو الحانوت ، والمصطبة يقعد عليها.

الرجم : الجمع رجام وأرجام ، والرجم القبر ، والرجم حجارة تنصب علي القبر ، والرجم القبر وضع عليه علامة أي أعلمه بالحجر ، والرجم هي حجارة ضخام دون الرضام وربما جمعت علي القبر ليسنم.

الرمس : الجمع رموس وأرماس ، والرمس القبر مستويماً مع وجه الأرض ، وهو التراب الذي يحثي علي القبر ، وهو موضع القبر نفسه.

الروضة : الجمع روضات ورياض ، وهي المدفن أو التربة أو الضريح المحاط ببيرك الماء والجنائن ، ويكثر هذا النوع من الأضرحة في الهند والشام. (٢٦٠)

الريم : اسم علم مؤنث عربي ، وهو القبر ، وقيل وسط القبر.

السياج (Fence) : الجمع أسوجة وسوج وسياجات ، والمراد ما يحاط به من البستان من سور أو حائط أو شوك أو غير ذلك.

الضريح : الجمع ضرائح وأضرحة ، ويقال ضريحة مؤنث ، وهو الشق في وسط القبر ، وهو مشيدة معمارية تبني علي قبر أحد الأشخاص تخليداً

لذكراه ، وهي فكرة قديمة منذ عصر الأهرامات ، أهملها العرب في بداية دولتهم ثم أخذوا بها بعد اختلاطهم بالفرس والهنود (٢٦١) ، والضريح معمارياً هو المدفن الذي يضم فسقية للدفن في تخوم الأرض وما يعلو ذلك من بناء علي سطح الأرض عبارة عن ضريح يعلوه قبة ، ويطلق هذا المصطلح علي القباب المستقلة المعدة للدفن أو تلك التي ألحقت بمنشآت أخرى كالمدارس والمساجد والزوايا (٢٦٢) ، وهناك فرق في تسميتها بثلاث حالات :

الأولي بناء للدفن كالتربة وما شابه وليس من الضروري أن يكون ذو صبغة دينية ويعرف بالإنجليزية (Mausoleum) الحالة الثانية بناء له حرمة القدسية وفي هذه الحالة يصبح مرادفاً للمزار أو المقام أو المشهد ، ويعرف باسم الضريح المقدس (Shrine) الحالة الثالثة القبر الضخم أو المثوي (Tomb) (٢٦٣) .

الطربال : الجمع طرابيل ، وهي كل بناء عال أو برج أو صخرة مستطيلة من الجبل ، ويقال أن أصل كلمة تربة يرجع إلي طربال وقد خفت اللفظة إلي طربا تم تداولتها الألسن فصارت تربة.

الفسقية : الجمع فساقى وهو حوض من الرخام ونحوه ، مستدير غالباً ، في وسطه نافورة توضع عادة في القصور والحدائق ، ويقصد بها في الدراسة مكان الدفن بباطن الأرض ، فهي مساحة مستطيلة مبنية ينزل إليها بمنازل مدرجة ، وتقرش الفساقى بالرمال ، كما يعلوها سقف حجري تعلوه طبقة من الرمال ، تعلوه طبقة ثالثة عبارة عن أرضية الضريح سواء كانت بالحجر أو الرخام ، وهذه الطبقات خاصة طبقة الرمل المتوسطة تمنع تسرب أي روائح تنتج عن تحلل الجثث المدفونة (٢٦٤) .

القبر : الجمع قبور وأقبر ، وهو المكان الذي تدفن فيه جثة الميت تحت الأرض مع تمييزه بعلامة ، ورد ذكره في قوله تعالى في الآية (٢١) من سورة عبس "ثم أماته فأقبره" وقوله تعالى في الآية (٧) من سورة الحج "وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور" أما المقبرة بفتح الباء وضمها أو القرافة فهي موضع القبور ومكان يدفن فيه الأموات سواء بشكل فردي أو جماعي ، ولا تقتصر علي الاستخدام الأدمي فقط ، بل لبعض الحيوانات كالفيلة مقابر أيضا ، والمقابر أنواع منها المسبلة وهي التي اعتاد الناس الدفن فيها ولم يسبق لأحد ملكها ، ومنها الموقوفة وهي ما وقفها مالك بصيغة الوقف كقرافة مصر التي وقفها سيدنا عمر رضي الله عنه ،

وأكبر مقبرة في العالم هي الخاصة بالشيعة "مقبرة وادي السلام" بالنجف الأشرف جنوب العراق ، ففيها أكثر من خمسة ملايين قبر^(٢٦٥) وفي المغرب العربي استخرج لفظ "مقبرية" من مقبرة ، كما استخدموا لفظ "قبرية" تحويراً عن لفظ "قبر" ونحتوا لفظ "مقابرية" ، مقبرية" لشاهد القبر منشوري الشكل^(٢٦٦).

القبة (Dome) : الجمع قباب وقبب ، وهي بناء مستدير مجوف يعقد بالأجر ونحوه ، لها قاعدة مربعة ومنطقة انتقال ورقبة دائرية بها نوافذ ، وبدن القبة له قطاعات هندسية مختلفة .

القرافة (Grave yard) : هي المقبرة ، وقرافة اسم قبيلة يمنية جاورت المقابر بمصر فغلب اسمها علي كل مقبرة .
الكدية : الأرض الغليظة الصلبة التي لا تعمل فيها الفأس ، وهي الأرض المرتفعة .

اللحد : الجمع لحود وألحاد ، وهو الشق يكون في جانب القبر أو في وسطه لوضع الميت فيه ، ولحد اللحد أي حفره ، ولحد الميت دفنه^(٢٦٧).

المدفن (Burying Ground) : الجمع مدافن وهو موضع الدفن وما يحيط به من بناء ، وهو الستر والموارة ، يقال دفنه وأدفنه فاندفن وتدفن فهو مدفون ودفين ، ودفن الميت واره^(٢٦٨).

المرقد : من معانيها القبر ، ورد ذكره في قوله تعالى في الآية (٥٢) من سورة ياسين "قالوا يا أولنا من بعثنا من مرقدنا هذا" ومن معانيها مضجع وسرير .

المزار (Shrine) : مصدر زار ، وهو كل ما يزار من أماكن الأولياء والقديسين فله صفة دينية ، وقد يحوي رفاة الشخص المزار أو لا يحويها .

المشهد : الجمع مشاهد ، مرادفاً للمزار (Shrine) والمقام ، والمشهد لغوياً يعني مجمع الناس ومحضرهم ومحفلهم ، وهي مشتقة من الجذر اللغوي "شهد" وشهد المكان أي حضره "شهوداً" ومنه قوله تعالى في جزء من الآية (١٨٥) من سورة البقرة "فمن شهد منكم الشهر فليصمه" ومن الفعل شهد اشتقت الشهادة والشهيد وغيرها ، ويطلق مصطلح المشهد علي البناء المقام فوق أضرحة آل البيت والأئمة ، وكان المشهد في الأصل يقام فوق الموضع

265 - www.almaany.com

٢٦٦ - إسماعيل (د. عثمان عثمان) :- المرجع السابق ، ص ١٥٩

267 - www.almaany.com

٢٦٨ - عبد الله (د. محمود سيد) :- المرجع السابق ، ص ٢٣

الذي دفن فيه الشهيد في موضع استشهاده ، وأحياناً يوضع فيه نصب تذكاري^(٢٦٩).

المصطبة : الجمع مصاطب ومصطبات ، بالسين والصاد (مصاطب ، مساطب) ولها معاني كثيرة منها سندان الحداد ، والمجرة بالفتح ، ويقال للدكان يقعد الناس عليه مسطبة^(٢٧٠) ، وهي دكة مرتفعة قليلاً عن سطح الأرض ، ينتشر وجودها بجانب مداخل البيوت الريفية في الدول العربية ، يجتمع فوقها أهل الدار وأصدقائهم للحديث والتسامر ، وتبني من الطمي أو الخشب أو الحجر ، ويأتي معناها في المصطلح الأثري للدلالة على ما يشبه الدكة خارج الحوانيت بامتداد عرضها وارتفاع متر تقريباً بهدف الجلوس وعرض البضائع عليها ثم انتقلت إلى الأبنية الدينية والتجارية والسكنية ليتغير اسمها في القرنين (٥-٦هـ/١١-١٢م) إلى المكسلة من قبيل اعتياد الكسالي ممن لا عمل لهم الجلوس عليها^(٢٧١).

استخدمت المصطبة في العصور القديمة كمثوي أخير لبعض الفراعنة من الدولة القديمة في أبيدوس بسوهاج بمصر ، وشيدت من اللبن والحجر بحيث يكون الجزء المبني تحت الأرض مشيداً من الحجر ، والجزء الظاهر من الطوب اللبن ، وطولها يوازي قرابة أربعة أضعاف عرضها ، وترتفع عن سطح الأرض بمقدار ثلاثين قدماً ، وتتجه كل المصاطب الفرعونية من الجنوب نحو الشمال ، ثم تطور تشييد المقابر الملكية إلى الشكل الهرمي المتدرج ممثلاً في هرم سقارة (شكل ٨/٣٠) ثم بدأ كساء الأهرامات بكساء ناعم بداية من القمة مثل هرم سنفرو في ميدوم بالجيزة بمصر ، ونهاية بأهرامات الجيزة الثلاثة المشهورة ، مع استمرار دفن النبلاء في المقابر مصطبية الشكل.

المضاهي : ضاهاه شابهه ، والمضاهاه بضم الميم : مشاكلة الشيء بالشيء ، والضهي بتشديد الضاد وفتحها وكسر الهاء ، جمع أضيها : الشبيه ، والمضاهية في المصطلح الأثري المعماري دخله غير نافذة أي مسدودة اعتاد المعمار المسلم - حرصاً منه على التماثل والتناظر - إحداثها في العمارة الإسلامية بكافة أنواعها لتضاهي أو لتحاكي أو لتشابه أو لتقلد ما جاروها أو ما قابلها من دخلة نافذة مفتوحة ، وقد وجدت هذه المضاهيات في الواجهات وأبدان المآذن ورقاب القباب وغيرها من الأجزاء التي اشتملت

^{٢٦٩} - عثمان (د. محمد عبد الستار) :- المرجع السابق ، ص٤١ ، عبد الله (د. محمود

سيد) :- المرجع السابق ، ص٢٦ ، الشهابي (د. قتيبة) :- المرجع السابق ، ص١٢

^{٢٧٠} - ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) :- لسان العرب ، بيروت ،

١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، الجزء الأول ، ص٤٦٧ .

^{٢٧١} - رزق (د. عاصم) :- المرجع السابق ، ص٢٨٤

علي الفتحات والنوافذ ، كما وجدت في فنون النجارة من الأبواب والدواليب والكتيبات والكراسي والدكك والمنابر والسقوف ونحوها^(٢٧٢)، كما وجد المضاهي مع شاهد القبر لنفس الغرض أي ليحاكي الشاهد وينظره ويقلده ويضاهيه ويشابهه ولكي يحدث التماثل والتناظر (شكل رقم ٥/٣٤،٥/٢٥،٣١/٦)

المقام : الجمع مقامات ، وهو موضع الإقامة وزمنها ، وهو الضريح ، وترادف المزار (Shrine) ورد ذكره في القرآن الكريم في الآية (٧٦) من سورة الفرقان في قوله تعالى ".....خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً" وفي قوله تعالى في الآية (٩٦) من سورة آل عمران "فيه آيات بينات مقام إبراهيم" وقوله تعالى في الآية (٤٦) من سورة الرحمن "ولمن خاف مقام ربه جنتان" كما ورد في الدعاء المأثور: "وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته" وقد اصطلح الناس علي إطلاق كلمة المقام علي المكان الذي فيه أثر أو ضريح لأحد الأنبياء صلوات الله عليهم ، أو فيه قبر أحد العارفين أو الصالحاء ، وكان يقصد في مواسم معينة للزيارة والتبرك ، رغم ما في هذه المزارات من بدعة نهي الإسلام عنها.^(٢٧٣)

المقصورة (Cabin): الجمع مقاصر ومقاصير ومقصورات ، ومن معانيها حجرة خاصة مفصولة عن الحجر المجاورة فوق الطبقة الأرضية ، واصطلاحاً هي كالسياج المحيط بالقبر أو بالتركيبة.
الميل : هو القطعة من الأرض بين الجبلين ، ومن معانيه في اللغة الذي يكتحل به.

النواوس (Sarcophagus) : الجمع نواويس ، وهو القبر الحجري ، كما يصنع من الخشب ونحوه ، توضع فيه الجثة ، وهو معروف في الحضارات الفرعونية واليونانية والرومانية والمسيحية وغيرها.
النصب التذكري (Memorial) : بناء أو هيكل أو تمثال شيد لتخليد ذكرى شخص أو حادثة ، والنصب القومية هي الأماكن التي لها أهمية تاريخية وعلمية باعتبارها ممتلكات شعبية تحافظ عليها الحكومة.^(٢٧٤)

٢٧٢ - نفس المرجع السابق ، ص ٢٨٩

٢٧٣ - نفس المرجع السابق ، ص ١٧٧

المراجع العربية والأجنبية :-

أولا : المراجع العربية :-

- إسماعيل (د. عثمان عثمان) :- دراسات جديدة في الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى ، دار الثقافة ، ١٩٧٧ م .
- أوغر لوايل (طلحة) :- لمسات الجمال في شواهد القبور العثمانية ، مجلة حراء ، العدد العاشر ، مارس ٢٠٠٨ م .
- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم) :- ترجمة جامع صحيح البخاري ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ج ٢ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- بوطانة (د. إيناس محمد) :- الخط الكوفي على شواهد القبور في ليبيا بين القرنين ٢-٦ هـ / ٨-١٢ م ، رسالة ماجستير بكلية الآداب ، جامعة قار يونس ، ٢٠٠٣ م .
- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللواتي) :- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار الشرق العربي ، بيروت (د. ت) الجزء الثاني .
- بويرتاس (أنتونيو فرنانديز) :- فن الخط العربي في الأندلس .
- جاغمان (فليز) :- مدرسة متطورة للمنمنمات في تكايا المولوية أواخر القرن السادس عشر ، ترجمة تحسين عمر طه .
- جمعة (د. إبراهيم) :- دراسة في تطور الكتابات الكوفية علي الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة مع دراسة مقارنة لهذه الكتابات في بقاع أخرى من العالم الإسلامي ، دار الفكر العربي ، القاهرة (د. ت) .
- الجوهرى (إسماعيل بن حماد) :- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، ج ٢ ، ١٩٧٩ م .
- الحداد (د. محمد حمزة إسماعيل) :- العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، الجزء الأول ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .
- المجمال في الآثار والحضارة الإسلامية ، زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٦ م .
- المدخل إلي دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنقوش الأثرية والنصوص الوثائقية والتاريخية ، الطبعة الثالثة ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م .
- حسن الياشا (د. محمود) :- موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، الدار العربية للكتاب ، المجلد الخامس ، ١٩٩٩ م .

- حسن (د. زكي محمد) :- أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، بغداد ، ١٩٨٥ م .
- الحسيني (محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضي) :- شرح القاموس المسمي تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الجزء الأول (د.ت) .
- خليفة د. (ربيع حامد) :- الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م .
- خير الله (د. جمال) :- النقوش الكتابية على شواهد القبور الإسلامية مع معجم الألفاظ والوظائف الإسلامية ، العلم والإيمان ، دسوق ، ٢٠٠٧ م .
- الراشد (د. سعد بن عبد العزيز) وآخرون :- أحجار المعلاة الشاهدية بمكة المكرمة ، الرياض ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م .
- أبو رحاب (د. محمد السيد محمد) :- العمائر الدينية والجنازية في عصر الأشراف السعديين ، دراسة أثرية معمارية ، دار القاهرة ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م
- رزق (د. عاصم) :- معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
- رسلان (د. عبد المنعم) :- الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا ، تهامة ، جدة ، الكتاب الجامعي - ٤ - ١٤٠١هـ / ١٩٨٠ م .
- رياض (د. عبد الفتاح) :- التكوين في الفنون التشكيلية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .
- زبيس (د. سليمان مصطفى) :- نقائش جديدة من القيروان ، القسم الثالث من ديوان النقائش العربية الموجودة في البلاد التونسية ، المعهد القومي للآثار والفنون ، ١٩٧٧ م .
- الزهراني (د. عبد الرحمن بن علي) :- كتابات إسلامية من مكة المكرمة (ق ١-٧هـ / ٧-١٣م) مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م .
- شافعي (د. فريد) :- العمارة العربية في مصر الإسلامية ، عصر الولاية ، المجلد الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ م .
- الشناوي (د. عبد العزيز محمد) :- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترية عليها ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الجزء الأول ، ١٩٨٠ م .
- الشهابي (د. قتيبة) :- مشيدات دمشق ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية ، دمشق ، ١٩٩٥ م .
- شيحة (د. مصطفى عبد الله) :- شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الجزء الأول ، ١٩٨٨ م .

- صابان (د. سهيل) :- المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، السلسلة الثالثة - ٤٣ - مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠ م .
- عبد الله (د. محمود سيد) :- مدافن حكام مصر الإسلامية بمدينة القاهرة ، دراسة أثرية سياحية ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ٢٠٠٤ م .
- عبيد (د. شبل إبراهيم) :- تراكيب القبور الخزفية في آسيا الصغرى في الفترة من القرن ٤/٥م وحتى القرن ١٣هـ/٩م دراسة أثرية فنية ، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة ، العدد العاشر ، ٢٠٠٤ م .
- عثمان (د. محمد عبد الستار) :- عمارة المشاهد والقباب في العصر الفاطمي ، الكتاب الثاني ، دار القاهرة ، ٢٠٠٦ م .
- عبد الحافظ (د. عبد الله عطية) :- دراسات في الفن التركي ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م .
- عبد الحميد (د. علاء الدين عبد العال) :- شواهد القبور الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر (٥٦٧ - ٩٢٣هـ / ١١٧١ - ١٥١٧م) دراسة أثرية فنية ، رسالة ماجستير بكلية الآداب ، جامعة سوهاج ، ٢٠٠٣ م .
- عبد الدايم (د. نادر محمود) :- التأثيرات العقائدية في الفن العثماني ، رسالة ماجستير بكلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٨٩ م .
- عبد العزيز (د. شادية الدسوقي) :- الأخشاب في العمائر الدينية بالقاهرة العثمانية ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .
- علام (د. نعمت إسماعيل) :- فنون الغرب في العصور الوسطى والنهضة والباروك ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .
- عربش (منير) وآخرون :- مجموعة الشواهد القبورية من وادي الجوف ، المتحف الوطني بصنعاء ، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ، الجزء الثاني ، صنعاء ٢٠٠٦ م ، الجزء الثالث ، صنعاء ، ٢٠٠٨ م .
- علي (د. أحمد رجب محمد) :- تاريخ وعمارة المزارات والأضرحة الأثرية الإسلامية في الهند ، الدار المصرية اللبنانية ، سلسلة الآثار في شرق العالم الإسلامي - ٢ - القاهرة ، ٢٠٠٥ م .
- الكنسوس (جعفر) :- الحكمة والفنون الإسلامية العريقة ، ذكرى إبراهيم تيتوس بوخارد ، مراكش ، المغرب ، ٢٠٠٠ م .
- محمد (د. سعاد ماهر) :- الخزف التركي ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .
- العمارة الإسلامية على مر العصور ، الجزء الأول ، دار البيان العربي ، جدة ، ١٩٨٥ م .

- محمد (نجاة يونس الحاج) :- المحاريب العراقية منذ بداية العصر الإسلامي إلي نهاية العصر العباسي ، بغداد ، ١٩٧٦ م .
- مرزوق (د. محمد عبد العزيز) :- الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان (د. ت) .
- الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ م .
- المصري (د. حسين مجيب) :- في الأدب العربي التركي ، دراسة في الأدب الإسلامي المقارن ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ م .
- منصور (د. آمال) :- الكشكول دراسة أثرية مقارنة ، المؤتمر السابع للإتحاد العام للأثريين العرب (٢-٣) أكتوبر ٢٠٠٤ م .
- ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) :- لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، الجزء الأول .
- مورينو (مانويل جوميث) :- الفن الإسلامي في أسبانيا ، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم ، د. لطفي عبد البديع ، راجعه د. جمال محمد محرز ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية (د. ت) .
- نور (د. حسن محمد) :- التصوير الإسلامي الديني في العصر العثماني ، سلسلة الدراسات الأثرية - ٣ - كلية الآداب جامعة سوهاج ، ١٩٩٩/٥١٤١٩ .
- شواهد قبور من تربة البايات بتونس العاصمة ، دراسة في الشكل والمضمون ، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت ، الحولية ٢٣ ، الرسالة ١٩١ ، ١٩١٤٢٤هـ/٢٠٠٣ م .
- الخيام في تصاوير المخطوطات الإيرانية حتي نهاية القرن ١٢هـ/١٨م ، دراسة حضارية فنية ، مجلة كلية الآثار بقنا ، العدد الأول ، يوليو ٢٠٠٦ م .
- شواهد قبور عثمانية من طرابلس الغرب ، دراسة في الشكل والمضمون لمجموعة جديدة ، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت ، الحولية ٣٠ ، الرسالة ٣٠٩ ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠ م .
- شواهد قبور خزفية من إيران الصفوية ، مجلة العصور ، دار المريخ للنشر ، لندن ، المجلد ٢١ ، يناير ٢٠١١ م .
- أضواء علي شواهد القبور الإسلامية في الجبانات الأوروبية - ٤ - شمال شرق أوروبا ، مجلة عالم المخطوطات والنوادر ، المجلد السادس عشر ، العدد الأول ، ١٤٣١هـ/٢٠١١ م .

دراسات في آثار الوطن العربي ١٥

- أضواء علي شواهد القبور الإسلامية في الجبانات الأوروبية - ١ -
غرب أوروبا ، مجلة جمعية التاريخ والآثار لدول مجلس التعاون الخليجي ،
العدد السابع ، ٢٠١٢/هـ ١٤٣٣ م .
 - أضواء علي شواهد القبور الإسلامية في الجبانات الأوروبية - ٢ -
وسط أوروبا ، كتاب مداولات اللقاء السنوي للجمعية السعودية للدراسات
الأثرية (تحت الطبع) .
 - أضواء علي شواهد القبور الإسلامية في الجبانات الأوروبية - ٣ -
جنوب شرق أوروبا ، مجلة جمعية التريخ والآثار لدول مجلس التعاون
الخليجي (تحت الطبع) .
 - النووي (الإمام محيى الدين) :- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ،
دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م . الجزء السابع
 - ياسين (د. عبد الناصر حسن) :- الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية ،
دراسة في ميثافيزيقا الفن الإسلامي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ،
٢٠٠٦ م .
- ثانيا : المراجع الأجنبية :-**
(أ) المراجع :-

Abd Al – Tawab (Abd Ar – rahman . M) :- Steles islamiques de
La Necropole D'Assouan . (IfAo) Du cairo . Tome I . 1977 Tome II . 1982 , Tome
III . 1986 .

Azlinah & others :- " Batu Aceh Typology identification "
MARA , Malaysia , I , vol .5 . 2008.

Brohi, AlAhmed (N.D) :- History on Tombstones Sindh and
Baluchistan . Jamshoro – Hyderabad : Sindhi Abadi Board.

Grassi (v) :- " The stele Funerarie di Sicilia , provenienze
problemi Aperti " 2002 .

Hasan (Mumtaz) :- Chaukhandi Tombs . Artistic Pakistan . 1968

Hasan (sheikh . khurshid) :- Chaukhandi Tombe in Pakistan, Karachi . Royal Book
Company . 1996

Hawary (Hassan) et Hussen Rached :- Catalogue General Musee
Arabe Du Cairo . Steles Funeraires . Tome Premier . Le cairo . 1932

Herzfeld (Ernst) :- Materiaux Corpus inscriptionum Arabicarum
. Tome . I . volI. 2 . Le Cairo . 1956

Lifchez (R) :- The Dervish iodge . university of California .
press . 1992

Perret (D) :- Some Reflection on Ancient Islamic Tombstones
Known AS Batu Aceh in the Malay world . I "
Indonesia and the Malay world . vol . 35 . issue . 103 . 2007

Rossi (Ettore) :- iscrzioni Arabe E Turche del Museo di Tripoli

(Libya) . 1953

Schneider (Madelein) :- Steles Funeraires Des iles Dahlak (Mer Rouge) Le cairo . 1982

Wiet (Gaston) :- Catalogue General Du Musee Arab Du cairo

Steles Funeraires . Tome sixeme . Le cairo . 1938

Yatim (M . O) :- Batu Aceh – Early Islamic Gravestone in

peninsular Malaysia . kualalumpur . /Malaysia . united selangor press . vol . 25 . 1987

Zulfiqar (Ali . Kalhoro) :- Tombstones of Fallen Heroes

(MPRA) Munich personal Repec Archive . 2009

(ب) المواقع الإلكترونية :-

WWW.AgeFotostock.com

WWW.Allinistanbul.com

WWW.Almaany.com

WWW.Alt-Arch.org

WWW.Amazon.com

http://Ar.wikipedia.org

http://Archnet.org

WWW.Atos.co.nz

WWW.Azeri.org

WWW.Brookwoodcemetery.com

http://Blogs.Reuters.com

WWW.Blog.une.edu

WWW.Bugbog.com

WWW.Canstockphoto.com

WWW.christies.com

http://Commons.wikipedia.org

WWW.Corbisimages.com

WWW.Damuseum.org

WWW.Digitalgallery.mpl.org

WWW.DiscoverIslamicart.org

WWW.Dla.library.upenn.edu

WWW.DreamStime.com

WWW.Encyclopedia.com

WWW.Enwikipedia.org

WWW.Excatholicsforchrist.com

WWW.Flickriver.com

WWW.FotoSearch.com

http://www.Franland.pwp.blueyonder.co.uk

WWW.Fredhoogervorst.com

WWW.Gettyimages.i/detail

WWW.GhiaSabadi.com

WWW.Glowimges.com

WWW.Google.com.Sa

WWW.GrahamSFunerals.co.nz
info@GravestoneStudies.org
WWW.Heritagemalta.org
WWW.iaa-conServation
WWW.iaSblog.com
http://www.iranicaonline.org
WWW.iStockphoto.com
WWW.Jameelcentre,ashmolean.org
WWW.Jewishencyciopedia.com
WWW.livius.org/mo.mt
WWW.loneyplanetimages.com
WWW.Malaysianexploror.com
WWW.Mnh.Si.edu
WWW.Onmarkproductions.com
WWW.Oldcem.ba,ca
WWW.Panoramio.com
WWW.Penang-Traveltips.com
WWW.Photographersdirect.com
WWW.PicaSaweb.google.com
http://Pinterest.com/pin
WWW.Pricgen.com/english-genealogy.html
WWW.qtluong/terragaller.com
WWW.Recycleredsaustin.wordpress.com
WWW.RhodesJewishmuseum.org
http://www.Scottiepress.org
WWW.Sgkapi.com/ubin/2001/04
WWW.Shutterstock.com
WWW.Sigificantcemeteries.org
WWW.Skyscrapercity.com
WWW.Spainisculture.com
WWW.Summitpost.org
WWW.Superstock.com
WWW.Terragalleria.com
WWW.Turkishclass.com
WWW.Turkishculture.org
WWW.usatoday.com
http://weburbanist.com
WWW.wiki.Answers.com
http://wn.com/history/of/Jews/of/the/saloniki
WWW.worldhistoryto1500.blogspot.com
WWW.you-are-here.com
WWW.123rf.com
<http://10,1,6,10,1587.cgi-bin/blockpage.cgi>